الان فوشون
دانيال ڤرنه

أميركا المسيحانية

حروب المحافظين الجدد

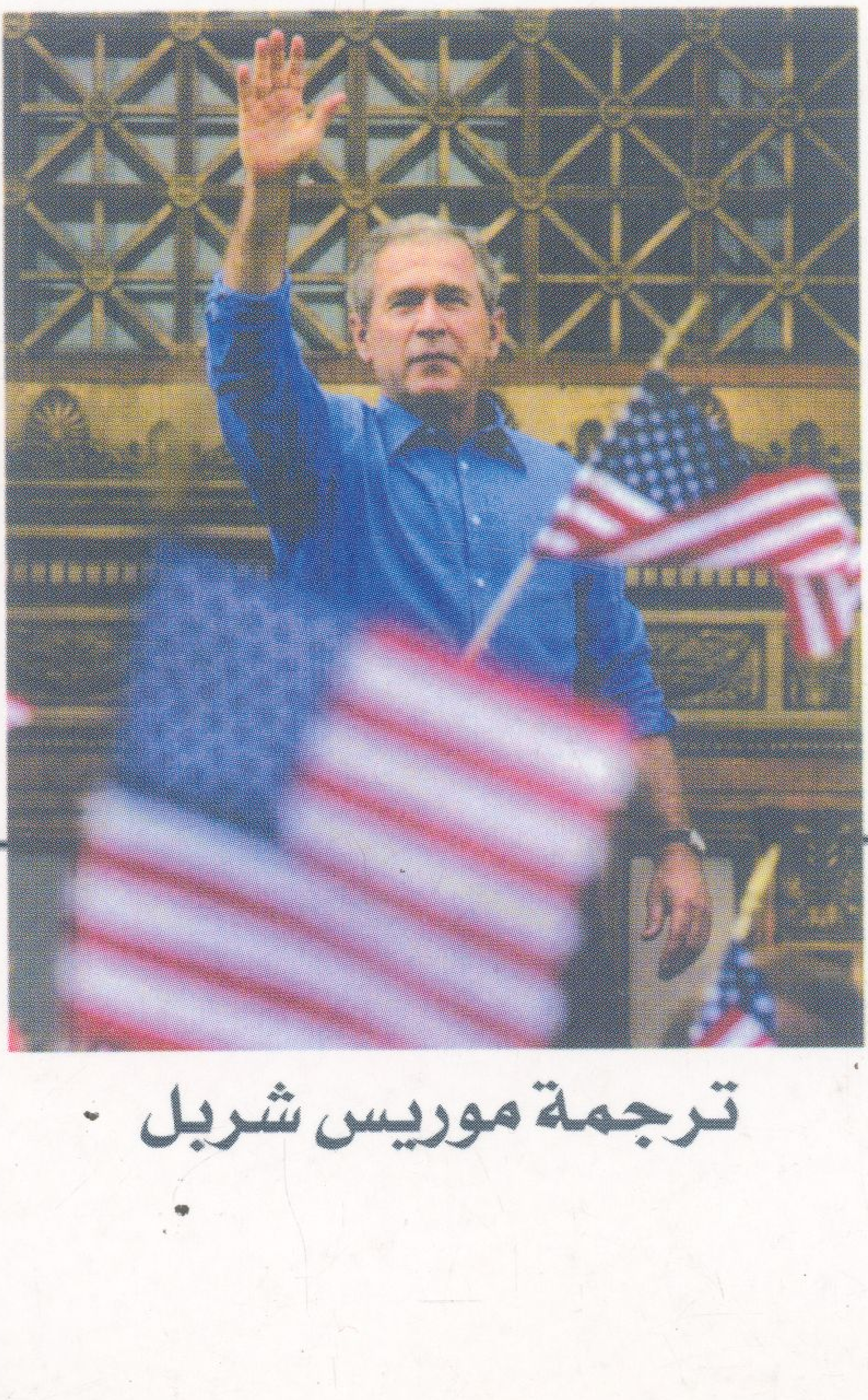

ترجمة موريس شربل

دار الجليس جروس برس

أمريكا المسيحانية

أمريكا المسيحانية

(حروب المحافظين الجدد)

تأليف :

الآن فراشون   دانيال ڤرنه

ترجمة

موريس شربل

دار الجليس   جروس برس

٢٠٠٥

هذا الكتاب صدر بالفرنسية عن منشورات الــــ SEUIL
تحت عنوان : « L'Amérique Messianique »
للصحافيين من صحيفة Le Monde الفرنسية :
آلان فراشون و دانيال فرنه
وقام بترجمته إلى العربية الأستاذ موريس شربل

وحقوق الترجمة والطبعة العربية محفوظة
لدار جروس برس/ طرابلس - لبنان
2005

طباعة كمبيوتر : يعقوب خباز ت : 03/544247

كـي تتمكـن مـن مواجهـة تحديـات
الخصم عليك معرفة فلسفته وآرائه

المدخل

تبدلات « المحافظون الجدد »

يحق للمحافظين الجدد التكبّر على الآخرين، إذ تمكّنوا بعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، بعدة أشهر من السيطرة على السياسة الأميركية. كان عندهم تفسير جاهز للأفعال «الإرهابية». وإذا كان صحيحاً أنهم لم يتوقعوا حدوثها فأنهم على الأقل أطلقوا تنبيهات وإنذارات : « علينا ألاّ نترك أنفسنا ننام عند نهاية الحرب الباردة، لنبقى يقظين، إنه من المبكر، أن يتم التحدّث عن مغانم السلام، لأن هناك مخاطر جديدة تهددنا ..»

كان لديهم شعور بأن الحق بجانبهم، ويعود الفضل إلى النهج السياسي الجيد الذي اعتمده رونالد ريغن. كان عندهم في البيت الأبيض ومن خلال جورج و. بوش الرئيس الذي لم يكن، ربما، خيارهم الأول، لكنه، كان شفافاً تجاه أي تعليل شامل بالرغم من أنه لا يتحلّى بأي تصور شخصي في مادة العلاقات الدولية، ولا يلزمه أكثر من خطوة ليصل إلى تصورات الأداء الجيّد.

تجاوزه الأميركيون في التاسع عشر من آذار عام ٢٠٠٣ بعد غزو العراق وسقوط بغداد بعدة أيام. لكن « المسار السليم » تحوّل بسرعة إلى

إخفاق شبه تام. كانت الحرب سريعة، لكن بعدها كان قاتلاً. بعد تحرير العراقيين من حكم ظالم دموي، عادوا وانقلبوا ضد المحتل. متناسين انقساماتهم. وصوتت المجموعات الاثنية والدينية على خلافها - ما عدا الأكراد - ضد التحالف.

إن الوعود بالترقي نحو الديموقراطية التي تباهى «المحافظون الجدد» وحكومة الرئيس بوش أصبحت فاسدة بعد سجن أبو غريب. فاضطر المدافعون علانيةً عن حقوق الإنسان، والمروجين لبراءة القيم العالمية المتجسدة بأميركا، إلى السكوت، واكتفوا باتهامها بكل أنواع التعذيب والتنكيل والى بعض الأعطال وبعض الأخطاء. أيكون ذلك موتاً جديداً؟ هذا ما أعلنه «المحافظون الجدد»، وذلك بالغرق في رمال بلاد ما بين النهرين؟

فقد أعلن آباء حركة المحافظين الجدد بأنفسهم موت التقليدانية الجديدة في أواسط التسعينات من القرن العشرين. « من الواضح، يذكر أحدهم - إيرفنغ كريستول - أن ما يمكن وصفه جيداً كاندفاع تقليدي - جديد ليس سوى ظاهرة جيل قد تم شغفه من قبل منطقة نفوذ محافظة، أكثر اتساعاً ». ويضيف كفيلها المعتمد نورمان بودهورتز : « لقد ماتت التقليدانية الجديدة ». وبعد مرور بعض الوقت أقرّ كريستول بالذنب حين قال: « كنا ما زلنا في وصف رفاة التقليدانية الجديدة عندما بلغت من جديد أوج مجدها. إن ما أطلقنا عليه التقليدانية الجديدة لم يكن سوى إحدى التيارات الفكرية التي لم تظهر على السطح إلا في أوقات متقطعة».

عرف المحافظون الجدد أوج مجدهم خلال العهدين الذي تولّى فيهما رونالد ريغن رئاسة الولايات المتحدة. فوضعوا أسس سياسة العضلات تجاه الاتحاد السوفياتي. كانوا قد اقتنعوا بأنهم ربحوا الحرب الباردة، ليس فقط بالضغط العسكري الذي حطّم الاقتصاد السوفياتي، بل بالمعركة الأخلاقية ضد الشيوعية. « فأميركا هي فكرة (مذهب) »: فالشعار موجود على العلم. وتم إعداد طلاب في الثلاثينيات من القرن الماضي للكفاح ضد الستالينية التي كانت التروتسكية في فتوّتها؛ وبتنكرهم لليسار المتطرف ، لم يتخلوا عن مقاومة الشيوعية. وفي الستينيات من القرن الماضي، عادوا والتقوا بجيل جديد يهتم بالاستراتيجية النووية أكثر من اهتمامه بالمجابهة الأيديولوجية مع الماركسية - اللينينية، لكنهم كانوا يعملون على تنميّة وتغذية الكره نفسه للاتحاد السوفياتي.

لكن الأبناء اعتمدوا التغيير. بالفعل إن التقليدانية الجديدة هي شأن عائلي أيضاً. قال إيرفنغ كريستول: « ليست مجرّد حركة بل نوع من الوعي الذي يجمع حوالي مئة من الأشخاص بين واشنطن ونيويورك. مجموعة قليلة العدد، لكنها أكثر تضامناً من البناء، ومنظمة بشكل كافٍ لمراقبة بعض المستشارين في الحكومة، وتتضمن مراكز تفكير منفتحة على كل شيء بين القاعدة والجامعة، لكي نعيّن بعض الأصدقاء في مناصب استراتيجية في الحكومة والإدارة.

واكب المخضرمون الفلسفة السياسية لليو ستروس، وهو القارئ الدقيق لنصوص العصور القديمة، ولازم الأكثر فتوة ألان بلوم، زميل

ستروس الذي حذَّرهم من النسبية الأخلاقية والثقافية للسيكستيين (Sixties) . كما تعلَّم آخرون أيضاً بجانب ألبيرت وولستانر الثقة بالأسلحة الذكية التي تتيح إمكانية التأكيد على التفوق العسكري للولايات المتحدة.

إنها كوكبة من الرجال والنساء صنعها التاريخ، وشكلها المعلمون، وصاغها الآباء. اعتقدوا بسلطة الأفكار في حين كانت أوروبا تعلن موت الأيديولوجيات. كان عندهم ثقة بالموهبة الأميركية الخارقة؛ إذ الكل يعتقد أن لأميركا مهمة عليها إتمامها، وأنها تحمل القيم العالمية المتكيفة والملائمة لرغبات وحاجات الشعوب؛ واقتنع الجميع بأن إعلاء شأن الديموقراطية أصبح عندها على رؤوس الحراب، وهو لمصلحة الولايات المتحدة وسلامتها. وازدادوا كرهاً من الانعزاليين الذين يبجلون انكفاء المعقل الأميركي، بالنسبة « للواقعيين » وذلك بعدوى من الفكر الأوروبي الذي ينادي بتوازن القوى.

وبعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ وجدوا قوة ثانية مع جورج و. بوش. فالمثقفين الذين اعتادوا قيادة معركة الأفكار بنجاح وجدوا الفرصة المناسبة لوضع نظرياتهم موضع التطبيق. لدى الولايات المتحدة على تجربتين على الأقل مع المثقفين في السياسة منذ العام ١٩٤٥ .. وكانت النتائج غير متكافئة: بدأت التجربة الأولى، غداة الحرب العالمية الثانية، مع الحكماء الذين رافقوا الرئيس هاري ترومان وحددوا معالم الحرب الباردة. والتجربة الثانية قد بدأت مع مطلع الستينيات من القرن

الماضي عندما استدعى جون فيتزجيرالد كنيدي إلى جانبه جيلاً من حملة الشهادات العالية من جامعة هارفرد، وهم الأفضل والأكثر ذكاء: فعملوا على توريط أميركا في مغامرة الحرب الفيتنامية المشؤومة.

هل يتوقع المحافظون الجدد المصير نفسه؟ لقد جلبت لهم الحرب العراقية صدمة رضخوا، عبرها، إلى إثبات دوغماتية مقرونة بشكل من أشكال السذاجة الناتجة عن الكوارث؛ فالعالم معقد كثيراً ولا يمكن تركه لمنظّرين يعترضون على عدم مثاليته، ويرمون بالأفكار المسلم بها، ويطمحون إلى طرح مشاكلهم للنقاش، ويؤمنون في النهاية بأنهم استطاعوا اخضاع الحقيقة لتصوراتهم.

إلا أن المحافظين الجدد في اتحاد وثيق لكنه ضيِّق الأفق كثيراً مع أميركا هذه - المسيحانية، والمتفائلة، والواثقة من نفسها - الماضية إلى الزوال الكامل. يطرح المحافظون الجدد مسائل تتجاوز المذهب المحافظ الأميركي التقليداني والتي لا تعتبرهم بعيدي النظر. أتبقى الحرية والمساواة من القيم العالمية ؟ هل تستحق أن يتم الدفاع عنها وتبقى مرفّعة كما هي ؟ هل تكون الدول الديموقراطية الأكثر ذنباً : بتدخلها بالقوة باسم هذه القيم أو لأنها تشهد سلبياً على سحقها من قبل أنظمة ظالمة ؟

فالمحافظون الجدد ليسوا وحدهم من يتساءل، وجدارتهم تكمن في كونهم أوقعوا هذه التساؤلات في قلب الجدل السياسي كان عائقهم الأهم كونهم اعتقدوا أن كل الإجابات في متناولهم وحدهم وأنهم يملكون الإجابات، وأن قوة الأسلحة التي يملكون تفرض نفوذها على الجميع.

في نظرهم، لا يمكن أن تشكل قضية العراق فشلاً. ففي الشرق الأوسط، ليس الوضع شفافاً كما كانوا يريدونه؟ مع ذلك، لا شيء يبدو سيئاً بالنسبة إليهم سوى الوضع الراهن، وفقاً لهذا المعنى يعتبرونه نجاحاً تاماً. إنما يمكننا القول بأنهم قلبوا أوضاع الدولة، وكان الوضع الراهن، حتى لو أنهم لا يعرفون أكثر من غيرهم كيف يمكن إدارة هذا الوضع الجديد. فالرئيس الأميركي الجديد، من سيكون، يمكنه أن يحكم جيداً بأن « الفوضى المتولدة » من المحافظين الجدد ستكون أكثر كلفة مما ستنتج من أرباح.

ومع ذلك، من الممكن ألاّ يعني فشلهم، مرة إضافية، سوى حالة تراجع، عبر تأكيداتهم، تستطيع التقليدانية الجديدة، أن تبدو راديكالية بشكل كافٍ كي لا تتوقف عند بغداد.

نشأة هوس محاصرة العراق

حرب العـراق هـذه، هـم أرادوهـا. كـانوا ملـهموها، وكـانوا آباؤهـا الروحيـين. إنـه تصميـم لمشـروع قديـم. فقـد نـادوا بـالحرب منـذ بدايـة التسعينيات. قبل اعتداءات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، كانوا قـد دعوا إلى قلب نظام صدام حسين بالقوة. كما عظموا التدخل في العراق حتى قبل أن يشغل بعضهم مناصب مسؤولة في حكومة جورج بوش. فقد كـانت مسألة العراق من إحدى الأفكار الثابتة عند أولئك الذين أطلقنا عليهم اسم « المحافظون الجدد ».

في كتاب نشر عام ٢٠٠٣ بعنوان « طريقنا تبـدأ مـن بغـداد » كتـب وليام كريستول ولورانس ف. كابلان وهما مثقفان بامتياز ومن صلب التيـار الفكري الذي سيرسم مخططات إدارة بوش قبـل بـدء العمليـات: « تعتـبر حرب العراق اختبار تحدي لما بعـد الحـرب البـاردة » الكـاتب الأول هـو مدير المجلة الأسبوعية« **The Weekly standard** »، وهي بمثابة تـوراة المحافظين الجدد واتجاهها يميـني؛ والكـاتب الثـاني هـو رئيـس تحريـر المجلة الأسبوعية« **The new republic** » للمحافظين الجـدد واتجاهـها يساري (هذا قابل للوجود). وحينما أطلق الأميركيون عملياتهم الأولى، في التاسـع عشـر مـن شـهر آذار عـام ٢٠٠٣، أدركـا معـاً أن أحـد أهدافـهم سيتحقق: فالحرب قد وقعت. لكنهم لم يجهلوا مطلقاً أن مسـتقبل التيـار الذي يمثلونه على المحك: أي فشل في العراق يحمل ضربة رهيبة، وربما قاتلة للمحافظين الجدد، ومسيرتهم قد تقف عند بغداد.

لماذا العراق؟ لعدة أسباب مترابطة بعضها ببعض. بادئ ذي بدء، الكل يعلم أن صدام حسين طاغية وحشي. فالنظام الذي أرسى حكمه عليه عند نهاية السبعينيات من القرن الماضي اتضح أنه من أعظم الأنظمة السفاحة في النصف الثاني من القرن العشرين . حكم بالرعب. واصبح حزب السلطة « البعث » لا يتقبل أية معارضة. واقدم على خطف، وقتل، وتعذيب المعارضين أو المناهضين لسلطته. وكان يحكم بالحرب الفتاكة؛ فأغرق بلده في صراع مع إيران استمر ثماني سنوات (١٩٨٠ – ١٩٨٨). ومن ثم كان غزوه الكويت في آب عام ١٩٩٠، وما لبث أن طُرد في شباط عام ١٩٩١ على يد التحالف بقيادة الولايات المتحدة. فقتل طائفتين كبيرتين من النسيج العراقي (فسيفساء) استشهاداً، وهم الأكراد، والشيعة (من العرب). فدمّر مئات القرى. وهجّر سكان عراقيين بالقوة. ومئات لا بل الآلاف من العراقيين لقوا حتفهم في هذه المغامرات الحربية التي قادها داخل العراق وخارجه إرضاء لنزوات الذهنية العشائرية عنده.

ويعتبر العراق أحد الدول الأكثر غنى في المنطقة. إذ يمتلك ثاني احتياط للبترول في العالم إلى جانب قدرات زراعية هائلة. استقرت الدراسة الاحصائية للشعب العراقي في العام ٢٠٠٤ على ٢٥ مليون نسمة (ولوطن كبير بمساحة فرنسا)، شعبه - نسبياً - متعلّم. عدا عن الميزانيات الهائلة التي خصّصت للتجهيز العسكري، فقد خصّ « البعث » ، حزب السلطة، البلاد بالأبنية المدرسية، والجامعية، والطبية التي جعلت منه،

في الثمانينيات من القرن الماضي، أحد دول الشرق الأوسط الأكثر تقدماً. في ذلك الوقت توددت الولايات المتحدة وكذلك أوروبا - فرنسا في الطليعة - إليه عبر مزيج من الخداع والتضليل والأنانية على أجل قصير، فكان الإمتناع عن رؤية الحقيقة: بأنه مجرم ظالم وسفاح، حتى لو كان من كبار المستهلكين للمنتوجات الغربية، فالأيديولوجية العلمانية، التي يزعم أنها تقدمية، والممثلة بمبادئ حزب « البعث »، ليست سوى خديعة (أو فخ) تحجب بشكل سيئ نشاطات ذهنية عشائرية عائلية مهتمة أساساً بالغنى الشخصي أكثر من اهتمامها بالنمو الوطني.

استرعى صدام حسين بتحالفه مع الاتحاد السوفياتي، كل اهتمامات الغرب، لسببين أساسيين: لأنه غني، ولأن العراق البعثي قابل لأن يكون أفضل معقل ضد الدين الإسلامي الذي ما فتئ يهدّد منذ الثورة الخمينية التي أطاحت بشاه إيران عام ١٩٧٩. فقد جرى الاعتقاد بأن آيات الله في طهران الذين يبشرون ويدعون إلى العودة إلى الدين، سيقررون، حتماً، تصدير ثورتهم الدينية إلى خارج إيران، وسيهددون الملكيات البترولية في الخليج. وتموين كل من الولايات المتحدة وأوروبا بالهيدروكاربور. فخشيت واشنطن على حلفائها السعوديين والإماراتيين التابعين لها. كما خشيت موسكو على استقرار محميتها العراقية. واعتقد صدام حسين ولأسباب عديدة أنه لا يُمسّ: لذلك لم يتلفظ كل من الكرملين، والبيت الأبيض وأوروبا، بأية كلمة، عام ١٩٨٠، عندما ظهرت رغبته في ترسيخ تفوق العراق في المنطقة، فأطلق جيوشه ضد إيران. فحظي

بالدعم الكامل من الولايات المتحدة في هذه الحرب، لكنه ما لبث أن أضاعها.

دمّرته الحرب وأفلسته، فراح يتوسل، باطلاً، طالباً المساعدات المالية من الملوك والأمراء مدعياً بأنه دافع عنهم ضد الثائرين في طهران، فالرئيس العراقي بحاجة للمال لإعادة بناء بلد دمّرته سنوات الحرب الثماني. فقرر غزو الكويت، بغية الاستيلاء على ثروات الإمارات البترولية. إلاّ أنه طرد منها عام ١٩٩١ على يد التحالف العسكري والديبلوماسي الذي جهزه الرئيس جورج هـ. بوش. ولكن قوات التحالف لم تصل إلى بغداد. فقد خضع البلد لحصار اقتصادي قاسٍ. ووضع تحت رقابة مفتشي الأمم المتحدة لنزع السلاح حتى العام ١٩٩٨. أصبح العراق منذ الآن وصاعداً بلداً تحت المراقبة، سيادته محدودة - وبقي صدام حسين فيه ليتابع على الأقل تضخيم ثروته الخاصة وإرهاب المواطنين - ولا يشكل تهديداً لجيرانه على الإطلاق.

راقب المحافظون الجدد كل ذلك، وقد تعلقوا بمبادئ حقوق الإنسان، وبالقيم الديموقراطية. وفجأة، لام بعضهم الرئيس بوش لأنه لم يرسل جيوشه فوراً إلى بغداد. كان عليه ألاّ يكتفي بطرد القوات العراقية من الكويت. فقد ندّد المحافظون الجدد بسياسة واشنطن التي دعت الأكراد والشيعة للثورة على الرئيس صدام حسين، ومن ثم تركتهم يذبحون على يد جيشه الخاص الطاغي دون أن تقوم الولايات المتحدة بأية حركة لإنقاذهم أو لمنعه، وكان من المفروض دعم هذا العصيان أكثر من إثارته.

إنما في الفريق الجمهوري المعاصر، أي فريق بوش الأب، فقد كان أولئك الذين يريدون الذهاب إلى البعيد (المتطرفون) قلة لا تستطيع استصدار أي قرار .

لم يطالب أي مستشار من مستشاري الرئيس باحتلال عاصمة كانت عريقة بامتياز في الماضي، ولا حتى لم يطالب أحد بإلغاء الرئيس صدام حسين، ومن ثم إدارة بلد مقسّم إلى هذا الحد مثل العراق، ونادى أحد القوميين العرب الكبار أنه حان الوقت لإقامة نظام أكثر لياقة في العراق. لكن الجدل انقطع بسرعة. فاحتلال بغداد أمرٌ يتنافى مع الإذن المعطى من الأمم المتحدة للتحالف الذي تدخل في قضية الكويت. وسيؤدي ذلك إلى تشرذم هذا التحالف. بعد أن شكّل تكوينه نجاحاً كبيراً لديبلوماسية الرئيس جورج هـ. بوش: فهو يجمع، عدا الولايات المتحدة وأوروبا، عدداً من الدول العربية (من سوريا إلى مصر)، كما أنه قد شُكِّل دون معارضة الاتحاد السوفياتي أو استعماله لحق النقض. لا أحد يرغب في الذهاب إلى أبعد من النصر الذي تحقق ضد القوات العراقية في الكويت، ليس الرئيس وحده من اراد ذلك بل وزير الدولة جايمس بايكر، ومساعده لشؤون الدفاع ريتشارد تشيني أحد المقربين من هذا الأخير، بول وولفويتز، وحتى أيضاً رئيس أركان الحرب الجنرال كولن باول. وقال هذا الأخير في مذكراته عام ١٩٩٨، إلى أي حد تصل الفكرة التي تمكن الولايات المتحدة من احتلال بلد بهذا التعقيد مثل العراق والشرق الأدنى حيث إن الصراع الاسرائيلي الفلسطيني لم يهدأ ويبدو أن ضبطه ليس ممكناً - لا بل

خطيراً. ارتأى وولفويتز أن العراق سيغتاظ بسرعة إزاء أي اجتياح غريب. وادّعى تشيني بأن احتلال بغداد سيغيظ حلفاء الولايات المتحدة السعوديين: « لا يحبون ذلك ». في الحقيقة الكل أصبح مقتنعاً أن صدام حسين لا يمكنه مقاومة الإذلال والخيبة التي تعرّض لهما، ومن ثم سيجري طرده من السلطة على يد عدد ضئيل من جنرالاته وتكون واشنطن قد تفاهمت معهم.

لقد أخطأوا. فالطاغية العراقي كان على ما يرام. فمارس سلطة قاسية على مفتشي الأمم المتحدة الذين استمروا لثماني سنوات عالقين في البحث عن ترسانة أسلحة الدمار الشامل (ADM - بيولوجي - كيميائي نووي) التي أنشأها. والشعب يعاني من الحصار الاقتصادي الذي لا يرحم، لكن ذلك كله لم يؤثر لا على الرئيس صدام حسين ولا على عشيرته. كانت الحرب الباردة قد انتهت مع سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩. وبدأ البعض في واشنطن يبحث أو يتصور أنواع التهديد الجديدة التي يمكن أن تتعرض لها الولايات المتحدة أو المواجهات التي سيلاقيها حلفاؤهم.

فالمحافظين الذين كانوا على رأس المعركة ضد الاتحاد السوفياتي ارتأوا أن زواله لن يدخلنا في عصر الأمان والاستقرار الاستراتيجي. فاتهموا بوش بأنه السيد المتفائل السعيد، مع إعلانه « النظام العالمي الجديد »، حيث ينتصر الحق مع الديموقراطية واقتصاد السوق المفتوح. كان المحافظون الجدد أول من استشف شبح العدو الآن، ذلك منذ بداية

التسعينيات من القرن الماضي: هذه الأنظمة الجذرية، والزقاقية تدعم حركات إرهابية وتمتلك أسلحة دمار شامل أو على طريق الامتلاك. وهم يعنون بذلك العراق.

هذا البلد الأخير يهتم بإعدادها، لا بل يراها كعنصر أساسي في الوضعية الاستراتيجية العامة للشرق الأدنى. إنه نظام راديكالي، وضد إسرائيل بشراسة، ويدعم الفصائل الفلسطينية الأكثر تطرفاً، والذي حاول قتل الرئيس الأميركي السابق بوش، وذلك عام ١٩٩٣، أثناء زيارة هذا الأخير إلى الكويت، فهو يوسّع لغة الحرب، إضافة إلى خطاب حربي معادٍ للغرب بكامله، وهو مستمر - على الأرجح - في العمل على التزوّد بالأسلحة ومن بينها الأكثر فتكاً. مثل هذا النظام الثوري كما هو النظام في إيران، ينبغي محاربته. أوضح أحد رؤساء قافلة المحافظين الجدد، بول وولفويتز أن العراق يمثل نموذج الخطر الذي يجب أن تواجهه الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة: قوة مناطقية، متحررة من وصاية عرّابها، الاتحاد السوفياتي، وقد كان بإمكانه تأمين سيطرته عليها، وعلى حساب المتحالفين مع أميركا: العربية السعودية وإسرائيل. لا يكفي « احتواء » هذا الخطر فقط، بل يجب إلحاق الهزيمة به. فأصبحت القضية العنصر المركزي لخطاب المحافظين الجدد. والعراق نقطة اتحادهم؛ فغدا الموضوع في صلب السياسة الخارجية الأميركية.

إن بول وولفويتز هو في موقع معروف. فمنذ زمن بعيد يقلقه الانتشار النووي في الشرق الأوسط. وهو متحدر من عائلة يهودية متدينة، ابن

أستاذ كبير في الرياضيات، وقد زار إسرائيل لعدة مرات. وتعلّم العبرية. وفي أواخر الستينيات درس العلوم السياسية في جامعة شيكاغو وتابع دروس أحد كبار أساتذة الفكر الاستراتيجي آنذاك، ألبيرت ووهلستاتر. فوجّهه هذا الأخير إلى موضوع أطروحته: مخاطر الإنتشار النووي المناطقي المتمثلة بمشروع اسرائيلي لإزالة ملوحة مياه البحر بواسطة عنفات ذرية.

يهتم المحافظون الجدد بالشرق الأدنى بشكل عام، ففيه أحد نقاط عدم التوازن الاستراتيجي الأكثر أهمية بعد الحرب الباردة. بحثوا عن إخراج فكان وجود عراق مستقر ويسير على طريق الديموقراطية، لن يكون مصدراً لنشر الأسلحة الخطيرة، وسيصبح عنصر ملطف ومنظم في المنطقة. ولا يمكن إلا ويسهل تسوية الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

ضمن هذا المنظور، لا يجوز إبقاء صدام حسين رئيساً للسلطة في بغداد. وإذا لم يتم القرار على احتلال بلد عربي، على الأقل ينبغي دعم العصيان الكردي والتمرد الشيعي ضد حروب البعث العراقي. ومع تبدل الحكم في أميركا (يفوز بل كلينتون في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٢)، عاد بول وولفويتز إلى نشاطاته الجامعية العزيزة على قلبه، فأصبح عميد مدرسة جونز هوبكنز للدراسات العالمية المتقدمة، في واشنطن. فكان أحد القائلين الأوائل بأن قرار عام ١٩٩١ كان خطأ: يجب التخلص، بشكل أو بآخر، من البعث العراقي. كما أيّد هذا الرأي رئيس شركة التجهيزات البترولية « هاليبورتن »، ريتشارد ديك تشيني أمين مساعد لوزير الدفاع، ونائب رئيس لاحقاً: دائماً، دائماً هناك خطر هو الرئيس صدام حسين،

وهو في صلب مشكلة الشرق الأوسط. أثار هذا الهوس لمحاصرة العراق المحافظون الجدد. فوجدوا فيه حقل تطبيق مثالي لقناعاتهم: قوة عسكرية متفوقة منذ اختفاء الاتحاد السوفياتي فلا يجوز أن تخشى الولايات المتحدة من استخدام قوتها لتأمين طموحاتها السياسية.

يمكن الإمساك بكل شيء ويستطيع الشرق الأدنى أن يصبح مستقراً بتبديل النظام في بغداد، والذي من شأنه تخليص العراق من الطاغية الرهيبة، وسيصبح من السهل لأميركا، لا بل ظرفاً ملائماً لها لأن تستخدم آلتها الحربية الهائلة. للبرهان على صحة منطقهم السليم، اعتمدوا عملية إعادة خلق مثقفين ووضع نوع من النموذج تم تصوره من قبل رجال ليس فيهم متخصص واحد فعلي في أمور العراق، ولا حتى متخصص واحد في الأمور الحربية والعسكرية. فأطلقوا بلاغهم القائل: من الآن وصاعداً أميركا هي القوة العليا على الكوكب، ولها السلطة ومن واجبها إعادة رسم خريطة العالم بعد الحرب الباردة. نتيجة الأمر : العراق ينتظر أميركا.

عند ذلك، بدأت الشبكة المحافظة الجديدة في ترتيب الزحف، فتحركت آلية هائلة بدأت بالمجلات ومع مستشاري الحكومة وكتّاب افتتاحيات من ذوي الولاء للتقليدانية الجديدة، وجاء الدخول الكبير إلى الصحافة، وعبر الصفحة الافتتاحية ليومية **Wall street journal**، والمعلقين في قناة التلفزيون **Fox News** (مجموعة موردوخ). فمن العام ١٩٩٢ ولأيام قليلة قبل وقوع أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ تضاعفت مداخلات المحافظين الجدد الداعية إلى قلب نظام الرئيس صدام

حسين عام ١٩٩٦ ، وقعوا على نصّ وُجّه إلى رئيس وزراء إسرائيل الجديد بنيامين نتانياهو، رئيس حزب الليكود (حزب يميني)، وقد نشر عبر مستشار حكومي (إسرائيلي - أميركي) في «المعهد الاستراتيجي المتقدم والدراسات السياسية »، هذه الوثيقة كانت بعنوان « **A Clean Break** » (تغيير حاسم: استراتيجية جديدة لتأمين الحماية للمملكة [إسرائيل]). ويدافع عن صحة فكرة خلع الرئيس صدام حسين. ويحمل تواقيع رجال ونساء كلهم من المحافظين الجدد أمثال: ريتشارد بيرل، دوغلاس فايث، دايفد وميرياف وورمسر بنوع خاص. كل هؤلاء نجدهم إما في حكومة الرئيس جورج و. بوش وإما في مواضع قريبة من الإدارة الجمهورية.

في العام ١٩٩٧ ، كتب دايفيد ورمسر **D. Wurmser** تحت باب « رأي حر » في « **Wall street journal** » مقالاً بعنوان « العراق بحاجة إلى ثورة ». وفي العام ١٩٩٨ وقّع ورمسر وبارل معاً رسالة ومعهم أحمد الشلبي، معتمدهم العراقي، ورئيس مجموعة مهجّرين: المجلس الوطني العراقي (**CNI**). وتدعو الرسالة إلى إحداث انقلاب في العراق، مدعوماً من الولايات المتحدة. وفي السنة نفسها، وبمبادرة من « مشروع قيام عصر أميركي جديد » (**Projet for a new American century = PNAC**) قام مستشار حكومي صغير من المحافظين الجدد وعدة شخصيات بتوجيه رسالة إلى الرئيس بل كلينتون، بهدف إقناع الرئيس الديموقراطي للاهتمام المركّز بسياسة موجهة إلى طرد الرئيس صدام حسين من السلطة - الموقعون معظمهم إن لم يكونوا جميعهم أعضاء من حكومة جورج و. بوش : آليوت

أبرامس، ريتشارد أرميتاج، وليام بينيت، جون بولتون، فرنسيس فوكوياما، روبرت كاجان، زالماي كاليلزاد، ويليام كريستول، ريتشارد بيرل، دونالد رامسفيلد، بول وولفويتز، جايمس وولساي، روبرت زوليّك، هذا ولم نذكر سوى الأهم منهم. وقد ألحّوا بأن العراق أكثر خطورة مع صدام حسين الذي طرد من بلاده مفتشي نزع السلاح التابعين للأمم المتحدة. فاقترحوا بأن يعاملوه « بالأساليب العسكرية لأن العمل الديبلوماسي (عمل الأمم المتحدة) انتهى بالفشل ». توصّل الموقّعون أنفسهم -دليل حقيقي سنوي للتقليدانية الجديدة – إلى إقناع قادة مجلس الشيوخ الأميركي (بأغلبيته الجمهورية) بتوجيه رسالة مشابهة من قبلهم إلى البيت الأبيض. في العام ١٩٩٩ نشر دايفيد وورمسر كتاباً بعنوان :

«Tyranny's Ally: America's Failure to defeat Saddam Hussein »

أي « فشل الولايات المتحدة في التخلّص من صدام حسين هو شكل من التواطؤ مع الطغيان » نُشر الكتاب من قبل أهم مستشار حكومي من المحافظين الجدد. « **L'american Enterprise Institute = AEI** » حيث إن ريتشارد بيرل أحد قادته. في حين أن أحمد شلبي الذي غادر العراق عند نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، يذيع المعلومات الأكثر عدائية حول أنواع التسلح التي يتجهّز بها صدام حسين. وأحد اركان مجموعة المحافظين الجدد اللبد الذهن بخصوص العراق، جايمس وولساي، ومدير سابق للـ **CIA** ، يشيع من عاصمة إلى أخرى المعلومات التي يجلبها له الشلبي .

غادر الرئيس بل كلينتون، تحت الضغط، بعد أن وقع « قرار تحرير العراق » الذي صوَّت عليه مجلس الشيوخ في العام ١٩٩٨، والـذي يجعـل مـن عمليـة تغيـير النظـام في بغـداد، أحـد الأهـداف الرسميـة للسياسـة الأميركيـة في العـراق. فـاتخذ الرهـان شـكلاً آخـر، ففـي كـل مـرة كـان الكونغرس يوافق على بضع عشـرات مـن ملايـين الـدولارات سـنوياً بغيـة تحقيق حركة أحمد الشلبي. ففي العـام ٢٠٠٠، أثنـاء حملـة الانتخابـات الرئاسية، أيَّد المرشح الديموقراطي ألبـير غـور هـدف « تحريـر العـراق »، وأيَّد منافسه جورج و. بوش الهدف نفسه بدون مزايدة في المواقـف. فربـح الانتخابات بفارق بسيط بقرار من القضاء، فور جلوسه لأسـابيع في البيـت الأبيض، أطلق بوش الابن عاصفة ضد صدام حسـين. إنمـا يجـب إيجـاد فرصة سانحة، أو ذريعة للانتقال من التصريح اللفظي إلى الإجراء العملي. يجب إيجاد سبب بارز ومقنع للحرب لإعلانها، وسـوف لا تكـون سـوى عملية عدم استقرار في العراق. إنها فرصة الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ .

في غضون ذلك، استعاد ريتشارد تشيني عملـه في السياسـة. فغـادر شركة « هاليبورتون » للبترول، مقابل مردود سنوي يعد بعشـرات ملايـين الدولارات كي يصبح **Colistier** للمرشح جـورج و. بـوش. فـأصبح نـائب الرئيس. ابتسامة منحرفة، رأس أصلع، عنق داخل بين الأكتاف، خيـال ضخم، صوت مهذب للغاية يوحي بالتمدن، محتال، ماكر، خبير رهيـب بالمسرح الواشنطوني وبالطريقة التي تقاد بها المعارك، أما ديك تشيني فإنه عبء ثقيل علـى السياسـة الأميركيـة. انتخـب لفـترة طويلـة في الويومنـغ

Wyoming ، حيث تعصف أيضاً روح فارويست Farwest، فقد انتخب دائماً كمحافظ متفوق: ضد الإجهاض، وضد كل تقييد لمبيعات الأسلحة الفردية (هو صياد ومعروف بكونه حامل بندقية ممتاز)، ومن أجل إعادة السلطة للولايات، ومن أجل ضبط دولة الرعاية. سيصبح أميناً عاماً للبيت الأبيض خلال ولاية جيرالد فورد (١٩٧٤ - ١٩٧٦) ومن ثم أميناً للدفاع في عهد جورج هـ. بوش (١٩٨٨ - ١٩٩٢).

هو قومي براجماتي أكثر منه مثقف ومحافظ متجدد، حتى لو اقتنع بضرورة طرد صدام حسين قبل اعتداءات ٢٠٠١، كما أن زوجته، لينه Lynne ، باحثة وكاتبة روايات، تشكل جزءاً من مجموعة المحافظين الجدد تعمل في الـ AEI .

في البنتاغون، عند نهاية الثمانينات من القرن الماضي، أحاط ديك تشيني نفسه بمثقفين فتيان، وبمفكرين، وبمدنيين مهيئين لتغيير تقليدانية زعماء القيادة ولمعظم المرتبطين بمدرسة المحافظون الجدد: يدعون بول وولفويتز، زالماي كاليزاد، ستيفان هادلاي، لويس ليبي. أمضوا رئاسة كلينتون كمستشارين للحكومة، وفي إعداد أوراق حول خطر عراق صدام حسين. عبر مهمة تسمية أهم أعضاء حكومة جورج و. بوش في الفترة الممتدة بين تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠٠٠ وكانون الثاني ٢٠٠١، حضّر ديك تشيني أسماء هؤلاء الرجال (الفترة الممتدة بين انتخاب الرئيس ودخوله الفعلي إلى البيت الأبيض).

فعيّن بعض المحافظين الجدد في المناصب الأساسية في الإدارة، وبصورة خاصة في وزارة الدفاع، حيث سلّمت حقيبتها إلى أحد الوطنيين إنما غير إيديولوجي، إنه دونالد رامسفيلد. واصبح بول وولفويتز الرجل الثاني لوزارة يعرفها جيداً لكونه عُيّن فيها منذ زمن رونالد ريغن، ورفاقه من المحافظين الجدد هم دوغلاس فايث (وكيل وزارة مكلّف بالمور السياسية) ووليام لوتي (وكيل وزارة مساعد مكلّف بالاهتمام بشؤون الشرق الأوسط وآسيا الجنوبية). ترأس ريتشارد بيرل هيئة استشارية من ثلاثين عضواً تحت تصرّف وكيل وزارة الدفاع، ونجد في Defense Policy Board اثنين من المحافظين الجدد هما: نيوت جنجريتش N. Gingrich رئيس سابق للأكثرية الجمهورية في مجلس النواب، وجايمس وولساي J. Woolsey، في العام ٢٠٠١، وضع مكتب التخطيطات الخاصة OPS في موضعه، وحيث يحتفل، بشكل خاص، المحافظون الجدد أمثال أبرام ن. شولسكي ودايفيد وورمسر في تحديد الهدف الكامن في « مضاعفة » الـ CIA بالنسبة للمعلومات الواردة عن العراق. فعيّن لويس ليبي لديوان تشيني نائب رئيس الجمهورية. في الوقت الذي عيّن فيه زالماي كاليلزاد (افغاني الأصل) العضو في المجلس الوطني للأمن، فأصبح سفير الولايات المتحدة في كابول بعد هزيمة نظام طالبان.

لا يمكننا اعتبار هؤلاء الرجال متآمرين، إنهم « رجال سياسة » حيث إن معظمهم كان في فريق الحملة الإنتخابية للرئيس جورج و. بوش . كتب كل واحد منهم مقالات، وكتباً، ودراسات، ووثائق عمل،

تنادي كلها بقلب النظام في بغداد. وقد وضعوا كـل ثقلـهم لإيجـاد فرصـة مناسبة لوضع أفكارهم موضـع التنفيـذ. مـن أجـل ذلـك يجـب أن تصبح سياستهم هي نفسها سياسة رئيـس الولايـات المتحـدة. ففـي اليـوم التـالي لاعتداءات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١؛ تمت هذه المسألة.

إن الاعتـداءات علـى نيويـورك وواشـنطن الـتي أودت بحيـاة نحـو ٣٠٠٠ شـخص في انـهيار برجـي المركـز التجـاري العـالمي WTC في «مانهاتان» وعشرات القتلى غيرها في تدمير جناح في « البنتاغون » قـرب العاصمة الفيدرالية ، تركت صدمة قوية عند النخبة السياسـية الأميركيـة. قبل أن يغادر كلينتون السلطة ، لم تتأخر حكومته عن تحضير ملف كبـير حول خطر « القاعدة »، هذا التجمع الإسلامي الراديكالي ورئيسـه أسـامة بن لادن السعودي المنشق. نسب إلى «القاعدة» تبـني الاعتـداءات الداميـة ضـد سـفارات الولايـات المتحـدة في تنزانيا وكينيـا عـام ١٩٩٨، وأعمـال عدائية أخـرى ضـد المصـالح الأميركيـة في دول الخليـج العربـي. فـأوصى كلينتـون بالقيـام بمطـاردة غـير رحومـة لمراكـز «القـاعدة» في أفغانسـتان وباكستان على حد سواء. إلا أنه لا يمكن لأحد تصور درجة الجنون القاتل لفريق يعمل بحوافز مذهلة للغاية: الفوز بخـروج الجيـوش الأميركيـة مـن المملكة العربية السـعودية (نحـو ٥٠٠٠ رجـل بقـوا منـذ حـرب الخليـج الأولى) بحجة أنهم « ينجسوا » الأرض المقدسة التي احتضنت الإسـلام: ومعاقبة « اليهود والمسيحيين » للحملة الصليبية المزعومة الـتي يقودونـها ضد المسلمين؛ وإرجاع حكم الخليفة .. فـالمدهش : أن ١٥ مـن اصـل ١٩

إرهابياً كانوا سعوديين وهم من تابعيات بلد صديق. والمذهل أن كل إرهابي منهم يدرك أنه إذا قتل ٣٠٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠٠ شخص، ومع ازدياد العدد ستزداد غبطته ومكافآته أكثر فأكثر. فالخطر الذي تمثله » القاعدة « ليس هامشياً بل مركزياً.

في المؤسسة الاستراتيجية الواشنطونية العادية لم يفكر أحد بشكل رصين بهذه المخاطر، عدا فريق صغير: المحافظون الجدد. وحتى الآن باتوا منذ نحو عشر سنوات يرددون مخاوفهم: لن تكون مرحلة ما بعد الحرب الباردة مرحلة هدوء استراتيجي، التهديدات الجديدة جاهزة، متمركزة بنوع خاص في الشرق الأدنى، ومن بينها، الإسلام الأصولي.

وتم تحديد هدفين سريعين للاجراءات الأميركية الانتقامية: أفغانستان والعراق. يعتبر الهدف الأول منطقياً: فالقاعدة قد امتزجت بالنظام الأصولي الإسلامي للطالبان، وقدّمت له لوجستيته وأسس خلفيته.

أما العراق؟ لماذا العراق؟ « فمهاجمة العراق كرد على الاعتداءات المقترفة من قبل السعوديين المشاركين « بالقاعدة »، هي كما لو أن روزفلت هاجم الاتحاد السوفياتي الستاليني في اليوم التالي لـ« بيرل هاربور »، هذا ما قاله فتى متخصص بعلم السياسة، ويبجّل ايديولوجية مناهضة لأيديولوجية المسلمين. فإذا أمدّ متطرفين فلسطينيين، فالبعث لم يكن عنده قسم مرتبط بالمجموعات الجهادية الكلانية، لا بل حصل عكس ذلك. نجد العديد من الدول الإسلامية التي غذّت أيديولوجية « القاعدة » مثل المملكة العربية السعودية وغيرها من الذين قدموا مكاتب

لرجالها، لا بل دعموهم بتكنولوجيات خطيرة للغاية، مثل الباكستان، لكن هذه وتلك كلهم من المتحالفين مع الولايات المتحدة الأميركية.

وضع المحافظون الجدد العراق على مرمى نار حكومة بوش، فهم الذين جهزوا كل ما هو أساسي للمحاكمة العراقية. فقد أكدوا أن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل واقنعوا الأميركيين والأوروبيين عبر مكاتب خدمات سرية. لصدام حسين الحق في أن يكره أميركا، فقد استنتج وولفويتز، دون أن يكون متأكداً وافترض بأن يكون القائد العراقي على علاقة مع « القاعدة »، وبدون تأكيد أيضاً، يمكننا أن نتصور أن الرئيس العراقي يستطيع، يوماً ما، أن يقدم بعضاً من عناصر أسلحة الدمار الشامل إلى « القاعدة » .. هناك المزيد : لأنه دعم الإسلاميين الأصوليين، بذلك سيقلب التوازن في الشرق الأوسط، فمنه بالذات انطلقت العملية القذرة في الحادي عشر من أيلول، وكان الانهيار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تحافظ عليها الأنظمة العربية وقد أصبحت غير قادرة على إيصال المنطقة إلى التحديث الاقتصادي والديموقراطي.

فتغيير النظام القائم في بغداد يزعزع هذا التوازن في القوى ويتيح إمكانية ترتيب نظام نموذجي في العراق، قابل لأن يعمل كبقعة الزيت في كل المنطقة. بفمه الباسم، قال ريتشارد بيرل، منذ ملكيته البروفنسالية : « كي يتم التمكن من صب نبيذ الديموقراطية، يجب الإطاحة بسدادة القنينة صدام حسين ».

بأقل شاعرية، أكّد لوران موريافيك أحد الاختصاصيين في المؤسسة الأميركية American Entreprise institute : « إن نظام صدام هو جوهر الأنظمة العنيفة في الشرق الأوسط، فإذا لم نبدأ من هنا، نتخلى عن التغيير مهما كان الوضع في المنطقة «. فتغيير العراق يؤدي إلى تغيير في الشرق الأوسط، هذا ما يجب برهنته.

احتفظت إدارة بوش بهدفين أساسيين: أفغانستان والعراق. هناك جدال : العراق أولاً ثم افغانستان، أم الاثنان معاً ؟ فحسم الجدال الرئيس بوش: كابول أولاً. لكن كل الأمور تدل إلى أن الرئيس الأميركي قد قرَّر مهاجمة صدام حسين منذ تشرين الأول أوكتوبر وتشرين الثاني / نوفمبر عام ٢٠٠١، رغم أنه اعتمد خلاف ذلك حتى شباط ٢٠٠٣. فالحجج التي قدمها المحافظون الجدد لم تكن كافية، بدون شك، لاقناعه. رغم أنها بدت وكأنها لعبت دوراً رئيسياً – جورج بوش ونائبه ديك تشيني كانوا دائماً على علم مسبق – وقد اثقلت عوامل أخرى قرار مهاجمة العراق.

كشف البعض عن تصوُّر استراتيجي، مع تهديد جديد وعقيدة جديدة. في مرحلة ما بعد الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، لا ننتظر التأكد من تهديد ما حتى تقوم بمواجهته: فأقل احتمالية، تكون غير معقولة، يمنحها صدام حسين للجمرة الخبيثة أو لأرومات مرض الجدري « للقاعدة » تكفي، « سوف لا ننتظر تجسيد هذا التهديد كي تقوم بالغائه » يقول جورج بوش. أكد وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أمام حلف شمال الأطلسي OTAN قائلاً: تجاه المخاطر الجديدة « لا حاجة لبرهان

مطلق » لتهديد حقيقي كي نقوم بالتنفيذ .. إنه الفعل الوقائي الذي يجب اعتماده إلى أقصى حدوده.

هناك عوامل أخرى، شخصية أكثر أو سياسية أكثر تعتبر خاصة بهذا الرئيس بالذات. فقد اقتنع بوش الابن أن والده قد خسر في الانتخابات الرئاسية للعام ١٩٩٢ لأنه لم يأخذ برأي المتشددين في الحزب الجمهوري! ولم يذهب إلى بغداد في ربيع ١٩٩١. فأكد الابن أنه عكس والده: سيذهب هو إلى بغداد، وقد لعبت إرادة الانتقام من صدام حسين الذي حاول قتل جورج هـ. بوش عام ١٩٩٣ ربما، من يعلم ؟ لعبت هذه الفكرة دورها .

ليس هذا كل شيء. تجاه ضخامة اعتداء الحادي عشر من أيلول، أرادت حكومة بوش أن ترد بدورها بضخامة و« بالجملة ». أوضح جو كلاين كاتب افتتاحيات في **Time magazine** قائلاً: «تقاسم بوش، وتشيني ورامسفيلد، والمحافظون الجدد اعتقاداً راسخاً: ينبغي استخدام القوة العسكرية لارهاب العدو، إذا لم ترد الولايات المتحدة بشكل «ضخم» على اعتداءات الحادي عشر من أيلول، ستوحي بأنها ضعيفة. فقامت بسحق الطالبان « بعيداً » مع الاهتمام باستئصال جذور « القاعدة »، فهذا لا يقال عنه إنجاز « ضخم » ولا يكفي. إذن يجب أن يتم الضرب بطريقة تستحق المشاهدة، والإعلان عن القدرة العسكرية الأميركية – مثلاً. إنما ، ليس ضد أي كان. أعلن كاتب افتتاحيات أميركي توماس فريدمان في **New York Times** : «إحدى الحجج الحقيقية لحرب العراق هذه،

والتي لم تكن تحت شعار الرد على الحادي عشر من أيلول [وهي اعتداءات اقترفها عرب]، لذلك كان على أميركا أن تضرب حداً من العالم العربي ». لا يمكنها ضرب السعوديين، فتحول هجومها على صدام حسين، الذي يهدد بإقامة حروب متجددة على إسرائيل.

وبدا دونالد رامسفيلد مأخوذاً بنشوة النجاح السريع في الحملة على أفغانستان مما شجعه على إيجاد أسباب لمهاجمة العراق. كما اراد وزير الدفاع الأميركي تقديم الدليل على أنه حقق تحولاً في قدرات الجيش الأميركي، وأن بإمكان هذا الجيش أن يظهر قدراته على مسرح بعيد، وأن بإمكانه تحقيق النصر بعدد قليل من الرجال؛ إضافة إلى إبطال عقيدة كولن باول الذي كان لا يطالب باستخدام القوة إلا في ظروف إحترازية استراتيجية قصوى، عندما كان رئيس أركان الحرب (كان يجد دائماً باب احتراز كمخرج)، علماً أن القدرات الحربية كانت ضخمة.

يبدو عبر هذه المجموعة من الحجج المتقدمة لتبرير الحرب ضد العراق، أن السبب البترولي لم يجد ثقله الفعلي. فإذا ارادت الولايات المتحدة فعلاً أن يكون عندها مدخل مميز إلى احتياطي العراق البترولي، يجب أن يكون لديها، من أجل ذلك، وسيلة أقل كلفة من الحرب مثل: رفع العقوبات عن نظام صدام حسين، الذي لا يطلب بالمقابل أكثر من التعامل مع الشركات الأميركية أو مع فروعها المستقلة الأوروبية. يمكن منح الحجة « السعودية » أكثر اهتماماً، دون منحها أهمية كبرى، من الآن وصاعداً تجنب « عربية سعودية » منهمكة بالعنصريين الإسلاميين ،

كما يبدو أن عند الولايات المتحدة مشروعاً لفصل تحالفها التقليدي مع الرياض لصالح العراق، الذي سيكون موعد ليصبح أكبر نقطة ارتكاز استراتيجية وبترولية أميركية في الشرق الأوسط. إنما حتى الآن المشهد هو عكس ذلك، فواشنطن لا تبدو أنها امتنعت أو أوقفت علاقتها المميزة مع البيت السعودي.

هكذا اصبح العراق الحوت الأبيض بالنسبة للقائد الشاب، والموبي ديك **Moby Dick** لجورج و. بوش: شرّ لا بدّ من محاربته، في سبيل هذه المعركة، السياسية بداية، قام الرئيس، في واشنطن وفي معظم عواصم المتحالفين مع الولايات المتحدة بتعداد جزء كبير من سلسلة الحجج التي عرضت سابقاً. فهيأ وضعاً ملائماً للحرب عبر مسالة أسلحة الدمار الشامل. لكنه اهتم بسرعة بإدخال وتحضير محرّضات أخرى عليها، وكأنه لم يكن يشعر بأنه على أرض صلبة وأكيدة بالنسبة إلى أسلحة الدمار الشامل **ADM** . كتبت نيويورك تايمز **New York Times** في السادس عشر من كانون الأول/ ديسمبر عام ٢٠٠٣ :.« عدّل بوش ونوّع بأفكاره. فقد كان قلقاً بشكل دائم من أجل تهيئة وتجهيز عدة أسباب تبرر إعلان الحرب على العراق واستعمالها بطريقة لبقة، وفقاً للظروف. وبذل قصارى جهده للحصول على دعم الراي العام، في الولايات المتحدة وفي الخارج، للإطاحة بصدام حسين، فالحكومة سوف تستند إلى الأسباب التالية (مع إلحاح متبدل وفقاً لكل مرحلة):

١-أسلحة الدمار الشامل.

٢-الروابط والعلاقات المفترضة بين القادة العراقيين والتنظيمات الإرهابية.

٣-إرادة تحرير الشعب العراقي.

٤-أخيراً، اعتماد سياسة نشر وتطبيق المبادئ الديموقراطية في الشرق الأدنى.

أعلن بول وولفويتز في مقابلة نشرت في عدد حزيران للمجلة الأسبوعية **Vanity Fair** : « الحقيقة، أنه لأسباب عديدة أقرتها البيروقراطية الحكومية، لقد قررنا اعتماد وجود أسلحة الدمار الشامل سبباً توافقياً للدخول في الحرب، وهو السبب الرئيسي والأول إنما [...] يوجد دائماً في هذا العمل اهتمامات أساسية أخرى. والسبب الثاني (بالأهمية) الدعم المقدم من بغداد للإرهاب .. والسبب الثالث يكمن في المعاملة الإجرامية التي نكب بها الشعب العراقي ».

فقد لعب الرئيس الأميركي على الكلام، قائلاً بأن العراق يشكل تهديداً وشيك الوقوع للولايات المتحدة وحلفائها: « إنه تهديد قيد الإعداد» **A gathering threat** كما قال. واستندت الإدارة على تساؤلات الأميركيين الذين قاموا بتحقيقات متتالية، واستفسارات حول اعتقادهم بأن صدام حسين لعب دوراً في اعتداءات الحادي عشر من أيلول. فسار المحافظون الجدد الذين يحيطون بدونالد رامسفيلد إلى « حربهم ». لم يكن لديهم النية في تركها تفلت وسوف يحولون المؤشر الصغير إلى حجة مسلحة بالباطون. فالمعلومات المتقطعة التي جمعتها بحذر الـ **CIA**

عن أسلحة الدمار الشامل المجهز بها صدام حسين، قد تحولت إلى حجج لا تقبل الجدل عند مكتب التخطيطات الخاصة المتمركز قرب وزارة الدفاع. فتحذيرات وزارة الدولة رفضت واستبعدت كالـ **Munichairs** . مقتنعاً بحجة المحافظين الجدد، ذهب نائب الرئيس تشيني بعيداً جداً في التعامل مع المعلومة: ففي السابع عشر من آذار/ مارس، أي يومين قبل إعلان الحرب، أكد أن الرئيس صدام حسين « قد أعاد تكوين أسلحته النووية بشكل جيد ».

أظهرت أحداث التاريخ بسرعة أن صدام حسين لم يكن يمتلك أسلحة الدمار الشامل في العام ٢٠٠٣. كما أظهرت بشكل أقل تحديداً حول علاقته بتنظيم القاعدة. إنما، في هذا الربيع ٢٠٠٣، لم يهتم المحافظون الجدد بذلك. فقد ربحوا معركة من المعارك التي كانت تحز في قلوبهم منذ نهاية الحرب الباردة. أميركا أصبحت في بغداد. وقد فتحت الطريق المؤدي إلى إنقاذ الشرق الأدنى، ولو بالقوة إذا اقتضى الأمر. فهم يتهيأون لمواجهة نظريتهم مع الحقيقة. وهم لا يشكّون في أن أهميّة الواقع تكمن في تجاوز الإطار النظري.

باسم أميركا

« لماذا نحن في العراق ؟ » طرح هذا السؤال نورمـان مـايلر [1]، منـذ أكثر من ثلاثين سنة حول موضوع فيتنام، وتمت الإجابة عبر رواية كتبها جراسـه Grasset عـام ١٩٦٨ بعنـوان « لمـاذا نحـن في فيتنـام ؟» إلا أن جملة واحدة تكفي هذه المرة: « تحتاج ميثولوجيتنا لهذه الحرب (حرب العراق) » على أي حال، إنها ميتولوجيا المحافظون الجدد.

يعتقد المحافظون الجدد، كما يعتقد الكثـير مـن الأمـيركيين، بـأن جمهوريتهم ذات مزاج استثنائي ممتاز. النصفان المكونان لهذه الجمهورية هما: إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦ واعلان الدستور عام ١٧٨٧ ، وقد فرضا المبادئ الأساسية للمساواة، والديموقراطية، والحرية. إنـها قيم عالمية يستطيع كل إنسان وكل شعب أن يطالب بها. فقد برزت، منذ البدء فكرة الرسالة العالمية هذه. فجذَّرت الإحساس بوجوب تأسيس الأمـة علـى قيم سامية، فأعدَّت سلفاً للاعتقاد بشكل ما بالتفوق الأميركي. فأميركا تؤكد، بكل طيبة خاطر، بأنها تجسِّد الخير. تحدَّث العالم السياسي بيار هاسنر عن :« اعتقاد راسـخ بالتطـابق بـين مصلحـة الولايـات المتحـدة الخاصـة

[1] – نورمان مايلر، مقابلة مع الاكسبريس، ١٥ أيار ٢٠٠٣ .

ومصلحة الخير »[1]. وضع البروفسور الأميركي بنجامين باربر التحليل نفسه: « على مدى تاريخنا، حافظنا على فكرة أميركا البريئة أثناء كل خلافاتنا مع عالم صعب وفاسد »[2] عام ١٨٣٥ عندما نشر « الديموقراطية في أميركا » قال ألكسي دي توكفيل بأنه أذهل بهذا الشعور الموجود عند الأميركيين لكونهم « الشعب الوحيد الورع المستنير والحر ».

هكذا نشأ نوع من التفوق الأخلاقي، باستمرار، من الالتزامات الخاصة لجمهورية الولايات المتحدة في الداخل كما في الخارج. استقصى كل من وليام كريستول ولورانس كابلان، وهما اثنان من أهم المثقفين بين المحافظين الجدد، جذور هذه « الاستثنائية الأميركية ». فتصدوا للايمان بفرادة وفضيلة النظام السياسي الأميركي، الذي، في حال أُخذ من زاوية السياسة الأجنبية، يجعل من الولايات المتحدة نموذجاً للعالم. « نموذج، كما قالوا، لأن الإيمان بالمثال العالمي للحرية وليس للنزعة القومية المرتكزة على الأرض والدم، هذا ما حدَّد الفكرة المثالية الأميركية »[3].

ليس من المؤكد بأن يكون جورج و. بوش قرأ كثيراً كتابات وليام كريستول حتى لو كانت مجلة **The Weekly Standard** إحدى المجلات الأسبوعية الأكثر تقديراً في البيت الأبيض، من شبه المؤكد أنه يفتح نادراً

---

[1] – « امبراطورية القوة أو قوة الإمبراطورية » Cahier de chaillot رقم ٥٤ عام ٢٠٠٤ .

[2] – مشار إليه من قبل إيفز بارجه في القاموس المحب لأميركا Rhon ، ٢٠٠٣ .

[3] – وليام كريستول ولورانس كابلان، « مسارنا يبدأ في بغداد ».

المجلة الموالية للمحـافظين الجـدد The new republic . لكـن الرئيـس اعتاد وراثياً على فكرة التفوّق الأميركي، أو أنـها قـد تعـززت عنـده عـبر اعتقاداته الدينية الراسخة. في مقابلة لقنـاة التلفزيـون Fox News في ٢٢ أيلول/ سبتمبر عام ٢٠٠٣، تماماً قبـل لقائـه جـاك شـيراك، شـدَّد علـى الرسالة التي سـوف يوجهـها للرئيـس الفرنسـي: « سـأُذكره، يجـب أن يسمعني أقول ذلك بوضوح وسوف يسمعني بأن أميركـا أمـة طيبـة رسميـاً وشرعياً ».

نشأ عن هذا الاستثناء الأميركي ممارسـتان ممكنتـان. نجـد، بـادئ ذي بدء، مدرسة توماس جيفرسـون (١٧٤٣ - ١٨٢٦). أول وزيـر دولـة وثالث رئيس جمهورية للولايات المتحدة، اعتبر جيفرسون أن بلاده تخدم مسألة الديموقراطية العالمية بالشكل الأفضل، بإيجاد النموذج الحـي بـدلاً مـن استيراده. وكذلـك رأى كونسـي أدامـس (١٧٦٧- ١٨٤٨) الرئيـس السـادس للاتحـاد الأمـيركي، فقـد أدلى بـهذه التوصيـة: « لا تذهبـوا إلى الخـارج لتبحثـوا عـن وحـوش أو مسـوخ لمحاربتـها ». هنـاك المدرسـة الانعزالية التي تفوّت الفرصة على البلد منذ نشأتها. ولها مناصروها دائمـاً على المسرح السياسي الحالي. نجدهم على اليمين، في الحزب الجمهوري، عنـد المحـافظين القدامـى مثـل بـاتريك بوشمـان، أو عنـد مطلقـي مجلـة « The American conservative »؛ وقد نجدهـم علـى اليسار أيضـاً، عند رجال خدعوا بمغـامرات البـلاد في الخـارج، وبنـوع خـاص في القـرن التاسع عشر والقرن العشرين، فقارنوها ببساطة، وبصدق مـع الامبرياليـة.

والتقليد الآخر هو تقليد التدخليّة في شؤون الآخرين، بدون تعقيد وبطريقة عقلية، كما حصل عند الرؤساء أندرو جاكسون (١٨٢٩– ١٨٣٧) وتيودور روزفلت (١٩٠١– ١٩٠٨)، أو بالعكس، تـهجين التبشير الديموقراطي ونزعة الاهتمام باحترام الشرع بدقة، كما حصل مع الرئيس وودرو ويلسون (١٩١٢– ١٩٢٠).

تمسك المحافظون الجدد بالمدرسة الثانية: يجب تصدير النموذج، « الذهاب إلى الخارج ومصارعة الوحوش هناك ». فعظموا مزيجاً من الجاكسونية والويلسونية. لكن هذا التركيب لم تتم تهيئته في كل فترة من تاريخ الولايات المتحدة. إلا أنه ظهر عند نهاية الحرب الباردة، وهي مرحلة تتميز بتطور مزدوج: من جهة، منح تفكك الاتحاد السوفياتي لأميركا وضعية تفوّق عسكري وسياسي لم يسبقها مثيل؛ ونهاية تقسيم العالم إلى جبهتين، من جهة أخرى، ظهرت هنا وهناك قوى بعيدة عن المركز، لكنها بدت بشكل فورات من القومية الحربية، غلب عليها، أحياناً التطرف الديني الذي أنشأ غالباً مراكز صراع وعدم استقرار.

بالنسبة إلى المحافظين الجدد، تمّ الخيار بسرعة: لأميركا القدرة الخلقية والطاقة العسكرية لضبط كل فوضى قد تحصل بعد الحرب الباردة، وهذا يتلاءم مع مستقبلها المسيحاني: تصدير نموذجها الديموقراطي، كما يناسب أيضاً متطلبات أمنها واستقرارها. للأمة الأميركية قيم وعندها القوة، وهذه الأخيرة يجب أن تخدم تصدير تلك – تحدَّث بيار هاسنر عن « الولسونية النموذجية » عند الديموقراطيين،

فالتدخل أصبح واجباً - في البلقان، في الشرق الأدنى، وفي آسيا، كما حصل في التيمور مثلاً - واتخذ شكل الرسالة المقبولة بالحد الأدنى، وأحياناً مع تحفظ. وتحدثت وزيرة الدولة للرئيس بل كلينتون، مادلين أولبرايت عن ولايات متحدة وكأنها « الأمة الضرورية » لحالة صراعات ما بعد الحرب الباردة؛ إنه جمهوري، معتدل، ومتخصص بالسياسة الخارجية، ريتشارد هاس (الذي ترك حكومة جورج و. بوش) . وفي كتاب بعنوان **The reluctant sheriff** ، وصف أميركا المكلّفة، تقريباً رغماً عنها، بمهمات الحفاظ على السلام في التسعينيات من القرن العشرين وما يليها: فأوحى اختصاصياً في السياسة أصيلين هما وليام اودوم وروبرت دو جاريك، بولادة « إمبراطورية الأخطاء »[1].

لا شيء من هذا عند المحافظين الجدد لأنهم يحملون عالياً وبفخر راية أميركا التي أصبحت إمبراطورية، وعليها ألاّ تخشى الاضطلاع بهذه الإمبراطورية. عدا ذلك، فأميركا حالياً ليست مثل القوى الإمبراطورية الأخرى: فهي لا تبحث عن بسط توسعها باحتلال بلدان أو أراضي، بل تسعى بكل بساطة إلى نشر أفكارها. وأفكارها جيدة: إنها أفكار الديموقراطية وحقوق الإنسان. كما تكمن أفكارها في قلب أنظمة الحكم في دول الشرق الأدنى المرتكزة على الاستبدادية العاجزة والتي تغذي « الإرهاب الإسلامي »، الذي اختار أميركا وحلفاءها كأهداف له. فأميركا «ليس من واجبها لعب دور بوليس أو شريف العالم، عليها أن

---

[1]- America's Inadvertent Empire, Yale University Press, 2004

تكون المنارة والمرشد »، هذا ما قاله كريستول وكابلان [1] . فقد حمل همّ نشر الديموقراطية: « أين يكمن السوء في التسلُّط عندما يكون ذلك من أجل نشر مبادئ سليمة وأهداف شريفة ؟ » تساءلوا قبل التأكيد : « لا نستخدم قواتنا إلا لأهداف أخلاقية » [2]. إنها شؤون مشتركة لضرورات استراتيجية وأخلاقية لكنها أيضاً أمانة للرسالة الأصلية للبلد، ولمصيره الظاهر: « إذا تركنا الساحة التي أوصانا بها التاريخ بسبب الخضوع، أو إنكار الذات، أو لمصلحة قومية، فالفوضى التي تلي ذلك لا تتأخر عن بلوغ شواطئنا ؟ »

متردد بين الجامعة والحكومة، جسّد المتخصّص بالعلوم السياسية بول وولفوفيتز هذه الحساسية للمحافظين الجدد بشكل كلي عندما أوكل لأميركا مهمة نشر الديموقراطية، في **Time magazine** [3] قبل إعلان الحرب في العراق بعدة أشهر، فقال: « أتساءل عن هذا البلد، بادئ ذي بدء، بماذا يؤمن ؟ عمّا يدافع من قيم ؟ هذا البلد، إنه ابسط من كيان فيزيائي ». ثم يضيف: « إذا لم نكن أمناء على مبادئنا، فسوف لا نخدم مصالح أمتنا ».

نجد أمتنا هذا الاعتقاد الراسخ للتطابق بين الأمر الأخلاقي والضرورة الاستراتيجية. أصبح وولفويتز أحد أهم المدافعين عن الحرب في

---

[1] - مسارنا يبدأ في بغداد ، Notre route commence à baghdad , ibid .

[2] – المرجع السابق نفسه.

[3] – في ٢٧ كانون الثاني عام ٢٠٠٣ .

العراق منذ اليوم التالي لأحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١. أوكل بمهمة في جنوب شرقي آسيا لمصلحة الدولة عام ١٩٨٠، فبذل وولفويتز كل جهده لإبعاد الفيليبين عن سلطة فرديناند ماركوس، وكسفير في أندونيسيا من العام ١٩٨٦ لغاية ١٩٨٩، حارب علناً من أجل تغيير النظام في جاكرتا وإبعاد الدكتاتور سوهارتو. رسم هنري كيسنجر، الاختصاصي الواقعي في السياسة الخارجية في كتابه « A World restores »، وصفاً لوولفويتز غير القادر على إدراك كون المطالب الأخلاقية تفترض بحثاً خطيراً في المطلق، ورفضاً للتفرُّد ورداً للتاريخ. علامَ يجيب وولفويتز عندما يقول عن كيسنجر بأنه لم يفهم أميركا. يتذكر المتخصص بالسياسة فرنسيس فوكويوما من خلال مقابلة على الهواء: « يقول وولفويتز بأن الأمر الذي لم يتلاءم مع كيسنجر هو أنه لم يدرك أهداف ومرامي البلد الذي يعيش فيه؛ ولأنه لم يدرك أيضاً أنه بلد يعمل لأجل بعض المبادئ العالمية »[1] . إن وولفويتز أكثر تعلقاً في الدفاع عن الحرية السياسية من حفاظه على التوازنات الاستراتيجية، يقول صديقه فوكويوما.

دون أن تتخذ الأمور شكلاً نظرياً، كثيرون من الأميركيين يشاطرون إرادياً مقاربة المحافظين الجدد بالنسبة إلى دور المهمة الأميركية. قال عميد مدرسة ستانفورد للإدارة والأعمال في كاليفورنيا، روبرت دجو: «الأميركيون مقتنعون بأنهم يسعون لتأمين الحرية للعالم بأسره، ونحن

[1] - مقابلة أجريت في ٣٠ كانون الثاني / يناير عام ٢٠٠٤.

مستعدون لدفع الثمن الغالي، أنا أعلم أن هذا يبدو ساذجاً للغاية في نظر الأوروبيين، إلا أنه اعتقاد راسخ خاص للسواد الأعظم من الأميركيين. وإنهم ينزعجون عندما يرون أن البعض قد يحكم على تحركاتهم بشكل مختلف »[1].

في خضم الفوضى التي نشأت بعد الحرب الباردة، قادت هذه الحالة الذهنية المحافظون الجدد إلى مغازلة فكرة الإمبراطورية. على الدولة المتفوقة الوحيدة في العالم تأمين هذا الدور الإمبريالي ، هذا هو مصيرها. كتب المحافظ الجديد آليوت أبرام الذي انتقل من البيت الأبيض مع رونالد ريغن إلى البيت الأبيض مع جورج و. بوش. وذلك عام ١٩٩٢، فيما يتعلق بالواجبات الحتمية على أميركا من الآن وصاعداً: إنها أمة كفيلة بعمق بتأمين قواعد السلوك العالمي الجيد وتملك القوة الكافية كي تتمكن من تطبيقها، وعلى هذه الأمة أن تضطلع بالدور الذي يؤمن التوازن، في عالم اليوم، من أجل ذلك نجد بلداً واحداً قادراً على هذا الدور، هو الولايات المتحدة [2]. وضع أبرام عنواناً لمقاله: « لماذا على أميركا أن توجّه ؟ » إنه في البيت الأبيض مع جورج و. بوش ومكلف بشؤون الشرق الأوسط.

ما البديل عن السيطرة الأميركية؟ إنه « عالم الفوضى، يذكر كريستول كاغان، حيث لا وجود لأية سلطة قادرة على منع الاعتداء

1- Courrier International Sept 2003 .

2- The National Internet , Summer 1992

وتأمين السلام والأمن واحترام الأنظمة العالمية »[1] كمدافع متوهج عن مفهوم الإمبراطورية الأميركية ارتأى المحافظ الجديد ماكس بوت M. Boot « بأنه لا ينفع بشيء الخوف من الكلمات » : فأميركا هي امبراطورية ، « ومصيرها بأن تلعب دور البوليس في العالم »[2]. فهو يدعوها لتقوم بمهمتها : « فرض دولة القانون ، وفرض احترام حرية التعبير وقواعد الملكية ، والسلاح في اليد إذا اقتضى الأمر »[3]. وبأسلوب أكثر تحضراً عبر خطاب رئاسي أدلى به الرئيس الأميركي جورج و. بوش أمام المؤسسة الوطنية المالية من أجل الديموقراطية ، وهي المؤسسة التي أوجدها الرئيس ريغن لنشر الديموقراطية ، فقال : « سننشر السلام بتشجيع ارتقاء المجتمعات الحرة والمفتوحة على كل القارات ».

هل هو برنامج مدمّر ؟ اتخذ المحافظون الجدد المجازفة طوعياً. والخطر الحقيقي يكمن في عملية توازن القوى وليس في التغيير. أوجز ميكاييل ليدن ، المحافظ الجديد الأكثر راديكالية ، فلسفة على طريقة شوميتر : « أميركا هي بلد مدمّر بشكل رهيب. في العالم نجد أناساً يحبوننا ، والكثيرون منهم يكرهوننا لأننا نوبخهم في كل يوم. نخلق لهم القلاقل في كل ميادين الحياة ، إن في عالم الأعمال ، أو الاقتصاد ، أو التسلية والمرح ، أو في الرياضة ، لا نترك مجالاً على الإطلاق. فالتدمير المبدع هو ميزتنا الفارقة. وهكذا نهدّد استقرار كل بلدان العالم. إحدى

---

[1] – مسارنا يبدأ في بغداد، مرجع سابق .

[2]- The Economist, 16 Aout 2003 .

[3] – ماكس بوت، Financial Times ١٣ آذار ٢٠٠٤ .

الأسباب التي تؤدي إلى أن يحبوننا في العالم تكمن، بالمقابل في معاكسة ديبلوماسيتنا: أولئك الذين ينوّهون باستمرار بمزايا الاستقرار.

وبالنتيجة فالاستقرار ليس ما نريده نحن، ولم تولد الولايات المتحدة من أجله. نحن مجتمع ثوري كبير في العالم ونريد الثورة. ولا نريد الاستقرار. نريد اسقاط كل الظالمين المستبدين، في هذه الحالة، يبشر لادين بسقوط الطالبان الأفغان وبالإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين. وكان ذلك في ٢٩ تشرين الأول / أوكتوبر عام ٢٠٠١، أي بعد اعتداءات القاعدة بعدة أسابيع. واضاف ليدين « فوق كل شيء نجسّد رؤية مسيحيانية يبدو انتصارها أكيداً. ورسالتنا الموجَّهة إلى العالم هي رؤيتنا المسيحيانية: انتصار الحرية في كل مكان من العالم. هذا الأمر يشكل جزءاً من تركيب الـ DNA فينا ». [1]

من هذا الـ DNA الخاص، من هذه الرسالة المميزة المفروضة على أميركا، ومن الثقل الذي نعتبره فينا، ينتج تشريع قانوني فريد، وفقاً لمنطق التقليد الحديث: لأن ليس لدينا مسؤوليات وحيدة. لا تخضع الولايات المتحدة للالتزامات نفسها التي تخضع لها البلدان الأخرى. وليس ذلك ما تفكّر فيه بالتأكيد حكومة بوش، إنما ذلك ما هو موجود في ذهن العديد من المحافظين الجدد، وبصورة خاصة جون بولتون، الذي يمكننا أن نقول عنه بإنصاف بأنه رئيس الفريق. أنيق المظهر، شعره أبيض مصفف ، هذا المحامي البارع، أمضى عدة سنوات في إدارة

---

[1] - مؤتمر الـ American entreprise institute .

الـ American Enterprise Institute ، يشغل في الدولة منصب نائب وكيل الوزارة ومكلف بضبط المعدات الحربية والأمن العالمي. إنه رجل المعاهدات. والحالة هذه، إذا قبل بأن الولايات المتحدة توقع معاهدات، فهو يوضح بأنه لا يتوقع أن تكون هذه المعاهدات على صلة وثيقة بحكوماتها .. لا أحد يعلو على النص الأساسي للدستور. إذا حصل أن أدّت معاهدة إلى الحد من حرية العمل الأميركي في إتمام مهمتها كمحسنة، فالدستور، أو القانون الأسمى، يجيز إمكانية تجاهل ما يسمّى معاهدة. وهذا الأمر موجود على الأقل في الفكر الدستوري للمحافظ الجديد كما أوضح جون بولتون.

لا يوجد إلا مصدر وحيد لشرعية عمل الولايات المتحدة: الدستور أو القانون الأساسي. وهذا الأخير صحيح في الداخل كما هو صحيح في الخارج. وسوف يسعى جون بولتون لاعفاء الولايات المتحدة من عدد من الالتزامات المتعددة الجوانب الموروثة من حكومة كلينتون. ففي نظره، لا يحتاج استخدام القوة في الخارج إلى موافقة من منظمة الأمم المتحدة، خاصة عندما يمكن أن يؤيد ذلك شرعية الدفاع كما تم تصوّره منذ اعتداءات الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١. قام ريتشارد بيرل، أحد القادة في الـ AEI بإيجاز هذه المسالة: « هل أن فعل التضامن مع الدكتاتوريات التي تعمر في منظمة الأمم المتحدة (وهي المنظمة التي يتم

فيها بيع وشراء الأصوات والقرارات) يمكن أن يزيد من شرعية استخدام القوة ؟ »[1]

ها هي الحجة التي تبرر دخول الولايات المتحدة إلى العراق، ولماذا ذهبوا بدون موافقة منظمة الأمم المتحدة، بوجه آخر بدون المرور بنيويورك. مع العلم أن كل شيء بدأ هنا، في نيويورك بالضبط.

1 – مؤتمر في براغ للـ Commission trilaterale تشرين الأول / أوكتوبر ٢٠٠٢ .

نيويورك

وقبب السيتي كولدج

تخيّل كافتيريا رديئة، في إحدى زواياها طاولة لكرة الطاولة بلا شباك، وفي زاوية أخرى نوع من القباب، مع خشبات مسارح نقالة وكراسي مريحة. كان ذلك في سنوات الثلاثين من القرن العشرين المنتهية ولا يزال عليها طابع الانهيار الكبير من جراء الأزمة الاقتصادية التي أغرقت ملايين الأميركيين في التعاسة، ومطعم السيتي كولدج في نيويورك CCNY لم يبق في هذه الأمكنة مجالاً للاستراحة. وهي التي كانت تميز غالباً أبنية الجامعات الأميركية، فانتشر الفقر في كل مكان، وفي هذا « المانهاتان » العالي الذي يجاور « هارلم ». لكن الأميركيين يفتخرون فعلاً بالـ« سيتي كولدج ». فقد بدأت هذه المؤسسة مع مطلع القرن العشرين وهي تستقبل أولاد العائلات التي فقدت أموالها، ولا يمكنها دفع أقساط الجامعات الكبرى، تجمَّعت فيما يطلق عليه « إيفي ليج ». فجامعة كولومبيا، القريبة جداً، باهظة التكاليف، حتى لا نتكلم عن جامعة « هارفرد » أو « برنستون ». بالإضافة إلى ذلك، حصل نزاع بينها غير معلن لكنه معروف من الكل، مارس « إيفي ليج »، آنذاك، سياسة الحصص النسبية لغير البروتستانت، في مطلق الأحوال لليهود.

بالمقابل تعتبر السيتي كولدج « هارفرد الفقراء » وسوف تصبح المؤسسة المجانية تمهيدية لشهادات الإجازة للآلاف من حملة البكالوريا من اصل يهودي، إيطالي وأيرلندي من الذين لا تملك عائلاتهم وسائل مطلقاً، وهم يأتون من برونكس، من بروكلن، ومن « لوير إيست سايد » ومن أحياء نيويورك حيث يقطن مهاجرون جدد. ويعمل أهلهم في إحدى الأنشطة الأساسية في نيويورك: مثل صناعة الألبسة الجاهزة، أو مهنة النادل، أو عمال المرفأ. كلهم أعضاء نقابات: وصلوا حديثاً من أوروبا مع انتماءاتهم السياسية: اشتراكيون أو شيوعيون، لا بل، تروتسكيون. لكن اهتمامهم الأولي هو حب البقاء والعيش.

فطلاب السيتي كولدج هم أولادهم، وهم يعشقون السياسة، وفي الكافيتريا بالضبط. فهي مقسمة إلى قباب تحولت إلى مواقع سياسية جبهاتها محصورة. منها اثنتان يعلو فيهما الضجيج أكثر من الأخرى. فالقبة الثانية مكان لقاء الشيوعيين الموالين للستالينية، والقبة الأولى تستقبل التروتسكيين، وقبة الاشتراكيين غير الستالينيين. ستصبح مهد المحافظون الجدد. والحركة ستأتي من هنا، من هذه الزاوية من الكافيتريا في الطابق الأول تحت مستوى الأرض في السيتي كولدج في نيويورك المنخفضة.

إذاً القبة الأولى هي مكان الولادة الوهمية، حيث يتواجد فتيان مثقفين اشتراكيين، أعضاء في « اتحاد الطلاب الاشتراكيين الفتيان YPSEL » العضو في الأممية العالمية الرابعة (التروتسكية). كانت

التقليدانية الجديدة، بادئ ذي بدء، قصة نيويوركية، والأدق مغامرة ثقافية نيويوركية، ومعظمها من اليهود والإيرلنديين. إنها مجرَّد أناس من اليسار لكنهم مناهضين للستالينيين. لم تختلف هذه الميزة الآتية من الجذور مطلقاً، وعلى مر السنوات، فقادت المحافظين الجدد إلى ابعد من ذلك كثيراً: إلى البيت الأبيض، إلى واشنطن، إلى محيط الرؤساء الجمهوريين رونالد ريغن وجورج و. بوش.

عرف رواد القبة الأولى، خلال هذه السنوات، بأسمائهم إيرفنغ كريستول.. إيرفنغ هاو، دانيال بيل، ناتان جلازر، وغيرهم. وقد تحدثوا خلال ساعات وساعات فأغنوا أفكارهم وتبادلوها، وأعادوا صنع العالم [1]. درسوا التاريخ، وعلم السياسة، وعلم الاجتماع، والأدب. قرأوا الـ **Partisan Review** . كانت السيتي كولدج مكاناً مسيّساً بامتياز. فهؤلاء الفتيان كانوا من المتألقين. فخصّص إيرفنغ هاو إضافة إلى ايام المناظرات الخطابية **Intellas** . ناقد لطيف، أوضح دانيال بيل: « لنفترض أن تعريف المثقف النيويوركي هو الذي نمنحه دقيقتين يستطيع بعدها أن يتحدث لمدة ١٥ دقيقة عن أي موضوع كان في العالم »[2]. قال رئيس تحرير مجلة **Commentary**، نورمان بودهورتز عن مجموعة السيتي كولدج: « إنهم أناس يعتبرون الأفكار أهم من كل شيء، وهي غالباً أهم

---

[1] - عدد من افكار هذا الفصل مستوحاة من الكتاب المعروف لجوزف دورمان بعنوان:
Arguing the world , the new york intellectuels in their own work , University of chicago 2001.

[2] - المرجع السابق، جوزف دورمان، ص ٣٦ .

من العلاقات الشخصية ». فقد رووا بأنفسهم قائلين بأن الاشتراكية والماركسية أعطتا معنى لهذه الأزمنة بقساوتها الاقتصادية، خاصة ما قبل الحرب العالمية الثانية وارتقاء الفاشية. إنما، خلافاً لعدد من معاصريهم الأوروبيين فإنهم يحتقرون ستالين والسوفياتية.

في هذه الأوساط اليهودية النيويوركية، كان الانتماء إلى عالم اليسار الاشتراكي مألوفاً، وشبه عائلي. كان إيرفنغ كريستول وخطيبته المؤرخة جرترود هيمالغارب يتواجدان مساءً في اجتماعات شعبة بروكلين التابع لـ YPSEL . « من الطبيعي أن تكون يسارياً، بصورة خاصة إذا كنت يهودياً، قال إيرفنغ كريستول. فالمسالة الوحيدة التي تطرح كانت في معرفة أي فرع من اليسار أو من الاشتراكية، تريد الانتماء إليه »[1]. فقد انتقت مجموعة القبة الأولى خيارها، وليس فقط بالرفض العميق للدكتاتورية الستالينية. « فقد كان الوضع مثيراً جداً، من الناحية الثقافية، لكي تكون مع التروتسكيين، أردفت جرترود هيمالغارب (يقال لها بيا) بكل بساطة، فقد كانوا الأكثر ذكاءً »[2].

فشعار التروتسكية ليس محايداً، فقد حوّل عدداً من المؤمنين في القبة الأولى من المعادين للستالينية إلى المعادين للسوفياتية ومن المعادين للسوفياتية إلى المعادين للشيوعية. لم يخرق خط الفصل والانقسام الأوساط

---

[1] – أشارت إلى ذلك نينا إيستون في كتابها :

Leaders at the center of the conservative, Gang of Five , Crusade , Simon and schuster.

[2] – المرجع السابق، نينا إيستون.

الثقافية فقط، فخارج السيتي كولدج، وبصورة خاصة نقابات قطاع الملابس الجاهزة وغيرها من النقابات، انقسمت بين شيوعيين ارثوذوكس وتروتسكيين. هكذا أصبحت الطرق التقليدية الأميركية المعادية للشيوعية ملتوية.

بتمركزه في موسكو، قبل الحرب العالمية الثانية، اختار الشيوعي الأميركي جاي لوفستون الفريق السيء، فريق بوخارين، وذلك إثر قيام ستالين بالغاء تروتسكي، وعندما أُرغم على العودة إلى الولايات المتحدة، طُرد فوراً من الحزب الشيوعي الأميركي PCUS . فأسّس حزباً مناهضاً للستالينية يحمل الاسم التالي: حزب تجمع الغالبية الشيوعية Communist Party Majority Group . إنما وبفضل تجربته في موسكو والصراعات التي حصلت مع التروتسكيين ضد الستالينيين، اصبح لوفستون، لاحقاً، أحد المسؤولين في المركز النقابي الكبير AFL - CIO ، ومن ثم أحد الاختصاصيين في النضال ضد الشيوعية. وجه آخر من هذا اليسار الأميركي المعادي للشيوعية، ماكس شوشتمان - تروتسكي أيضاً - ظلّل عدداً من فتيان الحزب الديموقراطي بمحاربته السوفياتية النضالية. فقاد بعضاً منهم (عرفوا بالشاشتمانيين) إلى العمل في الستينات والسبعينات من القرن العشرين مع السيناتور الديموقراطي هنري جاكسون، أحد « صقور » الحرب الباردة، وأحد الرجال من الذين برزوا في تاريخ المحافظين الجدد.

فرّقت الحرب بين رفاق القبة الأولى. فالتحق إيرفنغ كريستول بالجيش، فتورط في منطقة العمليات العسكرية في أوروبا. واعترف مؤخراً أن هذه السنوات كانت سنوات تعلّم وخبرة. بمغادرته وسط السيتي كولدج واجه الحياة الحقيقة. فأميركا لم تبقَ نيويورك فقط التي لم تكن الستي كولدج. جاء رفاقه الجدد في المعارك من أحياء البؤس في شيكاغو. إنهم قساة. بما أنه واقعي، أدرك إيرفنغ كريستول أن أجواء الأممية العالمية الرابعة ليست الانقلاب الطبيعي لرجال من وحدته (العسكرية): « لا أريد أن ابني الاشتراكية مع مثل هؤلاء الناس. فأنهم يستولون على النظام ويمولونه إلى ابتزاز رهيب ».[1] هنا كانت بداية ما عرف « بالمثقفين النيويوركيين وغايتهم إزالة كل أنواع التعصب».

أوقفت الحرب حالة الانهيار. وأصبحت أميركا في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين في أوج نموها الاقتصادي (ارتفاع الدخل القومي). وتوزع فريق كريستول وأصدقاؤه بين اساتذة، ومدراء مجلات. فتبرجزوا، لكنهم بقوا دائماً في اليسار، وصوتوا للديموقراطي، وحتى أنهم تمركزوا على يسار اليسار الديموقراطي. لم يشأوا مطلقاً القيام « بالثورة »؛ اكتفوا بالعمل السياسي فقط. في مقدمة أحد كتبه « أوهام التحرُّر The liberal imagination »[2] قال ليونيل تريللنغ نقلاً عن شارل بيجاي: « كل شيء يبدأ بشكل مجازي وينتهي في السياسة ».

---

[1] – مرجع سابق، نينا إيستون.

[2] – هاركوت Harcout ١٩٧٩ .

استوحى إيرفنغ كريستول أفكار الكاتب الكاثوليكي الاشتراكي الفرنسي تحت شعار أحد مؤلفاته: « أفكار التقليد الجديد Reflection of a Neoconservative ».

وكونهم ضد الشيوعيين لم يوافقوا على أسلوب مطاردة الساحرات الذي اعتمده السيناتور الجمهوري جوزف مكارثي، إلا أنهم تأسفوا، فيما بعد، كيف أنهم لم يقوموا بمحاربته بوضوح أفضل، في أواسط الخمسينات من القرن العشرين، وفي أوج الحرب الباردة، شرع مكارثي بمطاردة المتعاطفين مع الشيوعيين في الإدارة، وفي الصحافة، وفي أوساط المسرح والسينما. ففسخ آلاف عقود العمل على أساس إفادات واستعلامات غالباً ما كانت خاطئة. بالمقابل، شارك الطلاب القدامى للسيتي كولدج في صراعات السود من أجل المساواة المدنية. أصبح عدداً من بينهم من مبتكري ولفار ستايت Walfare state، دولة العناية الإلهية هذه التي أعادت الأمور إلى نصابها مع حكومات كينيدي ١٩٦٠ - ١٩٦٣ ومن بعده خاصة جونسون ١٩٦٣ - ١٩٦٨ تحت شعار « المجتمع العظيم Great society » آمنوا بالعدالة الاجتماعية وبتنظيم الضريبة. وآمنوا بالانطلاق عبر الاستهلاك العام، وآمنوا بالسياسة من أجل بلبلة النظام الاجتماعي. فشكل اليهود والأيرلنديون مع السود جزءاً من التحالف الديموقراطي الذي سيطر على الحياة السياسية خلال الستينيات والسبعينات من القرن العشرين. فتصدَّر قدامى السيتي كولدج المستوى الثقافي. فأوجدوا وحولوا مجلات محدودة النسخ، لكنهم أطلقوا السجالات

آنـذاك : The public interest تأسسـت بمشـاركة ايرفنـغ كريسـتول ودانيـال بيـل، Commentary تحولـت ترجمتـها مـن نشـرة في الـ American Jewish Committee حيث إن نورمـان بودهورتـز أصبـح ناشرها لزمن طويل، ومن ثم The National Interest .

انقسم المعادون للشيوعية حـول الحـرب في فيتنـام، منـهم مـن ايّـد الحرب، والآخرون كـانوا ضـد خوضـها. فـهي إحـدى جبـهات الحـرب الباردة، ولكنها تعبير عن النـزعة القومية الفيتنامية أيضـاً. ففرنسـا كقـوة استعمارية في الهند الصينية عـام ١٩٥٤، اسـتطاعت أن تشـرك الولايـات المتحدة في هذا الاستعمار إلى أن حلت مكانـه بحجـة الوقـوف بوجـه المـد الشيوعي. فورّط الرؤساء الديموقراطيـون جـون ف. كينيـدي وليـندون ب. جونسون أميركا في حرب ستنسحب منـها قاتلـة ومهانـة في نيسـان عـام ١٩٧٥.

وكانت غبطة ما بعد الحرب، فتركت مكانها لأجواء شبيهة بأجواء الستينات من القرن العشرين التي انتـهت: ارتفـاع مفـاجئ في الاقتصـاد، وأمراض اجتماعية ثقيلة، العنصرية العرقية، العنف المديـني والسياسـي، والفقر المستمر، كل ذلك مصدره الحرب الفيتنامية.

فحل الشـك مكـان التفـاؤل وفخـر ازدهـار الخمسينات مـن القرن العشرين، فظهر يسار جديد في الحرم الجامعي: في العام ١٩٦٢، قام فتى في الثانيـة والعشـرين مـن عمـره بوضـع أسـس حـزب جديـد، الـ Students for a democratic society = SDS أي « طلاب لمجتمع

ديموقراطي » . فارتضى هذا اليسار بشكل من أشكال العنف، ووافق على ترسيخ كفاح السود الأميركيين. فأشاع نبرة أكثر قساوة عن كل اليسار الديموقراطي، أثّرت إلى مدى بعيد على حماقة العصر، وعلى نيويورك تايمز في الـ CSB . فالوصف الذي اعطى للولايات المتحدة كان وصف بلد امبريالي (خاصة في فيتنام وفي أميركا اللاتينية)، عنصري، فاشستي، عنيف. فأميركا، صاحبة العديد من الهزائم، مذنبة في العديد من الأخطاء، وغير مشرّع لها في محاربة الاتحاد السوفياتي، فقيمها ليست أفضل من قيم منافسها السوفياتي. يحمل المناخ القائم رفضية جذرية، استدعت الوصول إلى التحرُّر الجنسي، والى فردانية متفاقمة، والى اتهام كل شكل من أشكال السلطة.

لم يسمع صوت متمردو القبة الأولى عبر هذا اللوم والتنديد. بل إنهم سوف يتمردون على تمرُّد السكستيين Sixties ، قال أحدهم. على الجبهة الداخلية بداية، شاركوا ببرامج « المجتمع العظيم Great Society »، وعمل بعضهم، مثل بن واتنبرغ، في البيت الأبيض في عهد الرئيس جونسون. لكنهم كانوا الأول في رسم حدود هندسة برنامج اجتماعي أوجد ظاهرات ارتباط، لكنه لم يحصل حكماً على النتائج المرجوة في الصراع ضد الفقر أو ضد محاجر الأقليات المنبوذة في المدن. فلم يروا الدولة كالشيطان، واتخذوا وسيلة تعين حدود فصلهم. ولاحظوا أن هذا الفعل يمكن أن يكون له اثر معاكس لما يرجى منه. كما أكّدوا، إضافة إلى ذلك بأنهم قليلاً ما يطرحون أسئلة مربكة. إنه الوقت المناسب كي يلاحظ الاقتصادي اليساري

الكبير جايمس توبين (صاحب الضريبة) أن « برامجنا للمساعدة العامة توحي بأنها ستكون مصممة بوعي من أجل استمرار الشروط التي تفترض التحسين »[1].

في ذلك الوقت، كتب طالب جامعي مؤيد لليسار الديموقراطي يدعى دانيال باتريك موانيهان، وهو أحد اللامعين، ومن الأشخاص الأكثر جاذبية في المسرح الأميركي العام، فوضع دراسة عن السود غير صحيحة سياسياً. أشار موانيهان إلى النتائج المضللة لنظام المساعدات الاجتماعية – وبصورة خاصة المساعدة المالية المخصصة للأمهات العازبات – التي برأيه، سوف تفكك العائلة الأميركية عند السود. فاستنتج، استناداً إلى الاحصاءات، أن العائلة التي فيها والد أو والدة فقط، وحيث إن الأم وحدها تربي الأولاد، تشكل عاملاً مستمراً لحدوث الفقر. وهل الحقيقة الاجتماعية تناقض البرنامج الاجتماعي؟ إيرفنغ كريستول يقول: « إن المحافظ الجديد هو رجل يساري اعتدي عليه من الحقيقة »[2].

في الستينات من القرن الماضي، لم يجرؤ أحد على البوح بما قدمه موانيهان. إذ سوف تصبح طروحاته، بعد ثلاثين سنة، طروحات شخصيات اليسار من أمثال هيلاري كلينتون. إنما كونه قال الحقيقة باكراً جداً أصبح منبوذاً في وسطه. فقد أهمله اليسار . وترك الحكومة ووجد ملاذاً في هارفرد، شارك في مجلة The public interest مع كل فريق

[1] – جايمس توبين، أشار إلى ذلك البير وروبرتا وولستانر ٢٧ آب ١٩٦٨.

[2]- Two cheers for capitalism, Basic Books, 1978 .

القبة الأولى – ايرفنغ كريستول، ناتان جلايزر (الذي سوف يكتب مع دايفيد ريسمان الأكثر رواجاً **Best seller** الجمهور المنعزل)[1] ودانيال بيل. « أدرك موانيهان، كتبت النيويورك تايمز، إن الفكرة الصحيحة سياسياً، كما نسميها اليوم، تضعف قدرة الحكومة على العمل لمصلحة المحرومين »[2].

في العام ١٩٦٥، في حرم جامعة هارفرد المتحمّس، الواقع فريسة الثورة الطلابية، ظهر موانيهان كعدو متحدي للتقاليد. فتناسب خطابه بشكل سيئ مع الفكرة الفريدة لمكونات العصر. هدّد طلاب أصوليون بحرق منزله، فاضطرت زوجته وأولاده إلى مغادرته. « مرتهن » لمسار المحافظين الجدد بشكل نموذجي: قام بخدمة إدارة الرئيس كنيدي الديموقراطية، وخدم في إدارات الجمهوريين مع الرئيس ريتشارد نيكسون، الذي كان معجباً بمقالاته في الـ **Commentary** ومن ثمّ عيّنه سفيراً في الهند، وفي عهد الرئيس جيرالد فورد أصبح ممثلاً للولايات المتحدة في منظمة الأمم المتحدة **ONU** . إلا أنه لم يتوقف عن القول بأنه ديموقراطي وهو كذلك، وبهذه السمة التي حملها عام ١٩٧٦ بحصوله على أحد مقاعد مشايخ نيويورك. فقدَّم أربع نيابات إلى مجلس الشيوخ قبل أن يتحول إلى التقاعد ويترك مكانه إلى هيلاري كلينتون.

---

[1] – الترجمة الفرنسية، مقدمة آدجار مورين، أرتود، ١٩٦٤ .

[2] – جاكوب وايزبرغ، وصف د.ب. موانيهان The New York times magazine ، ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠٠٠ .

بوجهه القاني المتوقد وبثقافته العارمة، وبدعابته القاسية والشرسة، انتقد موااينيهان مع اليمين (ضد معتقدات اليسار)، وقاتل مع اليسار (ضد كل أنواع التعصب عند الحزب الجمهوري). بالنسبة إليه كما بالنسبة لآخرين كثر، تعتبر التقليدانية الجديدة على الأقل مسالة ترجمة حياة كما هي اعتقاد أيديولوجي راسخ.

لم تكن الجبهة الخارجية أقل تحركاً ونشاطاً. فأعلنت حرب فيتنام من قبل عدد من المحافظين الجدد. لكنهم لم ينسوا أصولهم: يجب ألاَّ يتحول نقد الرهان الأميركي في فيتنام إلى مجاملة مهما كانت مع الاتحاد السوفياتي. فالمحافظ الجديد هو ديموقراطي لم ينف حقيقة الحرب الباردة في أواسط السبعينات.

هنا أيضاً، أحدث هذا الوضع انشقاقاً مع قسم كبير من اليسار المثقف آنذاك ومع الحزب الديموقراطي. أوضح جايمس و. سيزر أستاذ في جامعة فيرجينيا، وفي شارلو تفيل، مؤرخ وفيلسوف للأفكار السياسية قائلاً: « في الحزب الديموقراطي حدث انقسام أساسي. إنفصال. من تداعيات الحرب في فيتنام، فظهر خطاب معادي للشيوعية. فنحن (الولايات المتحدة) لسنا أفضل منهم، أي الشيوعيين. اتخذ خطاب نقد ذاتي حاد شكلاً جديداً تمَّ عبره طرح تساؤل حول أُسس المعركة المطروحة ضد السوفيات: بناء على أي تفوّق - أخلاقي، اجتماعي، سياسي - حتى نقود هذه المعركة، نحن، الذين نستعمل العوابل [1]، ونرقي بسرعة

---

[1] - العابل: مُسقط أوراق الأشجار (معنى مجازي).

الجماهير المدنية، وندعم الدكتاتوريين باسم مقتضيات الحرب الباردة[1]؟ « فالمشكلة فينا إذن » من هنا ضرورة رفض الاعتقاد بالتفوق الأخلاقي لأميركا، لا بل تفوقها في نظامها الاقتصادي والاجتماعي .

حطَّم المحافظون الجدد كل الأقنية مع الجبهة المضادة للامبريالية التي تكونت في منظمة الأمم المتحدة وأعادوا جمع جيش الأنظمة الآسيوية، والشرق الأدنى، وأفريقيا، وكلها أكثر ديكتاتورية من الآخرين. نقض المحافظون الجدد قرار الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة المعروف الذي يشبِّه الصهيونية بالعنصرية. في المقدمة هاجم موانيهان منظمة الأمم المتحدة في نيويورك علانية كما هاجم أيضاً خبث هؤلاء الظالمين في العالم الثالث الذين يملون أمثولات في الديموقراطية على الولايات المتحدة. فندَّد بوقاحة واستخفاف السوفيات، الذين هيمنوا واستثمروا زبانيتهم في العالم الثالث باسم قداسة التضامن الثوري. مارس موانيهان، بديبلوماسية هشة الحملة الجبهوية، خاصة بعد طعام الفطور: لم يستند هذا الأميركي من أصل أيرلندي إلى المياه المعدنية. ولم يستند مطلقاً على الممارسة الديبلوماسية التي اعتز بها هنري كيسنجر في وزارة الدولة. في واشنطن : تم تنظيم ما عرف باسم **modus vivendi** مع الاتحاد السوفياتي، كما عرف باسم « الانفراج السياسي »، إنما حيث « الثنائية، **Pat** »، على منوال ديموقراطية أخرى، « جين كيركباتريك »

---

[1] – محادثة شارلو تفيل، ٣١ كانون الثاني عام ٢٠٠٤ .

القاضي الوحيد الذي استنتج منه الكرملين إفادة. ملّ كيسنجر العمل فأعفى عام ١٩٧٦ موانيهان من منصبه في منظمة الأمم المتحدة.

أخيراً، نجد خطأً شخصياً فاصلاً، وشبه عائلي، فهو يلامس مصادر مجموعة القبة الأولى. إنها مسالة اجتماعية أدت إلى انقسام اليسار الديموقراطي، أو بالأحرى ساهمت في فعل المحافظين الجدد. هؤلاء الأبناء أو الأحفاد الناجين اليهود من ذبائح أوروبا المعادية للسامية، هؤلاء الأبناء والأحفاد للفلاحين، الأيرلنديين الذين هربوا من المجاعة لم يتمكنوا من المشاركة في التحقير الذاتي للاستسلام لأميركا في هذه السنوات بالذات. احتراماً لتضحيات آبائهم وأمهاتهم التي قاموا بها وما أصبحوا عليه: جامعيون، صحافيون أعضاء في الديوان الوزاري. لا يستطيع نورمان بودهورتز أن يبصق على الأميركي، « في هذا البلد حيث لا أحد يسألك من هو والدك بل يسألك ماذا تعمل ».

بن واتنبرغ مثقف يلامس كل شيء، متحدر من عائلة يهودية من نيويورك، علاقته وطيدة ومتينة باليسار، رأسه رأس مناضل ماكر، نظاراته مرتفعة على الجبهة، كتفاه عريضان، خياله مترهل على مكتبه في الـ American enterprise institute هو ديموقراطي، حتماً. في العام ١٩٦٥، يقول بأنه كان في البيض الأبيض واحداً من مساعدي الرئيس جونسون: فحرّر خطاباته. تعارك من أجل الحقوق المدنية للسود، في سبيل دولة العناية الإلهية. لكن شيئاً تحطّم، فأجبره على الابتعاد عن عائلته الأصلية، وعن أصدقائه المثقفين في اليسار. كنت أعاني وضعاً سيئاً

من هذا التشهير الدائم لأميركا، هذا الوصف الذي نحرره عن بلد عنصري، فاشيستي، وقلوسي [1] (تغفيل الذكر على الأنثى). « فالأغدار » المكتنف، وهذا النسق الذي جعل من أميركا البلد الموضوع على المنحدر، بالنسبة إلى أوروبا، واليابان، لا بل الاتحاد السوفياتي، كل ذلك كان غير محتمل عنده. « مع إني قاسيت عذاب الحياة، كان عندي تفاؤل المهاجر . [...] درست الأرقام، أرقام الاقتصاد، وأرقام الديموغرافيا، وتوقعت بأن تكون تشاؤمية العصر غير موجودة، كما قال. وكنت على حق » يعتبر التفاؤل التاريخي ميزة التقليدية الجديدة، على الأقل حتى المغامرات العراقية.

مسار نموذجي للمحافظ الجديد: لم يشارك الديموقراطي واتنبرغ في حملة الحركة الناشطة لليسار الديموقراطي في العام ١٩٧٢، بينما جورج ماجوفن (الذي استبعد من الجمهوري ريتشارد نبكسون)، اختار النضال أثناء الانتخابات الأولية لأحد المنافسين لماجوفن، السيناتور هنري « نبأ مثير » جاكسون. في حزب جاكسون، وجد واتنبرغ عدة محافظين جدد بالقوة، من جين كيركباتريك إلى ريتشارد بيرل، وآليوت ابرام. تحت عناوين متنوعة، شكل هؤلاء جزءاً من فريق رونالد ريغن الجمهوري عام ١٩٨٠. عندئذ، أكد بعضهم أنهم لا يزالون من الديموقراطيين. في حين أعلن آخرون، مثل إيرفنغ كريستول انتقالهم إلى الحزب الجمهوري. آنذاك أعلن مثقف اشتراكي، ميكاييل هارينجتون إلى كل هؤلاء

---

[1] – بن واتنبرغ، مقابلة كانون الثاني، ٢٠٠٤ .

الديموقراطيين في أوج أزمة التردد هذه: « لستم أناساً من اليسار، أنتم المحافظين الجدد »[1].

أحد كتّاب الخطابات القصيرة للرئيس جورج و. بوش، دافيد فروم، ساهم أيضاً في تكييف الأمور عبر الدراسات والأبحاث وتأليف الكتب في الـ **AEI** . قام محافظ جديد من الجيل الثاني بوضع موجز لأصل الحركة: « أنتم أولاد العائلات المهاجرة، في أغلب الأحيان كاثوليكي من أصل أيرلندي أو يهودي من أصل أوروبي، جئتم مع بدايات الخمسينات من القرن العشرين. عائلتكم ديموقراطية بشكل طبيعي: يصوّت اليهود والكاثوليك للديموقراطي، عادة يكون الحزب الجمهوري من البيض الأمريكيين الانجلوساكسون البروتستانت **WASP** **White American Anglosaxon Protestant** تمارسون مهنة ثقافية ذهنية، ترون أن الديموقراطيين يناضلون لتذليل الصعوبات الراهنة، من فيتنام إلى البؤس، من العنصرية إلى العنف المديني. إنكم تقتربون من بعض طروحات المحافظين، مما لا يجعل منكم جمهوريين بشكل آلي: يقول بيرل بأنه دائماً ديموقراطي. وتستمرون في إيجاد جدارة بمقدار معيّن من « السعادة »، أنتم من هؤلاء الذين أدركوا برامج « المجتمع العظيم **Great Society** » التي نادى بها الرئيس جونسون، لكنكم أيضاً من أولئك الذين أشاروا فيها إلى النتائج المضرة غير المتوقعة. يمكن أن يكون

---

[1] - نقل عن ميكاييل نوفاك، National review on line ، ٢٠ أيار عام ٢٠٠٣ .

طوني بلار من جماعتكم. ما عدا نقطة واحدة: هو يريد دائماً إنقاذ اليسار، نحن، لم نعد نتأمل خيراً بهذا اليسار، وقد تركناه »[1].

عند بعض المحافظين الجدد، ذهب الانشقاق إلى ابعد من الخلافات البرنامجية. إنه شبه فلسفي، في اتهام وراثة تمرّد الستينيات من القرن العشرين، نجد، مثلاً، عند جيرترود هيملغارب [2]، زوجة إيرفنغ كريستول، نقضاً لشكل من أشكال النسبية الثقافية والأخلاقية: شعارات للسيكستيين، مثل « كل شيء مسموح حتى لو شكّل خطراً أو ضرراً للديموقراطية، أن مقولة « كل شيء سواء »، في الثقافة كما في النظام السياسي، تبقى أيضاً غير مقبولة. نجد عند محافظين جدد آخرين مطالبة بالعودة إلى الدين حيث لن يشارك فيها، بدون شك كل من ألان بلوم وموانيهيان: كلّ على طريقته، لكنهم أدانوا شعار « كل شيء سواء » – في الثقافة وفي السياسة – لكن هذين الرجلين المرحين ترددا في نقض شعار « كل شيء مباح ». إن موقف بيا كريستول هو موقف قسم من المحافظين الجدد الحالي، الذين شكلوا الجيل الثاني. إنه يتيح إقامة جسور مع مركّبة من المركّبات الأخرى للتحالف الجمهوري لجورج و. بوش: المسيحيون الأصوليون، على أنه آتون من كوكب ثقافي وسياسي آخر.

---

[1] – دافيد فروم، مقابلة، في كانون الثاني ٢٠٠٤ .

[2] – أنظر مقالها في The public interest أيلول ٢٠٠٣ .

قال إيرفنغ كريستول: « كنت تروتسكياً لأنه كانت هناك أسباب موجبة لأن أكون تروتسكياً، كنت في اليسار، لأنه كانت هناك أسباب موجبة لأن أكون يسارياً. وأنا حالياً محافظ لأن هناك أسباباً موجبة لأن أكون محافظاً »[1]. لم أر شيئاً أكثر نقاوة من سماع هذا البرهان للتجريبية السياسية العقلانية، الذي يعتبر أنه يفسِّر بشكل طبيعي انتقال القبة الأولى في السيتي كولدج إلى اليمين الجمهوري. منذ الإعلان عن طروحات المحافظين الجدد ونجاحاتهم، تبيَّن للويس لافام، مراقب دقيق من بين المراقبين للمسرح السياسي الأميركي، وجود تصميم سياسي دقيق. لم يكن مدير مجلة **Harper's Magazine** مؤيداً لنظريات التآمر. بصفته ناقد راديكالي للنخبة السياسية الأميركية في السنوات ألأخيرة، فارتأى، مع ذلك، أنه من الأهمية بمكان العودة إلى واقعة عصبية: تمرُّد الستينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة. يعتبر لافام أن عنفها وراديكاليتها سيحلان مشاكل الرعب عبر مؤسسات الحكومة والبلاد.

تناول لافام دراسة وزن صراع الأفكار القائم فاستنتج أنه، مواجهة لأفكار هذا اليسار الجديد المعادي للتسلط، والإباحي، لا الوسط ولا اليمين يستطيع تنظيم المثقفين، الصحافيين والمفكرين كي يصبحوا قادرين على تقديم الدليل الساطع. فالصحافة الكبرى والجامعة تخلصان غالباً لأنغام « السيكستيين » . يجب القيام بتنظيم ذاتي، والانطلاق نحو التوسع في أمكنة أخرى من القدرة الذهنية والثقافية، وتأمين تفوقها. فلن يكون هذا

[1] - جوزف دورمان، Arguing the world ، مرجع سابق.

المشروح محتاجاً لأنه يضاعف موظفيه المحافظين في الحكومة ويزيد من فعاليتهم لكسب المال وتأمينه وسوف لا ينقصهم المال أيضاً من أجل دعم اصدار مجلات أو تأسيس أخرى. فقد تلاقى كبار الماليين في الصحافة المحافظة من أمثال روبرت موردوخ وكونارد بلاك لدعم ذلك. خلال عشرين أو ثلاثين سنة، يقدّر لافام بأن المحافظين والمحافظين الجدد وغيرهم سيتمكنون من دحر اليسار فنقول: لقد ربحوا معركة الأفكار. فوجد البعض عند الفيلسوف الألماني ليو ستراوس، الجوهر النظري لعقيدتهم السياسية.

ليو ستراوس

دليل محاربة الطغيان

كل اثنين وأربعاء، وكل ثلاثاء وخميس عندما كان الفصل يستوجب حضور درسين، عند الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر كل يوم، كان هناك رجل صغير وهزيل يتوجّه إلى قاعة مكتظة بالطلاب في قسم العلوم السياسية في جامعة شيكاغو أو في لجنة الفكر الاجتماعي، وهو معهد ضمن الكلية. كان ذلك في سنوات الستينيات من القرن العشرين. أمام أبنية قديمة من الطراز القوطي، كان عشرات الطلاب ينتظرونه، يجلسون على كراسي غير مريحة، ولسيئي الحظ، على الراديوتورات. يتحدث ليون ستراوس بصوت خافت، عندما كان يقرأ أو يفسر نصوص الأقدمين. تمّ تجهيزه لاحقاً بميكرو يتدلى حبله على ظهره، لكنه مجرَّد من معنى عملي، وكان يسيء استعماله. « فالشيء الوحيد الذي كان يعرف التداول به كان فم السيجارة ». فجأة تذكر أحد تلاميذه هادلاي اركاس [1] الذي أصبح لاحقاً أستاذ الحقوق المؤسساتية. خلال ٩٠ دقيقة قام بشرح أرسطو، سقراط وأفلاطون، ومونتسكيو، وماكيافيللي « كتاب واحد غالباً خلال كل فصل»، روى ذلك وليام غالستون [2]، وهو طالب آخر من طلابه وقد أصبح

---

[1] – نقل عن ليو ستراوس The Straussiaus and the American Regime , 1999 .

[2] – مقابلة، ٢ شباط ٢٠٠٤ .

أصبح من الستروسيين عند كلينتون ، ومستشار للتربية في البيت الأبيض من ١٩٩٣ ولغاية ١٩٩٥ .

كيف سيتمكن هذا الرجل الصغير المتواضع ، والذي أصبح أكثر هشاشة بعد العام ١٩٥٦ لتعرضه لأزمة قلبية « عنيفة »، قال تلميذه « جورج أناستابلو » أنها « خفيفة »، كيف سيظهر الود لزميله آريك فوجلين، وهل سيجذب جمهوراً كبير العدد وأمين، حيث يختلط الطلاب العاديون مع الأشخاص المسنين والناضجين و« حفنة من الكهنة الكاثوليك » ؟

جاء الإيضاح بسيطاً من وراء مظهر خارجي لا قيمة له - قارنه ابرام شولسكي، « الستراوسي »، متخصص بالإعلام، بجورج سميلاي، بطل جون لوكاريه [1]. خبأ ليو ستراوس ذكاءً قوياً بشكل استثنائي. وقد جذب هذا الشرح ريمون آرون أيضاً، الذي أرسل إليه طلاّبه الأكثر تألقاً. تلقّى مستمعو ليو ستراوس إيحاؤه لقراءة الكتب، كإعلان، « وبصوت هادئ يشدِّد على الصمت، ويتقدم بتمهُّل، وبأسلوب تلمودي، كل سطر بسطره، وتقريباً [...] بغية استخراج أقل ملامسة للمعنى، وما هو مقصود من مجمل النص »[2].

[1] - أنظر كنت ل. دوتش وجون مورلاي، ليو ستراوس والنظام الأميركي .

[2] - المرجع السابق.

فإذا بهذا الرجل « المضطرب، والغريب في العالم بشكل كلـي »[1]، كما وصفه صديقه القديم هانز يوناس، واقف مكتوف الأيدي في سنوات العشرينات على مقاعد الجامعات الألمانية، هذا الرجل الذي كان يجد رغبته في مناقشة النصوص الكلاسيكية و« أعطى اهتماماً لكتبه أكبر من اهتمامه لطلابه وسوف نتلاقى بعد حوالي ثلاثين سنة من وفاته في خضم المناقشات والحوارات الحادة حول السياسة الأميركية ».

عندما رفع المحافظون الجدد السقف الواشنطوني ، لمرتين خلال العشرين سنة الماضية، بادئ ذي بدء تحت ولاية ريغن ١٩٨٠ – ١٩٨٨ ومن ثم مع جورج و. بوش. أصبح ليو ستراوس شخصاً يدور حوله النزاع جهاراً. ويرى البعض فيه الأب الروحي للمحافظين الجدد . وبهذا المعنى، منظّر تجدُّد الفكر التقليدي في الولايات المتحدة؛ في حين يعتبره آخرون فيلسوف اليمين، وشبه فاشي، ورموه بالخزي كما رموا كارل شميت ومارتن هايدجر قبله. فقد استحسن ستراوس شميت في نقده للتحررية و« لأنه يأخذ السياسة على محمل الجد والرصانة »[2]، ويكره الانتهازية التي دفعته إلى الاقتناع بالنازية، من جهة أخرى منع طلابه من متابعة محاضراته، ومحاضرات هايدجر. عبر موجز مصغّر، اعتبر النمّامون ستراوس مسؤولاً عن حرب العراق، كما أصبح ماركس مسؤولاً عن الشيوعية، ونيتشه عن الاشتراكية – الوطنية (النازية) . الصلة الوحيدة

---

[1] – دي ليو كونسرفاسيون، دير سبجيل، ٤ آب ٢٠٠٣ .

[2] – مقابلة مع هنريك ماير، ميونيخ، ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٤، متخصص بكارل شميت.

– البعيدة – لستراوس مع العراق هي دراسة « الفارابي » العلاّمة المسلم، وصهره بول كروس، الذي يبحث في علم الأثريات، أو أيضاً كنعان مكية وهو مهندس معماري مهاجر إلى الولايات المتحدة « ستراوسي أيضاً » بالسمعة، وصاحب أفضل كتاب عن الرئيس صدام حسين « جمهورية الرعب »[1]، من قدامى الأممية العالمية الرابعة (تروتسكي)، ومحاور صحيح لبول وولفويتز في وزارة الدفاع .

ودائماً ووفقاً للنمّامين، يصبح ليو ستراوس مفكر ضد الديموقراطية وضد التحرّر، ونصير لحكومة نخبوية حيث يصبح الدين وثاق المجتمع السياسي يتهرب من المانيا مع صعود النازيين في مطلع سنوات الثلاثينات، واعتبر سقوط جمهورية « ويمار » كتجسيد مسبق للمصير الموعود للولايات المتحدة إذا لم نتقاتل بشدة التحرّرية، و« المستنيرين » ومظاهر أخرى من الانحطاط الأخلاقي الحديث.

يستند هذا الاتهام على تفسير معكوس. فقد انتقد ليو ستراوس جمهورية « ويمار » لا لأنها كانت ديموقراطية تحررية بل لأنها بدت وكأنها غير قادرة أن تدافع عن نفسها ضد القوى التوتاليتارية. « كانت جمهورية ويمار ضعيفة. لم يكن لديها سوى لحظة من القوة لا بل من الكبر، كتب في « نقد الدين عند سبينوزا » كردة فعل عنيفة على مقتل الوزير اليهودي للشؤون الخارجية « والتر رتينو ». قدمت، اجمالاً مشهد

1- The politics of modern Iraq: The republic of fear . California University, 1998

عدالة بدون قوة أو لعدالة غير قادرة على الاعتماد على القوة ». يعتبر شتراوس أن « الديموقراطية هي أسوأ الأنظمة باستثناء كل الأنظمة الباقية »، من أجل استرجاع صيغة ونستون تشرشل، التي تهدف بنوع خاص إلى النظام الأميركي .

لم يكن هجوم « نيويورك تايمز » أقل عنفاً ضد ليو ستراوس. ففي تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٩٤ ، غداة الانتصار التاريخي الذي حققه الجمهوريون، الذين تولوا مراقبة مجلس النواب للمرة الأولى منذ حدوث الزلزال الجمهوري إثر انتخاب الرئيس أيزنهاور عام ١٩٥٢. صحيح أنه يقال إن هؤلاء الجمهوريين ليسوا من الجمهوريين العاديين. بقيادة « نيون جنجريك » شكلوا ما عرف بالجيل الجديد لليمين المسيحي، الذي قاد المرحلة الصعبة إلى الرئيس بيل كلينتون. ، انكشف وراء المثلين الجدد، وعبر صحيفة مركز يسار نيويورك، خيال الفيلسوف« النخبوي الثابت في موقعه وضد الديموقراطية [...]، ومعارض لفرضية المستنيرين » Lumières التي تقول بأن كل الرجال ولدوا متساوين كما يعتبر أن توازن القوى يشبه تعبير الإرادة الإلهية ».

« الستروسيون »، الذين يعترضون بحق على الصورة الهزلية العدوانية لتفكير المعلم، دفعوا أحياناً هذا الدحض إلى الغاء كل تسلسل فكري بين ستراوس والمحافظين الجدد. فالأمور هنا لا تزال على درجة من التعقيد. وليو ستراوس الذي يهتم استطراداً بالسياسة كل يوم بيومه، لم يتمكن من الانخراط في صفوف المحافظين الجدد. لم يكن هو نفسه «

محافظاً »، بالمعنى الصحيح للكلمة. بالنسبة إليه، لا يرتبط بلوغ الحقيقة لا بالوراثة ولا بالتقليد، كما حصل مع المحافظين التقليديين، بل بالحجة والبرهان « يكمن الخطأ النموذجي عند المحافظين في كونهم لم يروا أن التقليد العزيز على قلوبهم لم يكن موجوداً مطلقاً في مقاومة التجديد، بدون انقطاع، ولا انقلاب ولا أعمال تدنيس تقترف مع بداية تقليدهم العزيز وتتكرّر بعد ذلك على الأقل بصمت » [1].

مما لا شك فيه أنه ينتقد الحداثة على غرار التقليديين. لكنه قام بذلك باسم العقل. والبحث الدؤوب عن الحقيقة، دون الانصياع إلى المحافظة على النظام القائم، منوط بشيء من التدمير . « يشتمل التفكير بالحق الطبيعي [الذي يعتبر في مركز تفكير ستراوس] دائماً على عزم جوهري، لا بل ثوري. هذا إذن خطأ أساسي في اعتبار ستراوس كمحافظ بالمعنى الحقيقي للتعبير ». كتب دانيال تنغواي **D. Tanguay** [2] في سيرة حياته. يتقاسم ستراوس مع المحافظين مخاصمة الشيوعية، وهذا ما جعله يتواجد في الولايات المتحدة عند المتحررين المعادين للتوتاليتاريين.

لم يكن ستراوس محافظاً جديداً، ولم يكن كل المحافظين الجدد ستراوسيين وكذلك كل الستراوسيين لم يكونوا محافظين جدد. الأمر بسيط جداً. « ان تفكر وفقاً للتقليدانية الجديدة المعاصرة بدون ستراوس هو

---

[1] – ليو ستراوس، مقدمة نقد الديني عند سبينوزا ، مرجع سابق .

[2] – ليو ستراوس، سيرة حياة ثقافية، **Grasset** ، ٢٠٠٣ .

بالتأكيد غير ممكن. والقول بأنها هي تطبيق لنظرياته أمر مبالغ فيه »[1].

انصبّت أعمال العنف هذه في اتهامات « المتآمرين »، مع مضامينها المقاومة للسامية، والذين قاموا بالإعلان عن ابنة ليون ستراوس التي بقي أمر تبنيها سراً حتى الآن، ومن ثم نشر مقال في « النيويورك تايمز » كانت جيني آنّ ستراوس ابنه « باتينا » شقيقة ليو، وبول كروس عالم آثار، استاذة الآداب الكلاسيكية في جامعة فيرجينيا في « شارلوتفيل »، وقد توفي ١٩٤٢، فتبناها الثنائي ستراوس عندما كان عمرها أربع سنوات. كانت الديموقراطية المتحررة « آخر أفضل أمل » بالنسبة لوالدها، الذي، كما كتبت، كان « العدو لكل نظام يسعى إلى سيطرة شاملة. كما كره الطوباوية الوهمية [...]. لم يكن يسعى بطبيعته إلى طموحات سياسية. عندما كان يافعاً، كان شغفه الأساسي تربية الأرانب، من النوع الذي يقال عنه عمالقة الفلاندر، وقراءة مؤلفات أفلاطون. [...] لم يكن همه تكييف الناس مع ذهنيته »[2] . عاش حياة حيث كانت أحداثها الوحيدة هي الأفكار. في حين سُئل في أي عصر كنت ترغب أن تعيش، فأجاب ستراوس:

« – في العصر الذي أنا فيه .

– لماذا ؟

---

1 – رايموند كودبلو، تصدير الديموقراطية لا يلائمه، Reset ، رقم ٨١ شباط ٢٠٠٤ .

2 – International Herald Tribune ، ١٠ حزيران ٢٠٠٣ .

– لأن بإمكاني أن اقرأ أفلاطون ونيتشه وأن أتحاور معهما ».

وهكذا انتشر تأثير ليون ستراوس على الحوار السياسي الأميركي المعاصر بطريقتين متممتين : عبر طلابه – والبعض يقول زملائه – وبمبادئ تعليمه، وفي بلد ليس عنده تراث فلسفي كبير، وبصورة خاصة بدون فيلسوف محافظ كبير.

في بداية الأمر ظهر الجيل الأول من الطلاب : كثيرون منهم أصبحوا أساتذة في الجامعة، وأعلنوا إلى أستاذ شيكاغو إجلالاً بلا حدود. هكذا، حاول « هاري جافا » دستوري، وستراوسي من الشاطئ الغربي، أن يوفق بين أسس إعلان الاستقلال والإيمان المسيحي، هذا ما أطلق عليه ستراوس « العقل والوحي الكاشف » أو « أثينا وأورشليم ». أكد جافا أن لقاءه مع ستراوس عام ١٩٤٤ كان بالنسبة إليه طريقه نحو دمشق .[1] قبل ستراوس لم يكن يدرك التناقض الجوهري للجملة التالية : « كل شيء نسبي ما عدا هذا الاقتراح كل شيء نسبي ».

بعد ذلك، يأتي الطلاب التابعون، وعددهم أكبر بدون شك، أولئك الذين جلسوا على مقاعد الكلية في سنوات الستينات من القرن العشرين عندما كان يلقي ستراوس حلقاته الدراسية الأخيرة في شيكاغو. تلاقى بعضهم في الجامعة، وشعروا بأنهم حرموا من مؤسسة سيطر عليهم المتحررون، لا بل اليسار الجديد. كان عند الطلاب والأساتذة « الستراوسيين » ميل للتجمُّع على انفراد، حسب قول النمّامين عنهم،

---

[1] – هاري ف. جافا (الذكرى المئوية لولادة ستراوس)، نشر في ١٤ أيار ٢٠٠٣ .

وسعوا إلى تشكيل تكتلات. كان التأكيد على الفلسفة الكلاسيكية، ورفض النسبية ونتيجتها الطبيعية، والتعدد الثقافي، جعلها غير نموذجية بالنسبة إلى التيارات المهيمنة ثقافياً. هذا الإبعاد، أو أولئك الذين يشعرون كذلك، أدى بهم إلى التكاتف، من أجل خلق شبكات، من شأنها أن تبعدهم أكثر عن الجامعيين الآخرين. في العلوم السياسية، أصبحوا عناصر مسيطرة، كما سيطر الماركسيون في علم الاجتماع والأحرار المتقدمون في الاقتصاد [1].

بتجنب التعليم العالي، حيث تنتشر، كما اعتقدوا، لوائح سوداء فعلية معاكسة لهم، فالتجأوا إلى مستشاري الحكومة (معاهد الأبحاث الخاصة، وآليات التفكير والمرابط السياسية)، أو مباشرة إلى الإدارة. إن لائحة الستراوسيين الحقيقيين أو المفترض ذلك، لا تنتمي [2]. فكلهم ربما لم يحفظوا من تعليم المعلم شغفه للنصوص القديمة، والزهد في التفسير، وانكار الذات الحكيمة، إلا أن ستراوس هو الاسم الساحر الذي وحّدهم وعلمهم عرفان الجميل وأصبح رمزاً للمبتدئين. ففي كل سنة، في الرابع من تموز تجمع نزهة خاصة في واشنطن نحو ستين عنصراً من «الستراوسيين». « في أي مكان من العالم ما عدا باريس، تتساءل بحقد الـ « The Economist »، يشارك ما يزيد ربما على ستين من الرجال السياسيين والجامعيين في عبادة أفلاطون وبإمكانهم تنظيم نزهة ؟ »

---

[1] – كارل جان: « ليو ستراوس والستراوسيون » www. Home earthlink . net

[2] – اقرأ الفصل الثامن « جماعة المحافظين الجدد ».

أحد هؤلاء المشاركين بالنزعة المثابرين هو بول وولفويتز، حالياً معاون دونالد رامسفيلد في وزارة الدفاع. مستبعداً فكرة « تواطؤ » الستراوسيين الواهمة عبر « نفوس متحمّسة غير قادرة على إدراك أن الحادي عشر من أيلول قد بدّل الأسلوب الذي كنا ننظر فيه إلى العالم »، فيروي إقامته في جامعة شيكاغو قائلاً: « تابعت حلقتين دراسيتين هائلتين لليو ستراوس عندما كنت أحضّر شهادة الإجازة. الأولى تدور حول « روح الشرائع » لمونتسكيو، فساعدتني على فهم دستورنا بشكل أفضل. تناولت الأخرى « حوارات أفلاطون ». ففكرة كون ذلك على صلة بالسياسة الخارجية الأميركية، هي ببساطة مضحكة »[١]. « أعتقد أن ستراوس كان فعلاً شخصية مميزة، لكن هذا لا يجعل مني عميلاً. اعتقدت أن ذلك يعتبر حظاً لا يجوز تقويته »، تابع وولفويتز، الذي التقى في جامعة شيكاغو ذلك الذي أصبح معلمه الحقيقي في التفكير في الوقت نفسه مرشده، إنه ألبرت وهلستاتر. « قام وولفويتز بالتأليف بين ستراوس ووهلستاتر » الفيلسوف والخبير بالخطط الحربية – الاستراتيجية، المرشدان الروحيان للمحافظين الجدد، هذا ما أعلنه فرنسيس فوكويوما[٢]، صديق وولفويتز، الذي عمل معه لصالح وهلستاتر، وحيث إن والده كان عميد كلية الميتولوجيا في جامعة شيكاغو.

---

١ – مقابلة مع فانيتي فاير أشار إليها بول وولفويتز .

٢ – مقابلة قام بها بول وولفويتز مع فانيتي فاير.

هكذا أوجز صاحب كتاب « نهاية التاريخ » إرث ستراوس: أهمية طبيعة الأنظمة، وأهمية التراث الفلسفي للأقدمين، ورفض التضحية بالقيم والفضيلة على حساب عقائد التقدمية؛ ورفض النسبية التي تؤدي إلى الضعف الخلقي للديموقراطيات الحرة. « إذا كانت كل القيم نسبية، حينئذ تصبح الفظاظة مسألة ذوق »، هذا ما قاله ليو ستراوس يوماً مازحاً. حتى نحدد مدى مساهمة الستراوسية في التقليدية الجديدة، كتب وليام كريستول وستيفن لانزنر في **The public interest** مقالاً بعنوان « عمّا يبحث ليو ستراوس ؟ ». فتناولوا من جديد طروحات فوكويوما نفسها. فشددا على مفهوم الطغيان حيث أعاد إدخال ستراوس في الفلسفة السياسية الحديثة، والذي يبقى أكثر غنى من مفهوم التوتاليتارية.

حالياً، اختفى الطغيان من لغة وتحليل العلم السياسي لأن هذا العلم تضمّن حكماً تقويمياً، في عصر كان مناسباً لاعطاء الحكام «أهداف»، والتي لا تتضمن أي مفهوم أخلاقي، للخير والشر، للحقيقة والخطأ. بالتأكيد، تختلف أنواع الطغيان الحديثة عن أنواعه القديمة، عندما حكم بيزنسزان الطاغية أثينا، إنما « لتحديد هوية الاختلاف يجب معرفة الجينة » [1].

اعترض ليو ستراوس على هذه الفلسفة السياسية التي تدّعي تحررها من كل حكم تقويمي. هكذا يكون قد جلب شرعية ثقافية لمعاداة الشيوعية(وبعد نهاية الحرب الباردة، إلى كل شكل من معاداة

---

[1] – هاري ف. جافا، Straut a 100 ، مرجع سابق.

التوتاليتارية). من أجل ذلك استطاع جايمس سيزر أستاذ العلوم السياسية في جامعة فيرجينيا أن يؤكد: « لعب ستراوس في الولايات المتحدة الدور الذي لعبه سولجانستين في فرنسا مع بزوغ النقد الأساسي للشيوعية »[1].

من هو ليو ستراوس، أستاذ الفلسفة هذا الذي انتقل بشكل شبه خفي، خارج أطر المتخصصين حين كان يجزل بعطائه التعليمي، انتقل إلى حالة الأب لما عرف بالتقليدانية الأميركية الجديدة؟ إنه يهودي ألماني، ولد في ٢٠ أيلول/ سبتمبر عام ١٨٩٩ في كيرشهان الواقعة في هاسّه. نشأ في كنف عائلة أرثوذكسية، التحق بالصهيونية وما لبث أن انفصل عنها لاحقاً. دخل جامعة ماربورغ عندما كانت مدرسة الكانتية الجديدة متمثلة فيها بوضوح، فخسر من تأثيره لصالح الظاهراتية لادمون هوسرل. في العالم ١٩٢١، حصل ستراوس على الدكتوراه مع آرنست كاسيرز، ثم التقى هوسرل في فريبورغ - آن - بريسجو حيث عاشر مارتن هايدجر. واستقر في باريس منذ نهاية العام ١٩٣٢ عندما وصل هتلر إلى السلطة في ألمانيا، وبقي في فرنسا حتى العام ١٩٣٤. استفاد من منحة ليستقر في لندن مع عائلته، في رسالة إلى الفيلسوف الكسندر كوجاف، محاور هيجل في فرنسا، وكان قد عرفه في برلين عام ١٩٢٠، فابتهج بتبديل منزله هذا. إلا أنه تأسف فقط على الخمر الفرنسي، « لذيذ وغير مكلف »، لكنه اغتبط بالفطور الصباحي الإنكليزي: كان الجانبون لذيذ الطعم [...] كما كان يسمح لهم بالشريعة الموسوية عبر تفسيرها

---

[1] - مقابلة في ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

الملحد »[1] . ففي العام ١٩٣٧ ، حصل على وظيفة باحث في جامعة كولومبيا ، في نيويورك. اثناء الحرب ، توفي والده في ألمانيا إثر نوبة قلبية ، لكنه لم يعلم بذلك قبل نهاية الاعتداءات. وما لبثت أن اختفت شقيقته وزوجها في مصر، في حين تم نفي كل أفراد العائلة الذين بقوا في ألمانيا. في العام ١٩٤٤ ، حصل ليو ستراوس على الجنسية الأميركية وفي العام ١٩٤٨ بناء على توصية من البروفسور هانز مورجانتو أصبح أستاذاً في جامعة شيكاغو. وفي العام ١٩٦٧ أخذ تقاعده، واستمر بإعطاء بعض الدروس في معهد كلامونت في كاليفورنيا ، ومن ثم في سانت جونز كولدج في أنابوليس (ماريلاند). توفي في ١٨ تشرين الأول / أوكتوبر عام ١٩٧٣ ، ضحية التهاب الرئة ، ودفن في مقبرة كنيست صهيوني في أنابوليس.

بعد مرور فترة على اختفائه ، لاحظ ميلتون هيملغارب، شقيق جرترود (زوجة إيرفنغ كريستول)، أن ستراوس لم يكن يزور المعبد اليهودي إلا نادراً. « وإذن، فإن قلبه كان في أورشليم ورأسه في أثينا. والرأس هو عضو الفيلسوف » هذا ما أعلنه ميلتون [2]، الذي كان قد عرّف الكريستوليين إلى ستراوس في سنوات الخمسينات من القرن العشرين. اثناء إحدى مواقفه السياسية النادرة، تأسّف ليو ستراوس، عام ١٩٥٦ بأن تكون الـ« **National Review** » مجلة محافظة يديرها ويلمور كندال ، وهو لا يدافع عن إسرائيل. « أنا لا أفهم كيف أن الكتّاب الذين يتناولون

[1] – رسالة من ليو ستراوس إلى ألكسندر كوجاف غير مؤرخة On Tyranny ، جامعة شيكاغو، ١٩٦١.

[2] – ذكر هادلاي أركس في كينيت ل. دوتش وجون أ. مورلاي « ليو ستراوس، والستراوسيون والنظام الأميركي ».

هذا الموضوع يظهرون معارضتهم بشكل منهجي لدولة إسرائيل، وذلك عبر رسالة بعث بها إلى كنداال. فالأمر الأول الذي يؤثر في إسرائيل يكمن في كونها بلد غربي يثقف العديد من المستوطنين الشرقيين وفاقاً للخط الغربي: فإسرائيل هي البلد الوحيد الذي يحتل المركز الأمامي للغرب في الشرق. أضف إلى ذلك، إسرائيل بلد محاط بأعداء قتلة وبتفوق عددي ساحق »[1]. واستنتج ستراوس في موضع آخر أن إسرائيل « هي تبريك بالنسبة لكل اليهود، حيث كانوا، إذا قبلوا بوجودها أم لا »[2].

بعد مضي عدة سنوات، في العام ١٩٦٣، عبر رسالة أخرى إلى كندال، اغتاظ ستراوس مما قرأه في الصحيفة **Chicago Sun Times** فقال: غني عن البيان قولي لكم بأنني لا اقرأ **New - York Times**، مؤكداً ذلك لمراسله. مما جعله غاضباً جداً هو توقيع معاهدة عدم التكاثر النووي. ودون توضيح السبب فقد اعتبرها، على الأرجح، كنقطة ضعف إزاء الاتحاد السوفياتي. وبشكل عام، فإن سياسة كنيدي تغيظه. فهو يجد أن الرئيس مهتم كثيراً بصورته التي يواجهها « باحترام شريف لرأي الإنسانية » ليدلل بأن الصورة مع موكبها المزيف المثير للغضب، هي أمر أقل قيمة من « الاحترام المخادع لرأي الإنسانية » [3].

---

١ - ليو ستراوس، أشير إليه في ويلمور كنــدال Moverick of American conservatives، ٢٠٠٢.

٢ - أشار إلى ذلك دانيال تانغاي، ليو ستراوس، سيرة حياة ثقافية.

٣ - ويلمور كندال Moverick of American conservatives، مرجع سابق.

كانت مواقف ستراوس السياسية تافهة للغاية، بسيطة أحياناً، ذلك لأنه لم يكن يهتم بسرد الوقائع والأحداث اليومية. كان يجاهر بإعجاب عميق لتشرشل رغم أنه كان ذائع الصيت بشوائبه في السياسة: رجل الدولة العظيم هذا استطاع التغلب على هتلر لكنه لم يستطع إيقاف ستالين. يعتبر تشرشل بطلاً من أبطال المحافظين الجدد: في العام ٢٠٠٢ نصح وليام كريستول الرئيس جورج و. بوش علناً بأن يقرأ كتاب أليوت كوهن **Supreme command: Soldiers statesman, and Leader ships in wartime** [1]، الذي أظهر فيه كيف أن رئيس الوزراء البريطاني بدا وكأنه قائد للحرب. وفي مقال له لـ**The Public Interest**، ذكر وليام كريستول وستيفان لنزنر مقطعاً مأخوذاً من **La cité et l'homme** حذَّر فيها ستراوس من صلة قوية مباشرة بين الفلسفة السياسية واستعمالها المعاصر. في كل مرة، يمكن أن يكون الإدراك الملائم للمبادئ المهيأة من الكلاسيكيين نقطة انطلاق ضرورية لتحليل يفي بالمرام، يعود إلينا أمر تحقيقه، من هذه المبادئ إلى مهماتنا."[2]

لا يجوز أن نتصدى للمسائل الأساسية في كل الأزمنة في خضم زوبعة الأحداث، فما هي العدالة ؟ ما هي الحياة الفضلى؟ ما الذي يكوِّن الدولة ؟ أين تتواجد حدود المعرفة ؟ إنما في النصوص الكبرى القديمة، تمت معالجة هذه المسائل الأساسية بطريقة ثقافية نقية.

---

[1] - نشر عام ٢٠٠٢. برهن فيه المؤلف أن رجال السياسة رؤساء الحرب يكونون كباراً لأنهم لا يأخذون بنصائح جنرالاتهم.

[2] - وليام كريستول، وستيفان لانزنر «عمّا يبحث ليو ستراوس ؟» مقال سابق.

« بالعودة إلى سقراط » ، كما يجلّ لويس ألتوسر، قديماً في كتابه «عودة إلى ماركس »، وكذلك جاك لاكان من « عودة إلى فرويد »، إنها «الرجوع إلى الفلسفة الأولى أو إلى فكرة المقدمات المنطقية للفكر »[1] بالغوص في النصوص الأصلية، وبمحاولة فهم كبار الأقدمين كما فهموا هم أنفسهم. بالعودة إلى السؤال الأول: ما هي الفلسفة؟ « إنها الحياة الفضلى المكرّسة للبحث عن جواب لسؤال الحياة الفضلى »[2] يبقى هذا البحث مستمراً ولن ينتهي. إن البحث عن الحقيقة يكمن في الانتقال من الآراء إلى المعرفة؛ إنها حركة أكثر مما هي معرفة محددة ومطلقة. هذا ما أطلق عليه ستراوس اسم « غريزة حب الفلسفة **Eros Philosophique** والذي لا يعتبر حالة تامة، لكنها الجهد المستمر الذي تبذله النفس باتجاه الكل المطلق: « الفيلسوف هو الشخص الذي يمكث في رحابة نفس (الكل)، دون أن يشمل هذا (الكل).

شدّد ستراوس على أهمية الحق الطبيعي، الذي يعتبر مفهوماً صعب التحديد، في مطلق الأحوال ولا يمكن الاعتماد عليه. بالنسبة إلى ستراوس، إنها « المسألة الأولى للفلسفة السياسية ذلك لأنها المسألة التي تسعى إلى النظام الأفضل ». وفاقاً لستراوس لا يمتزج الحق الطبيعي لا مع قوانين الطبيعة، ولا مع الحق الإلهي، ولا مع حقوق الإنسان. « فالقانون الطبيعي يعني قانوناً يتحدّد بموجبه الخير والشر ويستمدّ قوته وشرعيته

---

[1] – تارانس مارشال، « ليو ستراوس، الفلسفة والعلم السياسي » مجلة فرنسية، آب ١٩٨٥ .

[2] – فكرة دانيال تانغاي، ليو ستراوس، سيرة حياة ثقافية.

من الطبيعة، بطريقة ملازمة في كل مكان وعلى الدوام »[1]. إنه نتاج العقل الذي لا يخضع لا للوحي، ولا للإرث، ولا للتقليد. بالنسبة لسقراط يكون الحق الطبيعي موجوداً، إنما ينبغي القيام باكتشافه دائماً [2]. فالحق الطبيعي مستقل عن التاريخ ويؤدي إلى معرفة القيم والفضائل التي لم تُحدَّد ثقافياً. من هنا نشأ نقد التاريخانية[3] والنسبوية[4]، ومميزات الحداثة التي يلوم بها ستراوس « المستنيرين » لكونهم أدخلوها في الفلسفة. في منشور « الطغيان » [5] افترض وجود « نظام أزلي ثابت، يتجلّى فيه التاريخ للعيان، ولا يكون متأثراً، ولا بشكل من الأشكال، بالتاريخ ». يكمن خطأ الأيديولوجية التقدمية في الاعتقاد بأن التاريخ هو إلى جانبها. تتضح حرية الإنسان عبر بحثه عن الحقيقة؛ وكل الناس مدعوون إلى إعلان الحقيقة، إنما ليسوا كلهم قادرين على ذلك.

بوجه آخر يقال، لا يستطيع كل رجل أن يصبح فيلسوفاً. من أجل ذلك، يقوم المجتمع بإدخال البحث عمّا هو صحيح بالطبيعة في صراع مع ما هو صحيح بالاتفاق، فيعارض الحق ما هو مسلّم به، وتعارض المعرفة الرأي.

---

[1] – ليو ستراوس On natural law، جامعة شيكاغو، نشر ١٩٨٣ .

[2] – نارانس مارشال « ليو ستراوس، فلسفة العلم السياسي »، مرجع سابق.

[3] – نظرية تذهب إلى أن كل حقيقة تتطور مع التاريخ، المترجم.

[4] – مذهب يقول بأن لمعرفة نسبة بين العارف والمعروف، المترجم.

[5] – نشر بالتوافق بين ستراوس و أ. كوجيف، جاليمار، ١٩٩٧ .

كتب ستراوس: تكمن المشكلة السياسية الكبرى في « التوفيق بين البحث عن الحكمة، والبحث عن الرضى »[1]. توافق يصعب تحقيقه، لأنه يضع الفيلسوف في حالة دقيقة، ولأن البحث عن الحكمة يكون مدمراً، ذلك لكونها تفسد نظام المجتمع لأنها تزعزع صحة الآراء والمعتقدات.

« فالدولة لا تكون مهتمة بالحقيقة إنما ببقائها »[2]. لهذا السبب على الحكيم أن يتقدم مقنعاً ويعبر بلغة سريّة (بعكس اللغة الجهرية التي تصبح لغة السياسة) لا يفهمها سوى القلة، والمطّلعين، وبصورة خاصة أولئك الذين يبذلون الجهد لبلوغ الحكمة، كالفيلسوف نفسه، نوع من الجدارة المبنية على الفضيلة. « فغريزة حب الفلسفة »محصورة بعدد قليل من الناس. التماس يتعذر بلوغه من « الكل » أو من « الحقيقة »، إنّه مؤشر نقص لا يحتمل من معظم الناس، والذي، عندما يعي ذلك، يرزح للعدمية أو للنسبوية الخلقية. بدون هذا الانفصام بين الحكيم والشعب، تكون الحياة الاجتماعية غير ممكنة. ينهض المجتمع لأن هناك « معتقدات ضرورية »، تكون من دائرة اختصاص القانون؛ وهي تعارض « المعتقدات الحقيقية »التي تقترب منها بالعقل أو بالحكمة الفلسفية. هل يدخل الدين ضمن فئة من هذه « الأكذوبات الشريفة »؟ انقسم الشارحون حول هذه النقطة، فأشار إليها جورج بالانديه و« تلهّى ستراوس بتضليل

---

[1] – الحق الطبيعي والتاريخ، جامعة شيكاغو، ١٩٥٣ .

[2] – دانيال تانغيه، ليو ستراوس، سيرة حياة ثقافية، مرجع سابق.

الطريق »[1]. على كل حال، إذا رجعت إلى الإعلان أو إلى دين مدني، فإن الدين يساهم في تأسيس نظام المجتمع. هذا لا يمنع من التمسك به على مسافة حرجة: « إن التأكيد على المنفعة العامة للدين لا يلزمنا بالتأكيد على الحقيقة السياسية للدين »[2].

بالنسبة إلى ستراوس، لا يتعارض هذا الانقسام الثنائي بين الحكيم ومعظم الناس مع مبادئ الديموقراطية المتحررة. يعتقد ستراوس بخلاف ذلك، أن هذه الأخيرة هي النظام الذي يتيح للفلسفة أن تزدهر بشكل أفضل « باعطاء الحرية للجميع، تمنح الديموقراطية الحرية أيضاً إلى أولئك الذين اهتموا بالسمو الإنساني »[3]، حتى لو كانت الديموقراطية غير كاملة بالنسبة للفضيلة وإذا لم تكن الدولة دولة الحكمة، خلافاً لما يعتقد به بعض المفكرين المستنيرين. يُعتبر ستراوس ناقداً فظاً للتحررية، لكن هذا لا يعني أنه كان معارضاً لها. فقد أوضح أخطاءه، ونواقصه، وتناقضاته لمحاولة إنقاذه من الطغيانات الحديثة (التوتاليتاريات) التي تهدّد بالتغلب عليه. فتكون عودة الهمجية تعبيراً عن أزمة التحرّرية. من أجل ذلك بإهمال النوعية، والجودة، والفضيلة، في سبيل شرعية العدد الأكبر حيث تتعرض الديموقراطيات المتحررة للاضمحلال. يلتقي ستراوس حول هذه النقطة مع النقد الموجه من قبل « توكيفيل » للديموقراطية الأميركية. إذن أصبح من الضروري الاقتتال من أجلها، والدفاع عنها، ليس فقط ضد

---

[1] – المزعج م. ستراوس، Le Monde ، ٢٤ أيلول ١٩٩٣ .

[2] – ليو ستراوس، التحررية القديمة والحديثة، جامعة شيكاغو، ١٩٩٥ .

[3] – ليو ستراوس، التجررية القديمة والحديثة، مرجع سابق.

أعدائها الخارجيين بل أيضاً ضد انحرافاتها الداخلية التي يمكن أن تؤدي بها إلى الدمار. إحدى هذه الانحرافات هو النسبوية، ومفهوم كل الأشياء تتساوى، وأن ليس هناك من فرق بين الصواب والخطأ أو بين الخير والشر. تأسست التحررية (الليبرالية) على التقليد الغربي: ففي كل مرة، يتم فيها جعل هذا التقليد نسبياً، تُدمّر التحررية أسسها الخاصة. « لا يمكننا السماح بنعت الديموقراطية بالآفة ، لأننا أصدقاء الديموقراطية وحلفائها ».

لم يتوصل هذا التحليق السريع لتعليم لم يتوصل لعرض كل ثروته الفكرية، يجب أن ينطبق الشرح الخفي على نصوصه مع الدقة نفسها التي يعرضها في قراءة الأقدمين، كل ذلك يفسِّر اهتمام المحافظين الجدد بالفلسفة، الملطفة غالباً بالترجمة الستراوسية، والتي تحمل بعض الأفكار ذات الطابع الذهني. أثناء محاضرة عن عمل ستراوس، قام بتنظيمها معهد كلارمونت، حققت الستراوسية مكانة عليا على الشاطئ الغربي، فأدّت ثلاثة شروحات إلى نجاح الفيلسوف الألماني في نظر المحافظين. بادئ ذي بدء، قدم التشخيص الأكثر قوة عن النسبوية حيث يرى المتحرر أن آماله، تضمحل، بعدئذ ثبت الصلة بين السعادة والفضيلة، وأخيراً، أشار إلى أن المجتمعات كانت، بالضرورة، غير كاملة، وأن هذا يروق لأميركا.

يكمن الاسهام الآخر لستراوس في الوحي الذي قدَّمه للمدرسة الدستورية الأميركية، طالب « بعدالة لا تتردد عن اعتماد دستورية

شريفة، وحتى على بعث الدستورية المؤسّساتية »[1] هذا يعني دراسة المؤسسات الأميركية وتقديرها وتقييمها.

أو بالأحرى، أطلق ستراوس مدرستين متميزتين، فكانت الأولى على الشاطئ الشرقي، بإدارة هارفي مانسفيلد، أستاذ وليام كريستول في جامعة هارفرد، والثانية على الشاطئ الغربي تحت صولجان هاري جافا، قامت بينهما منازعة حول مسالة نظرية ظاهريا، لكنها غير مجرَّدة من الميول السياسية. أكّد مانسفيلد أن « الدستور هو روح أميركا » ، هذا هو عنوان أحد كتبه؛ بالنسبة إلى جافا، يكمن أساس أميركا في إعلان الاستقلال، وقد ارتكز الإعلان على الحق الطبيعي، حيث يعمل الدستور على إيجاد المؤسسات الضرورية لحماية الحقوق المذكورة في النص الأساسي. بالنسبة إلى مانسفيلد، فهو يرى أن الأميركيين شعب دستوري، ويحترم مؤسساته، وليس شعباً ثورياً يعمل على تأكيد حقوقه ضد حكومة ظالمة. طالب المحافظون الجدد، على الأقل بعضاً منهم، باسترجاع هذا الإرث الثوري وذلك عبر نشر المبدأ المحزّب لاعلان الاستقلال في العالم: « كل الناس ولدوا متساوين ».

ينصب هذا النزاع مع جافا – مانسفيلد على مجادلة فيما يخص الحكم بالأكثرية مع احترام القلية، ويذكر بالجدل القائم منذ الحرب الأهلية. أصبح بطل جافا لنكولن: فعرض بإعجاب وجهة النظر التي دافع عنها لنكولن ضد السيناتور ستيفان أ. دوغلاس عام ١٨٥٨. تناولت

---

[1] – ليو ستراوس، مرجع سابق.

المعارضة مسألة الرق. تبنى دوغلاس حينئذ وضعية « ديموقراطيـة »: فلم يهتم أن يأتي التصويت مع الرق أم ضـده؛ كـل مـا كـان يهمـه هـو حـق الشعب في تقرير مصيره. كان موقف لنكولن مناقضاً للنسبوية الخلقية: إذا عبَّرت الأكثرية مع أم ضد، ينبغي محاربـة الـرق ذلـك لأنـه شرٌّ في حـد ذاته، ومخالف لمبادئ الآباء المؤسسين: « إن الرق سيئ أخلاقيـاً للسـبب الذي يعطي للأكثرية حـق الحكـم، وليعـرف الجميـع أن ولا إنسـان ولـد طبيعيـاً سيداً أم عبـداً »[1]. في فعلـه هـذا، « حـوَّل لنكولـن تأسـيس الجمهورية الأميركية من حدث ظني إلى فكرة خالدة »[2]. خلاصة القول: توجد قيم ثابتة مستقلة عـن رأي الأكثريـات، النسـبية والقابلـة للتغيـير بطبيعتها.

إن المكان الذي ينفصل فيه المحافظون الجدد جذرياً عـن سـتراوس هو في التفاؤلية المتأثرة بالمسيحانية بشكل خفيف، وقد عمـدوا إلى الإعـلام لينشروا مبـادئ الديموقراطيـة وحقـوق الإنسـان في العـالم. وكأنـه بإمكـان الإرادة السياسـية تغيـير طبيعـة الإنسـان. لا شـيء أبعـد مـن عقـائد ليـو ستراوس الراسخة، والذي قام بتفسيرها مطولاً عبر مقابلتـه مـع ألكسـندر كوجاف. فالرجلان، أحدهما صديق الأقدمين، والآخر مـن أنصـار فلسـفة هيجل، تفاهما على قلة من الأمور، لكن إرادتهما على التفاهم أقـوى مـن

---

[1] – توماس ج. ويست، جافا ضد مانسفيلد، روح أميركا في الدستور أم بإعلان الاستقلال، خريـف ٢٠٠٢.

[2] – هاري جافا (الأنبياء الكذبة للتقليدية الأميركية) مـن Lincoln Day conference تنظيـم معهد كلارمونت في ١٢ شباط ١٩٩٨.

تعلّقهم بمواقفهم الخاصة. خلافاً لكوجاف، لا يؤمن ستراوس بالارتقاء إلى « دولة العالم »؛ يعتقد أنها غير ممكنة وغير مستحبة، أجل فالحكومة المتمركزة من أجل العالم بأسره لا يمكن تحقيقها إلا بالطغيان والحكم المطلق، بالأحرى يجب أن تكون هذه الدولة العالمية شيوعية. ولا يؤمن كذلك بتجاوز الصراع بين الفلسفة والمجتمع في دولة المستقبل؛ أراد الحفاظ على مسافة بين الاثنين وأسند إلى السياسة دور المخمِّد: « إن أفضل نظام ممكن لزمننا هو الديموقراطية الحرة التي تحاول تحقيق التوازن ونزع فتيل التوترات السياسية مع الإدراك بعدم إمكانيته اقتلاعها »[1]. خلافاً لما قاله كوجاف، الذي كان يكسب حياته كفيلسوف وهو يعمل في المؤسسات العالمية، ولم يشعر ستراوس إلا بالحذر بالنسبة إلى التنظيمات المتعددة الجنسيات ، وهي فكرة أخرى تقاسمها المحافظون الجدد. بالمقابل، كان ستراوس متحفظاً جداً بالنسبة إلى « ويلسونية » زملائه الذين أعلنوا عنها بذاتهم. أوضح وليام جالستون الذي لُقِّب « ستراوسي اليسار »، أنه بالنسبة إلى سيد شيكاغو، « إذا كانت السياسة الخارجية بإمكانها المساهمة في إيجاد أنظمة لائقة، فهذا جيد. لكن هل حان الوقت الذي يمكننا من استخلاص النتيجة التي تقضي بتنظيم السياسة الخارجية حول إعلاء الديموقراطية ..»[2]

---

[1] - كينيت ل. دويتش وجون أ. مورلي، ليو ستراوس والنظام الأميركي، مرجع سابق.

[2] - مقابلة، في ٢ شباط ٢٠٠٤ .

ضمن شريان أكثر شعبية من ليو ستراوس نشأ مساهمون كباراً في انشقاق النسبوية والتعددية الثقافية والأكثر شهرة منهم طلاب ستراوس الذين شكلهم بنفسه لاحقاً في صفوف مكتملة، ولد ألان بلوم عام ١٩٣٠ وتوفي عام ١٩٩٧، وحضّر أطروحة الدكتوراه في الـ Committee on social thought في جامعة شيكاغو، حيث كان يعلّم ستراوس. خلّده صديقه سول بيلاو في روايته **Ravelstein** بسمات الأستاذ داندي الذي يحمل الاسم نفسه.

رافلشتاين يعبد ذكر أفلاطون وروسو مثل بلوم تماماً؛ فعظّم دور « غريزة الحب » في الحياة البشرية، وكذلك فعل بلوم، أخذ دور المعلّم الذي حرّر جاذبيّة لا يمكن مقاومتها، أستاذ متطلب حيث إن « الزملاء كانوا كذلك متحمسين أكثر من النمامين »[1]. كما فعل ستراوس أوصى، بلوم كل الذين يتبعونه بأن يقرأوا الكتب القديمة التي تحث في المسائل الأساسية التي من شأنها تهيئة العقل وإصلاح النفس. هنا يتم التفكير بكوجاف الذي نصح عام ١٩٦٧ الطلاب الألمان الراغبين بتعلّم اللغة الإغريقية القديمة ».

حالياً أصبح كينيت ويسنشتاين نائب رئيس معهد هدسون في واشنطن، وكان قد أكمل دروسه في هارفرد مانسفيلد وألان بلوم. وقد أتقن اللغة الفرنسية: « أنا صغير، أنا يهودي ومحافظ، لا يمكنني أن أكون إلا

١ – ميشيكو كاكوتاني، نقد رافلشتاين، نيويورك تايمز ٢٠ نيسان ٢٠٠٠ .

من المحافظين الجدد »[1]. بدأ بدراسة الطب قبل أن يعي أنه لن يرغب بهذه المهنة، فقد كانت شيكاغو بالنسبة إليه اكتشاف عالم جديد، من الأفكار، والثقافة الكبرى. بدأ بلوم دروسه مع أفلاطون، ومن ثم انتقل إلى « عاصفة شكسبير »، فلفت تلاميذه كيف أن الكتب تساعد على العيش. لم يكن لتعليمه صلة بالسياسة أو بالأيديولوجية: كانت الكتب بادئ ذي بدء مرشداً للحياة. « فمتابعة دروسه، لم تكن فقط مجرد تعليم، إنها خبرة كاملة، شاملة، وعميقة، تعمل على تغييره. كما أنها توصله إلى عالم أكثر اهتماماً من العالم المانوي[2]، (بالأسود والأبيض)، للسياسة. كان بلوم يعلم الرسم، والموسيقى، والطبخ .. ». فعلاقته مع الطلاب مختلفة كثيراً عن علاقة ستراوس. إذا كان ستراوس يحب الكتب أكثر من تلاميذه، فمع بلوم المسالة معاكسة تماماً. « إذا كان عندهم الحظ، وإذا كانوا متألقين مع إرادة جيدة، يقدم لهم رافلشتاين أكبر هدية يمكن أن يتوقعوها ويقودهم إلى افلاطون، ويدخلهم إلى أسرار مذهب ابن ميمون الباطني، ويعلّمهم الشرح الجيد لماكيافيلي ويجعلهم يلامسون الإنسانية العليا لشكسبير، وصولاً إلى نيتشه والعالم الثاني »[3].

فالكتاب الكبير عند بلوم، ذلك الذي عرّف الجمهور الكبير عليه والذي بلغ أبعد ما كان يتوقعه هو والناشر، كان ذلك عام ١٩٨٧ إنه: « **The Closing of the American Mind** » إنه أروج الكتب المضادة

[1] – مقابلة، ٣ شباط ٢٠٠٤ .

[2] – مانوي Manicheen ، نسبة إلى المذهب الفارسي المانوية أي الصراع بين النور والظلام .

[3] – سول بلاو، رافلشتاين، جاليمار ٢٠٠٢ .

للنسبوية الثقافية، كتاب الـ **Past Soixante huitards** . « كـل شـيء أصبح ثقافة، ثقافة المخـدرات، ثقافـة الـروك، ثقافـة عصابـات الشـارع، وهكذا دواليك دون اقل تمييز. أصبح فشل الثقافة ثقافة بحد ذاته »، هذا مـا كتبـه بلـوم، الـذي هـزئ بالثقافـة الأميركيـة، وروايــة دزنــي لانــد « لجمهورية » ويمار هذه بالنسبة لكل العائلة. كتاب يحمل تشاؤماً عميقاً لمستقبل الثقافة وحيث يلقي المسؤولية على أداءات التحررية. يعتبر انغلاق الفكر الأميركي نتيجــة القيمـة الخاطئـة منحـت « للافتتاحيـة ». فـالفكر الأميركي مغلق لأن الناس، بدفاعهم عن قيمة النسبوية، انفتحوا على كل شيء وكيفما كان الأمر، إنها حركة، يعتقد بلوم أنها تؤدي بنا لأن نصبح عبيداً « لما هو شخصي » . ضد النسبوية، قال سول بيلاو كلمـة قاسـية: « من هو تولستوي الزولويين ؟ ومن هو بروست البابويين؟ سأكون سـعيداً بقراءتهم ». ففي كتابه الذي يأخذ الكثير عن ليو ستراوس، لا يذكر بلــوم معلّمه إلاّ مرة واحدة. فقد أوضح عنه بقوله، ليس المقصود التنكر للمجموعة الذي كان يفتخر بها. بالعكس فهو لا يريد أن يورّط ستراوس في مغامرة لا يكون عبرها متحملاً اية مسؤولية، وعلى أساسها لا يستطيع بالفعل تأمين إجراء أي تدقيق.

بعد نشر هذا المؤلف الذي بيع منه عدة ملايين من النسخ في العــالم بأسره والذي استوحى من المحافظين (بالمعنى الأميركي) ومن المتحررين (بالمعنى ألأوروبــي)، اصبـح بلـوم إثـر ذلـك، وجـهاً رمزيـاً. لم يطالبـه المحـافظون الجدد رغم ذلك لكنه أعــدّ بعضـاً منـهم فـأصبحوا مـن الأكـثر شهرة.

خلال دروسه ومحاضراته، صحب سامعيه من العصور القديمة إلى « الأنوار »، ومن لوك إلى هايدجر، دون أن يتجاهل الحاضر مطلقاً، كالزخرفة المعمارية، والصحافة، والنظام التعليمي ومستشاري المؤسسات الحكومية؛ باختصار، السياسة « وضع لنا صورة لديموقراطية الجماعة وانتاجها البشري – المكدِّر ». هذا ما كتبه سول بيلاو في « رافلشتاين ». رغب بلوم بالبقاء على صلة مع طلابه القدماء، خاصة أولئك الذين نجحوا في الإدارة: « كل هؤلاء الطلاب الذين قمت بإعدادهم خلال الثلاثين سنة الأخيرة يقومون باستشارتي دائماً، والهاتف يمكنه القيام بنوع من المنتدى الدائم حيث إن المسائل السياسية التي تعالج يومياً في واشنطن يمكن أن توضع بمنظور أفلاطون الذي درسوه منذ عشر سنوات أو عشرين سنة ..».

رسم سول بيلاو أيضاً وصفاً لفيليب جورمان « حالياً أحد المستشارين المقرَّبين من الوزير. يتمتع هذا الصبي بذهن وقّاد وفهم حقيقي للسياسة العليا، في حين أن اختصاصي الإحصاء ليسوا سوى قائمة طعام مهملة »[1] (إشارة إلى والد " جورمان " الذي كان عالماً في الرياضيات). من مكتبه في وزارة الدولة استدعى جورمان « رافلشتاين » لوضعه في أجواء التطورات السياسية الأخيرة، وليطلب رأيه في كل ذلك. هذا على الأقل ما يروق له للاعتقاد بالمعلم: « جزّأ الفتى جورمان، بالتأكيد، المعلومات التي قدَّمها إلى رافلشتاين. فلا يستطيع أن يسمح لنفسه بالذهاب إلى ابعد ممّا تتضمنه نشرة صحافة اليوم التالي. لكنه كان يدرك مدى الفرح الذي يحدثه

[1] – رافلشتاين، مرجع سابق.

لأستاذه القديم لامتلاكه قنوات لمرة الأولى ويقوم بإخبارها بكل احترام وحنان. وكان يعلّم أيضاً أن رافلشتاين يمتلك كميات من المعلومات التاريخية والسياسية بشكل جاهز. تعود هذه المعلومات إلى أفلاطون وتوسيديد ، وربما تكون أيضاً عن موسى [...] عندما قال رافلشتاين أن الفتى جورمان يفهم معاني السياسة العليا، فقد كان عنده شيء من هذا النوع في ذهنه ».

وراء فيليب جورمان اختبأ بول وولفويتز، الذي كان يتابع مقرراً عند بلوم في شيكاغو. كان يقطن في المكان نفسه في مقصورة من « تالوريد». تردد وولفويتز في معرفة نفسه من خلال جورمان « زد على ذلك، لم يبلغ الأمر أكثر من نصف فقرة .. »[1] كما قال. وأصبح كل الآباء يعتبرون أن بلوم يعمل على إخراج أولادهم من الرياضيات ليضللهم في العلوم الإنسانية! من المعروف أن والد وولفويتز، جاك، كان أستاذ في الرياضيات ويريد الابن أن يسير على خطاه.

ووفقاً لهذا الشكل تكوّن المثقفون الذين ضاعوا بعدئذ في السياسة. إنزعجوا من تفرّعات التحررية، وناهضوا النسبوية الثقافية، واقتنعوا أخيراً بجدار الديموقراطية الأميركية، ومن ضرورة الدفاع عنها بمعاداتها للتوتاليتارية الشيوعية، حيث إن ستراوس كان قد اسماها باسمها الحقيقي « الطاغية »، والتقوا عند نهاية سنوات الستينات مع مثقفين آخرين، معظمهم من جيل أكثر تقدماً في السن: فقد تكونت معاداتهم

---

[1] – مقابلة مع فانيتي فاير، مرجع سابق.

للشيوعية، المنبعثة من اليسار واليسـار المتطـرف، مـن صراعـات مـا قبـل الحـرب العالميـة الثانيـة. كمـا وجـدوا أسـتاذاً آخـراً في شـيكاغو، عـالم رياضيات أصبح متخصصاً بالعلاقـات الدوليـة، إنـه ألبـيرت ووهلسـتاتر، الذي فتح أمامهم أفقاً آخر هو الاستراتيجية النووية.

جديد - إلهي - إحاثي

لمحافظين من كل الألوان

ما الحديث عند المحافظين الجدد ؟ فالبادئة الملتصقة « بالمحافظة أو بالتقليدانيـة » تضحـك أم تغضـب. في البدايـة ، أكّـد ميشـال نوفـاك، كاثوليكي أيرلندي، عندما اسـتخدمه الاشـتراكي ميكـاييل هـارينجتون في أواسط سنوات السبعينيات من القرن الماضي ، بدون شك لأول مرة، قائلاً: « نحن نكره هذه الكلمة ، ونرفضها ونستبعدها ، وننكرها، بلا جدوى »[1]. بادئ ذي بدء إن كلمة « محافظ » وحدها هي حالياً علامة نبذ. وأن هـذه البادئة « جديد » أو بالأحرى اللاحقة لا توحي بشيء جيد، يشـبه الأمـر بادئة « كـاذب » أو « غير موثـوق بـه حقيقـة ». يعتـبر دافيـد بروكـس، المحافظ الجديد في النيويورك تـايمز أكـثر راديكاليـة : أصبحـت لاحقـة « جديـد » مصغّـر لكلمـة « يـهودي »، كتـب في صحيفتـه ، ليفضـح معـاداة السامية التي اعتبرها من أعداء المحافظين الجـدد « لكـن الاسـم كـان قـد اتخذ ». يقول ميكاييل نوفاك.

فقـد توقـف هـذا الأخـير عـن الإسـاءة، خلافـاً عـن كـل المدافعـين « سياسياً بشـكل سـليم، عـن التقليديـة الجديـدة - تنـاقض في التعبـير - والذين صعدوا إلى المتراس: عـالٍ وقـوي، ضـد كـل جـلاء، ثـم أكّـدوا إن

---

[1] - ميكاييل نوفاك National Review on line ، مرجع سابق.

التقليدانية الجديدة غير موجودة، ولم تتواجد مطلقاً أو أنها لـن تتواجـد، وأقف إلى ذلك لم تكن كما قـالت عنـها الألسـن السـيئة، وأن المحـافظين الجدد، غير المتواجدين فعلاً، لم يكونوا على اتفاق فيما بينهم ..

أن تحـدد « المحافظـة الجديـدة » أصعـب بكثـير مـن التقليدانيـة (المحافظة) الأميركية التي تعتبر نوعاً مـن التشـكّل الخـاص. في بلـد لم يعـرف لا « دسـتور قديـم »، ولا إقطاعيـة، ولا ملكيـة، ولا اكليروسـية مضادة. لا يمكن أن تكون مطلقاً مسألة إحيـاء مـن جديـد. في الحقيقـة أن التقليدانية الأميركية، بقبولها أصلاً، هي إرث بريطاني مطبوع بآراء زملاء ادمون بوركه: تجمعـات صغـيرة حـرّة، عائلـة، قيـم. كمـا فسّـرها أيضـاً ميكاييل نوفاك، يمكـن أن نقـول إنـه في سـنوات السـبعينيات مـن القـرن العشرين لم يكن هناك فعلاً حركة لأي محافظ في الولايات المتحدة، لكننـا نجد قراءتين للتحررية: « اليسار القديـم » وهـو خلاسـي تقريبـاً وأوروبـي مكوّن من الاشتراكية، ومن الديموقراطية الاجتماعية.

تكون التقليدانيية الجديدة « حديثة » علـى أسـاس عنوانـين. كـان محركو الجيل الأول حديثي العهد في « التقليدية » لأنهم أتوا من اليسار، وأحياناً من اليسـار المتطـرف، جلبـت التقليديـة الجديـدة تصـوراً حديثـاً للسياسة. لم يكن أحد مهيأ لعرضه على أساس أنه عرّاب الحركة، إيرفنغ كريستول. رفـض بـادئ ذي بـدء، تعبير « حركـة »: و« كتـب في المقـال الذي، بوجوده فقط، لم يكترث بكـل الاعتراضـات الناقمـة، والتقليدانيـة

الجديدة هي وعي يتجلى استطراداً، بطريقة مضللة، وحيث يمكننا التقاط المعنى الاستدلالي فقط».

وفقاً لبعض الأفكار الرئيسية للمحافظين الجدد، والتي تدور حول السياسة الداخلية كتخفيض الضرائب لتحفيز النمو؟ ليس ذلك اختراعاً من صنع المحافظين الجدد، الذين «أكثر اهتماماً بالنمو منه بتخفيض الضرائب. فقط تتيح إمكانية النمو الاقتصادي، لكل فرد أن يتنامى، حتى لو كان ذلك بالتساوي وعلى التواتر نفسه، مما يمنح الديموقراطيات الحديثة شرعيتها واستمراريتها»[1].

لا يولي المحافظون الجدد مهمة القيام بالخدمات إلى الإدارة، لكنهم ليسوا من المهووسين المنحصرين (ممن تستبد به فكرة) من «ضعف الدولة». على نقيض المحافظين التقليديين يشعر المحافظون الجدد بارتياح في أميركا اليوم. رغم وجود الانتقادات، فإنهم يفضلون «الحكمة الديموقراطية عند توكفيل على التوق إلى الماضي عند توري، لنقل، عند روسل كيرك» وهو وجه منافس في التقليدانية الأميركية. يحمل كيرك على هؤلاء «اليهود المفكرين الأحرار» ممّن يتربصون بالمسيحية. لذلك تبنى الموقف الكلاسيكي لليمين ودرّس احترام التقاليد، والحنين إلى الماضي، بما في ذلك ما هو غير مقبول، مثل التمييز العنصري والعبودية[2].

---

[1] – ايرفنغ كريستول، مرجع سابق.

[2] – مقابلة مع جايمس سيزر، ٣١ كانون الثاني ٢٠٠٤.

في البدء، لم تكن السياسة الخارجية المجال المغفل عند المحافظين الجدد. لكنها أصبحت كذلك فقط في السنوات العشر الأخيرة من الحرب الباردة. قال إيرفنغ كريستول: « يعتبر النص المفضل للمحافظين الجدد في السياسة الخارجية، بفضل الأساتذة ليو ستراوس من شيكاغو ودونالد كاجان [1] من يال، هو حرب البيلوبوناز - توسيديد. يمكن إيجاز موقفنا بالقضايا - كما قالها ماركسي **Sic**، التالية: « الوطنية شعور طبيعي وسليم، إن فكرة وجود حكومة عالمية هي فكرة مرعبة، أجل لأنها تؤدي إلى الطغيان العالمي. يجب النظر إلى المؤسسات العالمية وكأنها تسعى إلى هذا الهدف النهائي بحذر عميق »[2].

على رجال الدولة أن يكون لديهم، فوق كل شيء، القدرة على التمييز بين الأصدقاء والأعداء: « يبدو أنه لم يكن الأمر سهلاً كما كان، أو كما دل عليه تاريخ الحرب الباردة. إن عدد الأشخاص الأذكياء الذين لم يكونوا يعتبرون أن الاتحاد السوفياتي عدواً، في حين أنهم يوصفوا كذلك، فإن وضعهم يبدو أمراً مدهشاً للغاية »[3].

هكذا نستنتج أنه، بالنسبة إلى قوة كبرى، لا يقتصر مفهوم « المصلحة الوطنية » على المفهوم الجغرافي فقط، انكب إيرفنغ كريستول على مقارنة غريبة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي: « مما لا

---

[1] - إنه والد روبرت كاجان، صاحب كتاب « القوة والضعف » ٢٠٠٣ .

[2] - إيرفنغ كريستول: The Neoconservative pervasion, what it was, what it is، مرجع سابق.

[3] - المرجع السابق.

شك فيه أن الأمم الكبرى، من ذوي الهوية الأيديولوجية، كالاتحاد السوفياتي بالأمس والولايات المتحدة اليوم، لديها إلزامياً مصالح أيديولوجية أبعد من الاهتمامات المادية. فيما عدا الأحداث الاستثنائية، تشعر الولايات المتحدة دائماً بأنها ملزمة بالدفاع، بقدر الامكانات المتوفرة، عن أمة ديموقراطية تكون قد أعتدي عليها من قبل قوى غير ديموقراطية، خارجية أم داخلية [...]. هذا من جراء كونها تملك هذا النوع من القوة التي تملكها الآن أميركا، أو أنك تجد الفرص لاستعمال هذه القوة، أو أن العالم يجدها لك »[1].

لقد قيل كل شيء عمّا يفكر فيه المحافظون الجدد، وعمّا يميّزهم عن أمثالهم.

غداة الحرب العالمية الثانية، أطلق فريق على نفسه اسم « محافظون جدد »، تجمعوا حول وليام ف. بوكلاي «العرض الوطني». بوكلاي معادي للشيوعية – لكن، آنئذ لم تكن هذه العلامة الوحيدة لأن تكون يمينياً – وهو ضد النيو ديل **New Deal**، لكن هذا الكاثوليكي الأيرلندي يتميز عن المؤسس المحافظ والمتحزِّب ضد الانعزالية، من أجل الدولانية [2]. « فالعرض الوطني » هو مجموعة أشخاص غريبي الأطوار، مبتكرين، من أنصار الحرية المطلقة، كاثوليك وشيوعيين سابقين، مع عقلية تحليلية، هذا ما يتذكره هيليل فرادكت، مدير مركز لعلم الأخلاق

---

[1] – ايرفنغ كريستول. المرجع السابق.

[2] – Internatiolanisme : مذهب يسمو إلى تجاوز حدود الدول لإقامة اتحاد بين الشعوب والأمم.

والسياسة العامة، في واشنطن [1] . عندهم ناحية دون كيشوتية، إنما عبر توجّههم بقوة ضد الدولة، وجدوا صعوبة في تقبل الحداثة ووجدوا أنفسهم أمام مثال ضائع: كتجمع المزارعين الأحرار الذين حملوا الأسلحة ضد الإنكليز عند نهاية القرن السابع عشر. وشعارهم يمكن أن يكون: ورّط نفسك في السياسة، ودمّر الدولة وعد إلى منزلك » .

من بين المحافظين التقليدانيين، يمكننا تمييز تيارين: التيارات الإحاثية والتيارات الأثرية. تتأسف الأولى على تدمير القيم وهم من الانعزاليين في السياسة الخارجية؛ يخشون من أن تؤدي الشمولية إلى تدمير الطبقة الوسطى الأميركية بالسماح باستيراد اليد العاملة بثمن زهيد (إنهم يعارضون الهجرة عندما لا تعني البيض) أو بتيسير عدم تمركز الصناعات الأميركية في البلدان الأقل نمواً. يريدون الدفاع عن النموذج الأميركي كما يتصورون كيف كان يعمل في الماضي، قبل حدوث أضرار التحررية .. والتقليدية الجديدة. أما التيار الثري فأنه تشكيكي بالنسبة إلى شرعية القيم الأميركية، يتساءل أعضاؤه ما إذا كان جذور الشر محتواة فيها، ويبحثون عن أصنام جديدة. إنهم معارضون لمفهوم التقدم، وضد المثقفين. وثائرون على الفلسفة والتأمل الذهني.

في سنوات السبعينيات من القرن العشرين، أوضح عالم السياسة جايمس سيزر كيف استرجع المحافظون الجدد فكرة التقدم التي وقعت من بين يدي اليسار. اعتبر هذا الأخير أن أميركا وصلت إلى درك متدنٍ،

---

[1] – مقابلة في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

وأنه، منذ فاجعة بعثة فيتنام، لم تبقَ جديرة بتجسيد القيم العالميـة الـتي تدَّعي بأنها بنيت عليها « بالخطأ، اختار المحافظون الجدد هذا البعـد، وكتب جايمس سيزر. إنما ليس فقط بالخطأ »[1]. كانوا يحضّـرون بـالفعل في الثمانينيات لمجـيء قـائد جديـد: رونـالد ريغـن « متفـائل متمكِّـن »، « فبرز جيل جديد من المحافظين الذي وضع جانباً حتمية التعاسة وأكّد، بثقة وطيدة في المستقبل، شعار التقليدانيـة أو المحافظـة »[2]. فطبَّـق هـذا الجيل صيغة الفيلسوف الأميركي جـون ديـوي، الـذي يقـول: « يسـيطر المستقبل أكثر مـن المـاضي علـى المخيلـة. فـالعمر الذهـبي أمامنـا، وليـس وراءنا ». لبلوغ الهيمنة الفكرية على اليسار لا لزوم لتكرار حقائق قديمـة، حتى لو كانت ملائمة، بل يجب الدلالة على « نـور في الأفـق ». وأطلـق عليه « أيديولوجية » أو « رؤية »[3].

لم يحـاول المحـافظون الجـدد أن يذوبـوا في الحـزب الجمـهوري؛ وحاولوا تحويله بالتأثير عليه مـن الداخـل ومـن الخـارج. في إشـارة لهـذا النشـاط الـذي يكـون مبـالغ فيـه إذا نعـت « بإنشـاء خلايـا »، لرئيــس « فيلادفيا سوسيتي » وهو نادي جمهوري رفيع المقـام، هـذا التصـوّر: « بالإمكان قبول مومس في جوقة ترانيم دينية، إنما لا يمكننا في الوقت نفسه السماح لها بالتوجه نحو الـذي تريـده »[4]. هـذا يعـني، دون أن يكونـوا

[1] – ويكلي ستاندر، ١٠ ىذار ٢٠٠٣ .

[2] – مرجع سابق.

[3] – ويكلي ستاندر، ١٠ آذار ٢٠٠٣.

[4] – مقابلة مع هيليل فرادكن، ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٤ .

منحرفين، إن المحافظين الجدد هم ناس « متحمسون، وحضورهم دائم لخوض معارك جديدة، ويقاتلون بفرح واندفاع [...] نؤمن فعلاً بأن الله خلق هذا العالم ليتيح للحرية أن تزهر. فالبعض، حتماً، كان له الحظ بأن يولد هكذا، أو أن يتربى هكذا، دون أن يضطر إلى المرور بتجارب أخرى **Lucky you ! Beati voi !** [1] .

ليسوا وحدهم ممّن يتحدثون هكذا عن أنفسهم. فأخصامهم – البعض منهم على الأقل، لا يعتبرونهم بالضرورة « من الذُّهانيين » (التعبير لسفير أميركي قديم حيث إن مكتبه الحالي يشرف على البنتاغون) ويتناولون الحديث نفسه. سلّم سكوت ماكونيل، ناشر **The American Conservative** مع بات بوشانان، منافس ويكلي ستاندر ومن السلطات العليا في المحافظين الإحاثيين، سلّم بأن المحافظين الجدد هم أناس « منفتحين، أذكياء، ظرفاء، يحبون فرنسا – وليس ذلك بالصدفة – .. لقد أهانوني » [2] أضاف هذا المحافظ الجديد السابق الذي اختلف نهائياً مع أصدقائه القدامى: « إنها أيديولوجية تريد نشر الديموقراطية ودعوة العالم بأسره للمجيء إلى ولايات متحدة ليست محافظة بل راديكالية، هكذا قال ليشير إلى أن مسالة الهجرة كانت سبب الانشقاق. لقد ذكروني بأن أجدادهم وصلوا من أوروبا عندما كان أجدادنا يحافظون على الشواطئ ».

---

[1] – ميكايل نوفاك، National review on line ، مرجع سابق.

[2] – مقابلة، ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

والسبب الآخر للخلاف بين الجدد والإحاثيين هو الشـرق الأوسط. كـان الإحـاثيون، منـذ البـدء، ضـد الحـرب علـى العـراق، وقـد أشـارت The American conservative لعدة أشهر بصفحاتها الأولى على شـرف جـاك شـيراك والسياسـة الفرنسـية. « لكـن النظـام العـالمي لعـب لصـالح الولايات المتحدة، وأن مفهوم الحرب المشفوعة أفقدت التوازن » كما قالوا.

ثمَّ انتقدوا الدعم « غير المشروط »، مـن واشـنطن لدولـة إسـرائيل، أجل « ليس من مصلحتنا أن نجعل من العـالم العربـي عـدواً لنـا ». فقـد وصـف نصـيرهم، بـات يوشـانان، المرشـح لعـدة مـرات إلى الانتخابــات الرئاسية، الكونغرس « بمقاطعة تسيطر عليها إســرائيل ». لكنـهم رفضـوا إتهام معــاداة السـامية، « طريقـة لجعـل النـاس يصمتـون، وهـي تخفـي حاجتها للحجج والبراهين »[1].

قـام الإحـاثيون المحـافظون الأثريـون بالانضمـــام إلى الواقعيــين في السياسة الخارجية، وقد اشتهروا في النشاط الديبلوماسي الذي قاده هنري كيسنجر، الذي يكن له المحافظون الجدد أعظم الكره، وكذلك من جـورج بوش السنيور – كي لا نتحدث إلاَّ عن العشرات الأخيرة من السـنوات. في العام ١٩٨٩، بعد تيانانمان، أرسل بوش الأب إلى بكين مستشاره للأمن، برنت سكوكرفت، ولورانس ايجلبورجر من وزارة الدولة، مع رسالة طمأن فيها الصينيين، ولا داعي لأخذ إداناته العامة للعقاب على محمل الجـد. ففي القرن التاسع عشر، عندما كان العالم الوسـتفالي يتعقلـن، كـان يطـل

[1] – مقابلة مع سكوت ماكونيل، ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

كيسنجر « المترنيخ »؛ ويطل بول وولفويتز هو نجـم « الكسـندر الأول »، « لأنه استمر في القتـال ضـد نـابليون لأسـباب أخلاقيـة »[1] وكـان علـى وولفويتز أن يلح في محاولة لتحديد مميزات رجل الدولة فقال: « لا شـيء يمكن أن يكون أقل واقعية سوى طريقـة « الواقعيـة » الـتي تنفـي حقـوق الإنسان كوسيلة أساسية للسياسة الخارجية الأميركية »[2].

مقابل الواقعية « اللاحلفية » عنـد كيسنجر، وقـد تبنّاهـا الرئيـس جورج هـ. بوش وأمينـه جـايمس بـاكر، والانعزاليـة الجديـدة عنـد بـات بوشانان، والانسانوية[3] العالمية عند كلينتون – يفضلون هذا الأخير تجـاه اللامبالاة المتعالية عند باكر أثناء الحروب البلقانية (لا نملك كللاً في هذه المعركة) كان المحافظون الجدد من أنصار « ولسونية » من نـوع خـاص، « الولسونية السوقاء »[4]. الاثنان يريدان جعل « العالم أكثر ديموقراطية » (و. ويلسون) (وانطلاقاً من أميركا)، لكن الويلسـونيين يعتمـدون علـى تغيير النظام العالمي المبني على المؤسسات العالمية الصلبـة والديموقراطيـة. بالمقابل يؤكد المحافظون الجدد على أولوية الأمة (الأميركية) ويراهنـون على انتشار قوتها لخدمة المصـالح الخاصـة الـتي يفـترضون أنـهـا تتطـابق بداهة مع المصالح العامة.

---

[1] – جايمس مان، Rise of the vulcans ، مرجع سابق.

[2] – كيف تكون رجل دولة في العصر الحديث، ر. كاجان ، و. كريستول، ٢٠٠٠ .

[3] – نزعات طوبائية أو خطيرة، المترجم.

[4] – بيار هاسنر، امبراطورية القوة أم قوة الإمبراطورية ؟ ، مرجع سابق.

ففي مقال طويل وموثّق بكثافة، أوضح أدام وولفسون، رئيس تحرير The public interest أن المجلة عامرة بالمحافظين الجدد، كما أوضح بشكل جيد ما يميّز أصدقائه عن التيارين الكبيرين الآخرين المحافظين، فهو يعني مثل « الفوضويين » (ليس فقط كالليبيراليين وفقاً لمفهوم هايك عند « التقليديين »، بجذورهم الفلسفية والتاريخية المختلفة [1]. استند الأولون إلى فريدريك هايك (طريق الخدمة ١٩٤٧)، واستند التاليون إلى الفيلسوف الانكليزي في القرن الثامن عشر، ادمون بوركه. بالنسبة إلى المحافظين الجدد فقد استحسنوا توكفيل. يتأسف التقليديون على الزمن القديم وحسناته، واستحسن الفوضوين الاستفادة من الحريات الجديدة والتقنيات الحديثة، بينما لم يكن المحافظون الجدد ليعارضوا الحداثة، فهم واعون لحسناتها ولمخاطرتها. في حين نادى « الهايكييون » بالتقدم والحريات الاقتصادية منها والفردية. إنهم ضد تنظيم السوق وضد الأخلاق، ويداخلهم الشك في دولة العناية والحكومة العظمى (من دولة العناية التي تتحوّل إلى دولة كبرى)، فأرادوا تحديث الإدارة بفضل التكنولوجيا، وجعل الإنسان سعيد، بفضل البيو- تكنولوجيات. دون أن يكونوا انعزاليين، وليسوا تدخليين منهجيين ذلك لأنهم يخشون من التقاء العمليات العسكرية في الخارج وزيادة التكاليف العسكرية، ونتيجة لذلك يحصل تضخم في ميزانية الدولة، وأخيراً نمو الدولة نفسها ونمو مجساتها، لدرجة يتم فيها تقييد الحريات الفردية « قد تكون التقليدانية

---

[1] - أدام وولفسون، Conservatives and Neoconsevatives ، مرجع سابق.

الجديدة أكثر خطراً من تقدمية اليسار ». كتب مسؤولان من معهد كاتو في واشنطن، أجل فقد « استخدم الإرهاب كذريعة لتعزيز جـهاز الدولـة مـن الداخل ومن الخارج »[1].

لا وجود لهذا الرهاب للدولة عند المحـافظين الجـدد، كمـا أوضـح ذلك إيرفنغ كريستول في جهره للعقيـدة السياسـية الـتي يؤمنـون بـها. لم يتصوروا أنه بذلك يفتح « طريق التبعيـة » لكنـهم يؤمنـون بقـدرة الرجـل السياسي على تغيير نظام الأشياء، مع كونهم معارضين لكـل أنـواع النمـو الزائد وكـل أنـواع المغـالاة عنـد **Welfare State** « مـن أجـل ذلـك قـال كريستوفر كـالدويل، مسـاعد ويكلـي سـتاندر والـ **Financial Times**، يشعر المحافظون الجدد أنهم بحريـة في ظـل سياسـة جـورج و. بـوش في تخفيضات الضرائب، وطلاقته فيما يخص عجز الميزانية »[2]. هذا مـا مـا منعهم من النقد الحاد لتخفيضات الضرائب الموعودة مـن قبـل الرئيـس في النطاق الذي كان من الممكن أن تؤدي إلى أثر سلبي على النفقات الحربية. إذا تم تخفيض ميزانيـة الجيـش، كـان الويكلـي سـتاندر سـيدعو دونـالد رامسفيلد وبول وولفويتز إلى الاسـتقالة. فمجلـة **National review** الأكـثر تقليدية، تضع الإدارة الحالية ما فوق مقياس المقارنات فيما يتعلق بتضخم الدولة. فهي تنتقد برنامج المساعدة الطبية الذي وصفـه جـورج و. بـوش، وتعتبره باهظ الثمـن أكـثر مـن برنـامج **Medicard** الـذي وضعـت تصـوره

---

[1] – ادوار كران ووليم نسكانين، الحفاظ على الحرية في أميركا، ٢٥ حزيران ٢٠٠٣.

[2] – مقابلة، ٢ شباط ٢٠٠٤ .

هيلاري كلينتون عندما كـان زوجـها رئيسـاً، وحيـث إن وليـام كريسـتول ساهم بشـكل كبـير في قتلـه قبـل أن يولـد. مـع هـذا التواتـر قـامت الـ National Review باحتسـاب مصـاريف دولة - الرعايـة الـتي زادت على ٣٠٠٠ مليار دولار على مدى السنوات العشر المقبلة. مما أرعب أيضاً ورثة المحافظين الإحاثيين أكثر مـن التقليديـين. « إصلاحيـو اليمـين »[1] إنهم ضد التبادل - الحر، وضد الشمولية، وضد الهجرة .. إلخ.

الشيء اللافت للنظر هو أن المحـافظين الجـدد، الذيـن ليسـوا مـن دعاة العودة إلى القيم التقليدانية، وباعتقاد راسـخ - القيـم الأميركيـة هـي « ليبرالية وديموقراطية » - وبالواقعية - تبدو هذه العودة غير ممكنـة -، وقد وجدوا حلفاء لهم عند الأصوليين المسيحيين، هؤلاء الذين نطلق عليهم أحياناً: « المحافظون الإلهيون » أصبح واحـد مـن ممثليـهم المركزيـين في الحكومة: جون اشكروفت J. Ashcroft ، وزيراً للعدل، إنه أحـد وجـوه التحالف المسيحي الذي يجمع عدة كنائس إنجيليـة. كـان والـده وكذلـك جدّه من المبشّرين. في الوزارة، كان يبدأ نـهاره بـالصلاة، كمـا يحصـل في اجتماعات البيت الأبيض عندما يكون الرئيس حاضراً. وجـون أشـكروفت هو أيضاً ضد الإجهاض بشراسة وقصاصه العقاب بالموت. كما أن جورج و. بـوش لم يتمكـن مـن تغيـير القوانـين المتحـررة الـتي تلتقـي مـع عقـائده الراسـخة، ومـع التحـالف المسـيحي، رغـم ثقلـه الانتخـابي وتأثـيره الأخلاقي، هكذا نجد أن الرئيس نفسه لم يوفّق في فرض وجهات نظره.

[1] - أدام ولفسون، .. Conservatives and Neo ، مرجع سابق.

كيف تمكّن المحافظون الإلهيون من إيجاد أرضية وفاق مع المحافظين الجدد؟

المحافظون الإلهيون من البروتستانت الكلانيين [1]، معادين للساميين بتساهل وأحياناً معادين للمسلمين. عندئذ جهد الرئيس بوش إلى إجراء تمييز دلالي على الأقل بين الإرهاب والإسلام، لها وجود لهذه الفكرة الدقيقة عند المبشرين الإنجيليين. نجد فرانكلين جراهام، قريباً من عائلة بوش الابن ووالده بيللي جراهام معتدل، صديق جورج بوش السنيور. كما نجد بات روبرتسون انجيلي مسافي، تقدم في الجمهوريين الأول ضد رونالد ريغن عام ١٩٨٠.

خلافاً لذلك، نجد أن المحافظين الجدد وهم غالباً من اصل كاثوليكي أو يهودي يتوخون أن يكونوا غير امتثاليين ويبشرون - بشكل عام - بالمساواة بين كل الناس وهي قيمة عالمية. يعتقد المحافظون الجدد كما المحافظون الالهيون أن « أميركا قد تأسست على فكرة »، لكن الأوائل يعتقدون بمرجعية إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦ والآخرين يؤمنون بالمسيحية[2].

هذا لا يمنع، قال جايمس سيزر، من أن التحالف مع العنصريين المسيحيين هو التحالف الأكثر صلابة والذي تمكن المحافظون الجدد من

---

[1] - التمامية Integrisme : موقف الكاثوليك الذين يرفضون كل تطور ويأبون مجاراة الحياة الاجتماعية والتكنولوجية الحديثة ، المترجم.

[2] - رامش بونورو في National Review ، ٢٧ كانون الثاني ١٩٩٧ .

تكوينه. لماذا ؟ لأن للأصوليين جيوشهم؛ فهم يمثلون، وفقاً للتقديرات، بين ١٠ و ٢٠ مليون ناخب منتسب للجمهوريين.

تحدَّثت المؤرخة جرترود هيملغارب، زوجة ايرفنغ كريستول، عن « الأمة الأخرى » – بمقابل الأمة الأميركية المتحررة – والتي تمتد من اليمين المسيحي إلى أفراد غير منظمين إلى مؤسسات دينية خاصة، لكنها تتمتع بمعتقدات أخلاقية تقليدية راسخة وقوية. كتبت قائلة بأن ٤٣ ٪ من الأميركيين يرددون **Born-again Christians** حيث إن الثلث يتوافق مع اليمين الديني[1]. هناك أقلية، لكنها أقلية أساسية لتأمين انتصارات الجمهوريين، في حين أن أقلية السود تنتخب تقليدياً للديموقراطي .

يتقاسم المحافظون الجدد والمحافظون – الإلهيون، من ناحية أخرى، القيم التالية: العائلة، ومحاربة الابتذالية، والإباحية في الثقافة، ونوعية التربية، ورفض النسبوية الثقافية والأخلاقية، وأهمية الدين في المجتمع، فقد كان يشكل التزاماً فردياً أو على شكل تلاحم جماعي. ألحّ توكفيل، الذي يقدره المحافظون الجدد، على فائدة الدين من أجل الديموقراطية، وأوضح جايمس سيزر، وليو ستراوس مرجعهم الثقافي الآخر « اختار أثينا، لكنه لم يهمل أورشليم مطلقاً » في التوتر الحاصل بين العقل واظهار الوحي. قامت شخصيات بالربط بين المجموعتين من بينهم وليام بنيت، أمين قديم للتربية مع رونالد ريغن ، الذي وظف حينئذ الفتى كريستول في ديوانه هو نفسه صديق جاري بوير، قائد الاتحاد

---

[1] – جرترود هيمالغاب :

The Public interest في Democratics remedies for democratic disorder , 1998

المسيحي، أو أيضاً ميكـاييل جرسـون الـ Speech writer عنـد الرئيـس جورج و. بوش ومشارك قديم بالشهرية الدينية.

أخيراً، التقى الفريقان لأسباب مختلفة لكنها مكملة لبعضها البعض ضمن دعم غير مشروط تقريبـاً لاسرائيل، وهـو دعـم يذهـب إلى ابعـد مـن المشاركة التقليديـة الـتي تحققـت في الولايـات المتحـدة مـن أجـل الدولـة العبرية. بالنسبة للبعض، تعتبر إسرائيل الملجأ الذي لم يكن لدى أهاليهم وجدودهم عندما تركوا أوروبـا إلى أميركـا: إنـه بلـد الـروّاد، لكنـه محـاط بالأعداء، وهو يجسد الديموقراطيـة الوحيـدة في الشـرق الأوسـط. بالنسـبة للآخرين، إسرائيل هي الأرض المقدسة، أرض المسيح الذي سوف يأتي في اليوم الذي يكون فيه اليهود قـد احتلـوا غربـي الأردن نـهائياً، ويسـمونه أيضاً اليهودية والسامرية.

هذا التحـالف « غير المتوقع » إيرفنغ كريستول ، السياسي والظرفي أكثر منه عقائدي وعميق. يعتبر الدعم المسيحاني من المحافظين الالهيـين إلى الشعب اليهودي مريباً، مـع ذلـك فقـد أغـاظ أحيانـاً نـاقدون مثقفـون تعارفوا فيما بينهم بطريقة صعبة ضمن هذه الأصولية وتواترتها التجهيلية. « سمعت يوماً بات روبرتسون في هارزليا، مدينة صغيرة شمالي تل أبيب، يدافـع عاليـاً وبقـوة عـن حـق إسـرائيل في الوجـود، كمـا روى يوشـيا مورافشـيك، بـاحث في معـهد الـــAmerican entreprise ، ومؤيـد للتقليدانية الجديدة. إلى هنـا، كنـت علـى اتفـاق مـع خطابـه. لكـنـي لم أتمكن ابداً من متابعته خاصة عندمـا اسـتطرد، باسـم التـوراة، أكـد بـأن إسرائيل تملك كل الحق بالاحتفاظ بكل الأراضي التي احتلتها والى الأبـد.

فأنا اليهودي المارس، أعتقد أنه بإمكاننا أن نجعل التوراة تتحدث عن أمور كثيرة. نجد كثيراً من الأشياء التي تقدمها التوراة كأشياء خالدة، ورغم ذلك فقد تبدلوا منذ الأزمنة التوراتية ..»[1] كما ذكرت جرترود هيملغارب وأشار ليو ستراوس « الحقائق تكون ثابتة ووحدها المعتقدات تتغيّر ».

---

[1] – مقابلة، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

ألبيرت ووهلستاتر

محارب من جبل الأولمب

عندما اقتادت ابنته جواني رفيقاً من المعهد إلى منزلها، في بداية سنوات الستينيات من القرن العشرين، للاستفادة من حوض السباحة العائلي على مرتفعات هوليود، لم يتمكن ألبرت ووهلستاتر أن يكتشف عن أن ريتشارد بيرل سيصبح أحد أكثر المتحمسين ومن أكثر الناشرين المشككين لتحليلاته الاستراتيجية.

تعارف الشابان في الدروس الإسبانية، يميل ريتشارد، الذي لم يكن طالباً رصيناً، إلى النسخ عن جارته[1]. تعاطف ريتشارد وجواني. هل تذهب علاقتهما إلى البعيد؟ تضاربت الأدلة حول هذه النقطة. هل يبقى بيرل مواظباً على ارتياد فيلا وهلستاتر، على جبل الأولمب. قدّمت له جواني نسخة من مقال والدها حول « توازن الرعب الهش »[2] ، الذي ظهر مؤخراً، وقد حطّم عدة أفكار تعود إلى الردع النووي والوصول إلى تحقيق التوازن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

آنذاك، لم يكن بيرل يهتم بالعلاقات العالمية، إلا أنه تحمّس للأدب الانكليزي، وكان حلمه أن يقود يوماً ما، في الجامعة، حلقة حول جيمس جويس. مع بعض الرفاق من جامعة جنوب كاليفورنيا، وشارك في

[1] – مقابلة مع ريتشارد بيرل، ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٠٣ .

[2] – ألبيرت وهلستاتر ، توازن الرعب الدقيق، نوفمبر ١٩٥٨.

نشر مجلة شعرية. أما جواني فقد عانت قليلاً من الجو الثقافي في بيت أهلها، وتخصّصت في رقص البطن قبل أن تصبح جامعية لامعة.

مثل الأكثرية العظمى من الطلاب في مطلع الستينيات من القرن العشرين كان بيرل « تقدمياً ومحباً للسلام » بالرغم من أنه بدأ « يقيس خبث هذه الأوساط المناصرة سرياً للشيوعية في لوس أنجلوس، مع التدجُّن في المنزل »[1]. وفي شبابه أيضاً غازل ألبيرت وهلستاتر اليسار. فكان أحد هؤلاء « الشاشتمانيت »، هؤلاء الشيوعيون القدامى، زملاء ماركس شاشتمان وقد أصبحوا أعداء شرسين للاتحاد السوفياتي بقيادة ستالين. ليس هذا بالذات ما يقرّب ريتشارد بيرل والبرت وهلستاتر. إفتُتن هذا الشاب بهذا « المربي – المولود »، هذا الرجل الأنيق المميز، على طرق السيد الكبير. وأعلن وهلستاتر عن افكاره بهدوء، وبعناء، لكنه عرف كيف يدعمها بالحجج حتى نتائجها الأخيرة. من خلال مناقشتين حول قابلية ملاءمة القواعد الأميركية المتقدمة حول الكتلة الشيوعية، نظم ألبرت وزوجته روبرتا حفلات موسيقى الغرف، وزيارات موجّهة لمعارض فن العمارة أو وجبات طعام ذواقة. إنه رجل شديد التدقيق لا يعهد إلى أحد بالتداول في فونوغرافه. مع تحليل الأساليب، يُعتبر الطبخ عند ألبرت ووهلستاتر الشغف الكبير الآخر الذي يتقاسمه مع ريتشارد بيرل في الأفران وفي المطعم. هكذا، تذكر زائرٌ كيف دُعي يوماً للقاء مع الهولستايين لمناقشة الاستراتيجية النووية. الأمر الأول الذي يمكن اقتراحه عليه، هو أنواع من

---

[1] – مقابلة مع ريتشارد بيرل، ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٣ .

الفريز. « فريز بري » كما يعتقد : « فريز الأخشاب » صوّب ألبير قائلاً : « كما كانت الحالة غالباً، مع مؤيدي وهلستاتر، استنتج الزائر، أن وجبة جيدة يجب أن تفتتح النهار »[1] . نظم ألبرت دائماً الحلقات التي قادها في أوروبا في افخم الفنادق. وكان يختار مطعمه بالدقة نفسها التي يضعها في سبيل تقييم عدد الصواريخ العابرة للقارات السوفياتية الموجهة على الولايات المتحدة. إنه مجنون بالقشريات. عندما يأتي إلى باريس، فهو يحجز عدة أشهر مسبقاً. « في المطعم، يتذكر أحد اصدقائه، لم اسمعه مطلقاً يطلب قائمة الطعام، بل يطلب المشرف مباشرة » في العام ١٩٧٨، نظّم محاضرة في « ترومسك »؛ فأجاب على مشارك دُهش عند رؤيته يركض نحو زوجته، في ساعة الغداء، وكأن أكل الفندق لا يلائمه، فقال: « أنظروا، روبرتا وأنا لا نأتي غالباً إلى شمال النروج، وقد قيل لي أن هناك في ترومسك أجد مطعماً يقدم ستايك دب قطبي »[2] في مذكراته [3]، ذكر « ويلارد فان أورمان كوين » الذي كان أستاذه في الفلسفة وفي الرياضيات، ذكر عدة مرات ألبرت ووهلستاتر، كأحد المع طلاّبه: كان ذلك دائماً فيما يخص مواضيع الذواقة.

في فيللا جبل أولمب ، التقى ريتشارد بيرل مساعدين من الرائد كوربورايشن **Rand Corporation** مركز للأبحاث الرائعة، بإدارة هرمان

---

[1] – أندريو و. مارشال، ج.ج. مارتن وهنري س. روفن، لا نغش أنفسنا . ابحاث في استراتيجية الأمن الوطني، اكراماً لـ أ.و.ر. وهلستاتر. ويستفيو برس، ١٩٩١ .

[2] – المرجع السابق.

[3] – « زمن حياتي » سيرة حياة، MIT للطباعة، ٢٠٠٠ .

كاهن، الذي يقوم بدراسات لأمانة وزارة الدفاع. جهد سادة » الراند « إلى تطبيق النماذج الرياضية على الاستراتيجية العسكرية وعلى العلاقات الدولية. كان هذا اللقاء تقريري بالنسبة إلى مستقبله. فترك الطالب الفتي الشعر الإنكليزي ليدخل » المدرسة الاقتصادية في لندن «. فحضَّر في برنستون أطروحة عن تقنيات المفاوضات الدولية واختار مثلاً دخول بريطانيا العظمى والدانمارك في السوق المشتركة. ولم يتمكن من إنهائها وبسرعة، انتقل إلى الأعمال التطبيقية.

استخدم ألبرت ووهلستاتر الطالب الفتى هرمان كاهن في الـ**Committee to maintain a prudent defense policy = CMPDP** أي لجنة للحفاظ على سياسة دفاع منطقية (مترابطة). هذه اللجنة التي أوجدها مع دين أشيسون، أمين دولة سابق للرئيس ترومان غداة الحرب العالمية الثانية، وبول نيتز، أحد كبار المفاوضين في الاتفاقات حول ضبط التسلح النووي، اتخذ هدفاً له إقناع أعضاء الكونغرس بضرورة الدفاع المضاد للصواريخ. فالفكرة التي انطلقت من رئيس ديموقراطي، لندون جونسون، أصبحت موضوع جدال مع انتخاب الجمهوري ريتشارد نيكسون عام ؟؟ . كما عمل ووهلستاتر أيضاً على إدخال بول وولفويتز إلى اللجنة، من أجل تحرير الملفات، وهو أحد تلامذته القدامى في شيكاغو، وقد حافظ على علاقات معه » درست الرياضيات مع جاك « وولفويتز » قال له ووهلستاتر أثناء اللقاء الأول لهما « إنه والدي » أجاب بول.

كما كان أبوه، نذر نفسه للرياضيات، وعند الاقتضاء إلى الفيزياء النظرية، « لأنني كنت أعتقد فعلاً أنه ليس هناك ما هو أفضل في الحياة »[1] لم يكن ذلك صحيحاً كلياً. ثم قُبل في الـ MIT في هارفرد كي يحضّر دكتوراه في البيوكيمياء، كما تسجَّل أيضاً في العلوم السياسية في شيكاغو – خفية عن والده، الذي لم يكن لديه سوى الكره لهذه العلوم « الهشة ». في رافلستاين، روى سول بيلاو أن « هناك أساتذة في العلوم السياسية محترمين كما أخبر جورمان سانيور [في حياة جاك وولفويتز]، وأن رافلستاين [بلوم] كان ابله، وأنه كان يجذب طلابه ويفسدهم. لم يكن بول بحاجة إلى بلوم. فقد أدرك أنه لم يكن عنده الميل الكافي للرياضيات عندما رأى أنه يمضي ساعات استراحته في قراءة كتب التاريخ في حين كان زملاؤه منشغلون بحل المعادلات الرياضية. ففي جامعة شيكاغو، تابع دروس ليو ستراوس وألان بلوم، لكن اللقاء الجازم كان مع ووهلستاتر « كان مثالاً بالنسبة لي ويمكن تسميته بحق أحد الوقورين: واحد يبحث عن الحقيقة فيما يخص المسائل المهمة ويعمل بحيث إن هذه الأفكار توضع موضع التنفيذ العملي. كتب ذلك بعد سنوات إكراماً لمعلمه[2].

في اللجنة للحفاظ على سياسة دفاع منطقية CMPDP نشأت بين وولفويتز وبيرل صداقة لم تتوقف منذ ذلك الحين . وسيبحثان معاً، من

---

[1] – بول وولفويتز، مقابلة مع فانيتي فاير.

[2] – أنظر أندريو و. مارشال، ج.ج. مارتن، هنري س. روين، مرجع سابق.

الآن وصاعداً، في توجيه السياسة الخارجية الأميركية وبالاتجاه نفسه، بول، في أكثر الأحيان داخل الحكومة، ريتشارد من الخارج. فأصبحا « السماك القائدة لووهلستاتر في الإدارة »[1]، وعلى مجال أبعد، المتحدثين باسمه. عبر عناوين متنوعة، فوضع وولفويتز نفسه أكثر في السلالة العلمية لووهلستاتر، الذي « جهد نفسه » دائماً لإيجاد إجابات على أسئلة جديدة [2]؛ بالنسبة إلى بيرل فأنه يتمتع بقدرة خطابية خاصة وقادرة على محق الأخصام. وبقي محارب سانتا مونيكا (في حصار راند) ملهمها. فقد علّمهم الحذر من الانفراج شرق - غرب، وضبط أنواع التسلّح، والمؤسسات الدولية. هذا الحذر يعادل بالنسبة لهم شهرة « الصقور »، وهي غير مستحقة كلياً وليست ملائمة بشكل كامل، أجل فأن اعتقاد ووهلستاتر في الاستراتيجية النووية هي أكثر تعقيداً من استراتيجية زلة حرب عادية. فقد اصبحوا، منذ زمن، من المناصرين لردع « مضاد للصواريخ »، ولتحديث التسلح، وللدعم غير المشروع لتركيا كونها رأس الجسر الغربي، وفي البداية مواجهة لروسيا، ومواجهة للدول العربية. عدة أيام بعد سقوط الشاه (١٩٧٩) كان ووهلستاتر يتناول طعام العشاء مع أصدقاء له من اسطنبول، في مطعم مشرف على البوسفور « هل هنا تكمن المشكلة المقبلة؟ » تساءل زميل، لديه خشية من أن يكون مصير تركيا مماثل لمصير إيران « كلا، إنه الإجابة على حل المشكلة! » أجاب ألبرت [3]. تعلم

---

[1] - مقابلة مع تياري دو مونبريال، ١١ آذار ٢٠٠٤ .

[2] ، مقابلة مع بويه نرليخ، ميونيخ، ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

[3] - أندريو و. مارشال، ج.ج. مارتن وهنري س. روين. المرجع السابق.

ريتشارد بيرل، عند معلّمه فكرة تعاون ثلاثي الأبعاد وضيق، بين تركيا، وإسرائيل، والولايات المتحدة. كما تصوّر أيضاً أنه بإمكان الجيوش التركية أن تتمركز على الجبهة بين الدولتين الألمانيتين لمواجهة قوات حلف فرصوفيا.

معادٍ بعمق للشيوعية، حوَّل ووهلستاتر طلابه عن البرهان بالمرآة الذي يكمن في اعتبار أن الاتحاد السوفياتي يملك المسلمات الأخلاقية نفسها والمعطيات الثقافية نفسها التي هي في أساس التصورات الاستراتيجية الأميركية. كما علّمهم أن الاتحاد السوفياتي يمكن أن يُصبح مهزوماً، عندما يؤمن « الواقعيون » أنهم ملزمون بصيانته. سوف لا ينسيان ذلك كل من وولفويتز وبيرل، وبعد الحرب الباردة، سوف يطبقون المبدأ نفسه إنما على عدو آخر.

ولد ألبرت ووهلستاتر في ١٩ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩١٣ من عائلة نمساوية مهاجرة. بما أن المثقفين النيويوركيين الذين شكلوا النواة المركزية للمحافظين الجدد، وجدناه بعد عدة سنوات، يتردد على السيتي كولدج، ومن ثم دخل في جامعة كولومبيا ليتابع دراسات رائعة في الرياضيات بإدارة « ويلارد فان اورمان كوين ». عند نهاية الحرب العالمية الثانية، عمل بإيجاز في إدارة إنتاج الحرب وفي المكتب الوطني للبحث الاقتصادي، كان ذلك ممرّه الوحيد إلى الخدمة العامة. رفض عدة اقتراحات من حكومات كنيدي وريغن « كان عندي تأثير أكبر في الخارج »، قال ذلك لاحقاً. بشكل سريع، طُلب إلى « راند » آنذاك،

كانت نظرية الإرهاب المطبقة على الاقتصاد رائجة، تماماً كتحليل الأنظمة وتحليل الصراعـات. فوجـد ووهلسـتاتر نفسـه عـام ١٩٥١، مكلفاً بـإدارة دراسة حول موقع قواعد الـ US القـوة الجويـة AirForce، إبـان الضـرر الكبير الذي أصاب البنتاغون، أصبـح معروفـاً عندمـا أثبـت قدرتـه علـى التلاؤم مع الصواريخ القذفية العابرة للقارات ICBM والسوفياتية الصنع.

لكن النص الـذي منحـه الشـهرة كـان المقـال الـذي حمـل العنـوان The Delicate Balance of Terror الميزان الدقيق للإرهاب، الذي نشـر في « راند Rand » في السادس من تشـرين الثـاني / نوفمـبر عـام ١٩٥٨، وأعيد في شهر كانون الثاني/ يناير التالي في مجلة Foreign Affairs . فقد دحض الفكرة المقبولة منذ التجارب الأولى للصواريـخ النوويـة السـوفياتية، والتي تقول باستقرار « توازن الرعب » (كـان ونسـتون تشرشـل أول مـن أوجد هذا التعبير) « يفـترض بشـكل عـام، كمـا كتـب، أن يـؤدي هـذا [التوازن] إلى اعتداء لا عقلاني، لا بل مجنون، أعتقد أن التوازن هـو في الواقع ظرفي وغير مستقر ».

حدَّد هذا المقال مرحلة فارقـة في التفكـير الاسـتراتيجي الأمـيركي، ليس فقط بسبب اتهامه بالأفكار المستوردة بل لأنه فتـح تصـوراً يصـب في مناقشات وجدالات ستستمرون على الأقل حتى نهاية الرحـب البـاردة في اتخاذ مقررات متعارضة متناقضة. إذا كـان التـوازن غـير ثـابت، فـالرّدع – أي أن التهديد الموجَّـه للخصـم عـبر التدمـير، بحيـث إن هـذا الأخـير يجب، عقلياً، أن تخلى عن أي هجوم – فالردع نفسه ليس الآليـة. فـهو

التباس كما يشير ووهلستاتر « قابل للتجنب ولغير المكن ». بتعابير أخرى، يمكن أن يوظف، إنما لا يجوز الاعتماد عليه بثقة عمياء. يمكن أن يصبح باطلاً، إما لأن الخصم لا يحلل وفقاً للمعايير نفسها، إما لأن الحرب يمكنها أن تعلن بطريقة فجائية.

يرتبط الردع إذاً بالخيارات الصعبة التي ينصح بها ووهلستاتر القادة السياسيين، يعتبر والد ما اتفق على تسميته « قدرة الضربة الثانية »بوجه آخر، إمكانية حدوث انتقامات بعد الموجة الأولى من الاعتداءات النووية، « أن تردع اعتداء هذا يعني أن تكون قادراً على القيام بهجوم مضاد أثناء حدوث الاعتداء نفسه ». كما كتب، بالفعل، إذا تصور الخصم أن ضربته الأولى سوف تدمّر كل قدرة على الهجوم المضاد، وذلك بوضعه في معزل عن الخسائر والأضرار، لا توجد أية حجّة منطقية تجعله يتخلى عن الاعتداء.

تحمل هذه الحجة معها عدة استنتاجات ونتائج طبيعية. فهي تدحض فكرة ردع مبنية على الانتقامات المكثفة، والتهديد الموجّه للمدى والجماهير المدنية للعدو الكامن لجعله يتخلى عن الاعتداء. كانت هذه العقيدة في أساس الردع المسمى « من الضعيف إلى القوي »، حيث، بالنسبة لفرنسا كان الجنرال « جالوا » قد قام بالدور نفسه. بدأ ألبرت ووهلستاتر، من جهة أخرى، حاسماً للغاية فيما يتعلّق بتجزئة القدرات النووية على المتحالفين مع الولايات المتحدة « مع تزايد قوى الشاربة الوطنية، كما كتب، من الواضح أن الموقف يمكن أن يصبح غير قابل للضبط بسهولة ». إلى المأزق المنطقي الذي أشار إليه سابقاً، أضاف عنصراً

أخلاقياً. هذه طريقته في الرد على ريتشارد نيكسون، الذي كان يقول عام ١٩٧٠: « في احتمال حدوث اعتداء نووي، لا يكون عند رئيس [الولايات المتحدة] سوى خيار واحد، وهو اعطاء الأوامر لتدمير شامل للمدنيين الأعداء، بمقابل هذا اليقين بأن هذه الضربة سيليها مذابح بالجملة للأميركيين؟ [1] لكن ووهلستاتر يجيب بـ« كلا ». هل هذه الـ« كلا » مقبولة على الأقل بالنسبة لقائد الديموقراطية؟ هذا غير مؤكد في الأنظمة التوتاليتارية، التي تمتلك إمكانية المرونة، والسرية، والاستخفاف والوقاحة. يمكن أن نجد التناسق في الأنظمة العسكرية مع عدم التناسق الأخلاقي.

فالتناقض الظاهر هو أن الحلول المقترحة للخروج من هذا الإحراج ستجعل منه « صقراً »، في حين أنه يعاني من « اشمئزاز عميق » من فكرة تأسيس الأمن القومي على الرعب والتهديد بالإبادة الجماعية.

ماذا يقترح بالفعل، كبديل للضربات الشاملة على المدن بدون موافقة عسكرية، اقترح بأن تخصّص الولايات المتحدة ترسانة أسلحة دقيقة الصنع، تتيح إمكانية إجراء ضربات هادفة على مواقع عسكرية أو شبه عسكرية تحمل معنى عملانياً. يمكن أن تتم هذه الضربات بالأسلحة التقليدية، مما يخفف من خطر المجابهة النووية - هذا من أجل « الحمائم » - وكذلك مع أسلحة ذرية. في هذه الحالة، يتم تصوُّر الحرب النووية كامتداد بسيط للصراع الكلاسيكي - هذا من أجل « الصقور ».

---

[1] - المرجع السابق.

بالفعل، ليس ألبرت ووهلستاتر « صقراً » بقدر ما هو « حمامة ». يريد أن يفكر ليس وفقاً لمقترحات الأيديولوجية، بل وفقاً لمعايير منطقية. هذا لا يعني أنها معايير تقنية: تطالب السياسة بحقوقه أيضاً. في دراسة « التفاعلية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي »، يجب اعتبار العوامل المؤسّساتية (طبيعة النظام) ، والمعتقدات العملانية والضغوط الاقتصادية، عندئذ يصبح الفرق جلياً. مما أوجزه من صيغة تعمل دائماً على جعل تلاميذه في حالة فرح: مع موسكو « ليس لدينا مصالح مشتركة ».

لم يدرك أن هناك نفوساً حسنة تقاوم نظريته في الضربة الثانية. في مقال بعنوان « أساقفة، رجال دولة ورجال حرب فيما يخص قصف الأبرياء »، فاتّهم أخلاقية نظرية الثأر الشاملة، واعتبر أن متابعة الأبحاث التكنولوجية في مجال الأسلحة، إذن المزيد من الليونة، إذن المزيد من الخيار بالنسبة للقادة السياسيين. أصبح ذلك عنده نوعاً من الهوس: زيادة إمكانيات اختيار القررين وإخراجهم من مأزق « الكل أو لا شيء » « بين عالم خال من الحرية وعدم وجود على الإطلاق، للتوسّع في الخيارات »[1] كما كتب ضد شعار الأوروبيين محبي السلام « أن نكون حمر أولى من أن نكون أموات ».

في العام ١٩٨٨، بناء على طلب من الرئيس ريغن، كتب ووهلستاتر مع « فراد إيكله »، اختصاصي آخر بالاستراتيجية، والذي أدار «الراند»

---

[1] - Commentary مجلد ٧٥ عدد ٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٣.

صاغ تقريراً حول « الردع الانتقائي ». فقد تمّ سماع انتقاداته عن التدمير المتبادل المحقق MAD منذ سنوات الستينيات من قبل روبرت مكنامارا. اقنع ووهلستاتر امين وزارة الدفاع عند الرؤساء كنيدي وجونسون و«المتفوقين» وأن الـ MAD هي « ما وراء النظرية »، نوع من التيولوجيا، ولا تملك قابلية التصديق « بحد ذاتها ». لكنه يفضل عليها « الإجراء الانتقامي التدريجي »، أو « استجابة مرنة »، وهذا ما يخيف الأوروبيون لأنهم يخشون تزويد حقل المعركة في حين تتوقف الولايات المتحدة عن إشراك أراضيها من أجل أمن أوروبا. استدلالياً، يرى معظم علماء السياسة، في غياب الصراع المفتوح وتعميم ذلك بين الشرق والغرب منذ الحرب الباردة، إن ذلك قدّم الدليل على أن الردع كان ملائماً. لكن هذا الدليل كان بالتغريب الدوني « حرب غير ممكنة، وسلام بعيد الاحتمال » هذا ما قاله ريمون آرون، عندما كان ووهلستاتر يتجاوب معه للحصول على تبادل في الآراء.

مسألة ووهلستاتر الحلزونية: « ما العمل إذا فشلت عملية الردع؟ كلما نقصت قدرتنا للإجابة على هذا السؤال، كلما كبرت المخاطر ومن ثم تفشل عملية الردع » كما كتب في « الردع الانتقائي ». إذن يجب الإعداد لتقبل فشل الردع على أمل إعادة تعزيزه. بالرغم من أنّه معدّ في علم الرياضيات، فإن « مكنمارا » لا يعي ذلك، أو أنه لا يريد أن يعي. فهو مأخوذ بخوف مرعب من عملية السباق على التسلّح. أجل، يفترض « الردع الانتقائي » استثماراً في أنظمة الأسلحة أكثر فأكثر اتقاناً. وانتهى

الرجلان بخلاف. فألقى ووهلستاتر، عام ١٩٧٥، محاضرة كبيرة في « بافرلي هيلز » لنقد أمين وزارة الدفاع السابق. عدا عدم فهمه للإجابة المرنة، فهو يعيب عليه كونه يكذب دائماً، لأنه لم يشأ تشجيع تطور الأسلحة التقليدية، ولكونه رحّب بمعاهدة ABM حول الحد من الصواريخ القذفية.

كان ألبرت ووهلستاتر وأصدقائه معارضين لاتفاقات الحدّ من التسلّح. فلم يرغبوا لا بمعاهدة منع التجارب النووية عام ١٩٦٣ ولا بمعاهدة ABM عام ١٩٧٢. لم يكن غريباً بأن يصبح من أولويات الرئيس جورج و. بوش ومستشاريه نقض الاتفاق القاضي بالحد من الصواريخ القذفية. يعتقد ووهلستاتر أن هذه النصوص تؤدي إلى لجم البحث الأميركي، المتقدم كثيراً على البحث السوفياتي، لمصلحة البرهان على الإعداد حيث إن موسكو يمكنها القيام، على الأقل، بلعبة تتعادل من خلالها مع واشنطن.

تحت رحمة الكوارث السياسية، استمر تحديث الأسلحة وصولاً إلى ما أطلق عليه الأميركيون الـ RMA (ثورة في الشؤون العسكرية) وتحددت كما يلي: « تغيرت الحرب جذرياً في نسق أدائها إن لم يكن بطبيعتها مع استخدامها لوسائل مراقبة حديثة، وطرق الاستدلال والنقل والتمويل وضبط أسلحة الوزن الكبير والدقيق »[1]. يعتبر رفاق وأصدقاء ألبرت ووهلستاتر أن أندريو مارشال هو بمثابة أب للثورة في الشؤون

[1] – هنري كوتو، بيجاريا، بحث في الاستراتيجيا، إيكونوميكا، ١٩٩٩.

العسكرية RMA ، بالرغم من تجاوزه سن الثمانين عاماً، وقد استمر في إدارة « مكتب تقييم أنظمة الأسلحة وإنتاجية فنون الحكم » في البنتاغون، الذي يعتبر في المقدمة منذ العام ١٩٧٣. على الأقل بطريقة غير مباشرة، استعملت أفكار ووهلستاتر حول تطوير التسلّح، بادئ ذي بدء، أثناء حرب الخليج الأولى، بل أيضاً انطلاقاً من كوسوفو، وأفغانستان، عام ٢٠٠١ والعراق عام ٢٠٠٣ « كان هناك شعور بالرضى، والارتياح الشخصي عند رؤية هذه الصواريخ تدور بزاوية قائمة خلال حرب ١٩٩١ محققة ما كان يتصوره ألبرت منذ خمسة عشر عاماً » هذا ما قاله ألان بول وولفويتز [١].

عند ووهلستاتر، لا يتوقف الإيمان بالعلم والتقدم عند حدود الأسلحة الهجومية. فمنذ نشر مقاله عن « توازن الرعب الهش » أعلن موقفه فيما يخص دفاع مضاد للصواريخ. أمام عدم إمكانية منح الثقة الكاملة للردع لتجنب الأضرار الهائلة الناجمة عن اعتداء نووي « كثير من الأمور تتغيّر إذا كان بإمكاننا الحصول على دفاع جوي محكم » كما كتب. ومن ثم يتطور المشروع مع ممر السنوات، مثير هذا الموضوع العديد من المناقشات واتّخذ فيها المحافظون الجدد دائماً مواقف حاسمة. أوضح وليان فان كليف، وهو ملهم آخر من تيارهم، واحترابي ومستشار لرونالد ريغن، أن خطورة الأسلحة النووية تدعو إلى بذل « كل الجهود الممكنة

١ – مقابلة مع فانيتي فاير.

لضربها قبل أن تقذف ومن أجل تدميرها أثناء الطيران قبل أن تبلغ أهدافها »[1].

كانت مضمونية المحافظين الجدد، في الحرب الباردة وما بعدها، مسجلة في نصوص ألبرت ووهلستاتر ومداخلاته. وليس في كتبه (فهو لم يؤلف كتباً كثيرة)، إنما في مقالاته المنشورة (التي لا تشكل أكثر من ٢٠ ٪ من كتاباته).

على جبل الأولب، في لوس أنجلوس، اشترى بيتاً ملاصقاً لمنزله لتخزين الكتب والوثائق، بعد أن ترك « الراند » عام ١٩٦٣ تلقى عروضاً لمناصب في ثلاثين جامعة أميركية، اختار بادئ ذي بدء، شيكاغو حيث درّس العلاقات الدولية، ثم عاد إلى لوس انجلوس عام ١٩٨٠. استمر بتوقيع عقود مع البنتاغون، دائماً يبحث عن المعلومات، وحاول مع زملائه القدامى في « الراند »، العمل على إعادة تبويب أوراق وملفات الـ CIA[2].

كان ذلك إحدى أفكاره الراسخة منذ أن أكملت زوجته روبرتا أطروحتها عن بيرل هاربور معتمدة على وثائق سرية. بإيحاء من أندريو مارشال، ركزت روبرتا، ابنة أستاذ تاريخ في هارفرد، أبحاثها على « المفاجأة الاستراتيجية ». في مقدمة الكتاب الذي استعارت منه [3]، عبر

[1] – وليام فان كليف وأنجيلو كودفيلا، مقال في Jerusalem Post ، ٧ تموز ١٩٩٨.

[2] – مقابلة مع بيار هاسنر، ٤ كانون الأول ٢٠٠٣ .

[3] – مقابلة مع بوي نريش، ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

نسخة منقحة من أطروحتها، العالم في الرياضيات توماس شيللينغ – من قدامى « الراند » أيضاً – الذي كتب فيما يتعلق بالاعتداء الياباني عام ١٩٤١: « نادراً ما تتوقع حكومة في هذا النطاق الأسوأز فقط نحن لم نتوقع ما كان يجب القيام به. لم يكن ذلك من أنظمتنا في الإنذار الذي كان ناقصاً، بل تحليلنا الاستراتيجي [...] نجد ميلاً في تخطيطنا للخلط بين المجهول وغير المحتمل حدوثه. فالحدث الذي لم نتفحصه برصانة كان دائماً الجو الغريب، ما كان شكل الجو الغريب ؟ كان يعتبر من غير المحتمل حدوثه، وما كان غير محتمل حدوثه لم يؤخذ بعين الاعتبار بشكل رصين.

هل نجد تعريفاً أفضل « للمفاجأة الاستراتيجية » في اعتداءات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ ؟ المعلومة الأساسية هنا، لكنها لم تكن منظمة. إنها حاضرة وسط معلومات أخرى تبدو، استدلالياً، أقل أهمية، وتظهر وكأنها الشجرة التي تخبئ الغابة.

ضحّت روبرتا بمجرى حياتها في سبيل حياة ألبرت، مع استثناء معترضة قصيرة عندما كانت مستشارة للرئيس جون كنيدي أثناء أزمة كوبا عام ١٩٦٢، وهي شكل آخر في المفاجأة الاستراتيجية. ففضلت العمل « لنظام ووهلستاتر »[1]. في هذا السياق عبر العالم، إن في الحلقة أم في المحاضرة وبهذا المجلس الذي يتجمع حول المعلّم. أولئك الذين عرفوا

---

١ – المرجع السابق.

ألبرت يقولون إن روبرتا كانت الوحيدة التي كان لها سلطة عليه، لقد كانت « العقل الذي يرافقه »[1].

عند نهاية حياته، اهتم ألبرت ووهلستاتر كثيراً بدول البلقان. وقد عاش زوال الاتحاد السوفياتي، الذي كان قد فكّر كثيراً بذلك، رغم ارتيابية « الواقعيين »، التي كان بالإمكان هزمها. فقد كانت تغيظه جبانة الغربيين. مؤيد لاستقلال البلطيك اعتبر عدم معرفة كيفية انضمام الجمهوريات الثلاث كانت غير كافية. يجب مساعدتها للخروج من الاتحاد السوفياتي. في العام ١٩٨٩، عدة أشهر قبل سقوط جدار برلين، ألقى محاضرة في كاب – فيرات Cap Ferrat عن « خطوط تشقق الإمبراطورية السوفياتية ». حيث لامه الأوروبيون آنذاك باعتماده على القوى النابذة لإنهاء الوضع مع السوفياتية. في العام ١٩٩٣ أعلن موقفه ضد تغييرات الحدود بالحرب في دول البلقان وقال: « هذا يلائم الصرب كما يلائم الكرواتيين »[2]. فكان ذلك سبباً وفعلاً للبوسنيين. فكان من الأوَل الذين اقترحوا سياسة Lift and Strike (رفع الحصار عن تسليم الأسلحة إلى المسلمين البوسنيين وضرب الصرب) تبنى الرئيس كلينتون هذه الفكرة على مسؤوليته لكنه لم يتوصل إلى فرضها على الأوروبيين، الذين كانوا بالقبعات الزرقاء على أرض النزاع.

---

[1] – المرجع السابق.

[2] – مقال للـ Frankfurter Allgemeine Zeitung، ١٠ آب ١٩٩٣ .

في العام ١٩٩٥ أوجد ووهلستاتر المعهد البلقاني ليعرّف الجمهور على طبيعة الأزمة في ما وراء يوغوسلافيا. فجمع فيه المحافظين الجدد، والجمهوريين التقليديين والديموقراطيين، لكنهم لم يثمنوا سلبية الإدارة الأولى عند بوش ولم يجدوا أن بل كلينتون ليس نشيطاً بما فيه الكفاية[1].

لم يدرك ووهلستاتر أنه تم نزع سلاح ضحايا الاعتداء بدل نزع سلاح المعتدين . مرتاب حول حفظ السلام، خاصة « في الأمكنة غير المستقرة » لم يعد يثق مطلقاً بمنظمة الأمم المتحدة ودعا بالأحرى إلى إقامة « تحالف بقيادة الولايات المتحدة، كما حصل في الخليج العربي، أثناء الحرب ضد العراق عام ١٩٩١ ، مع بعض دول حلف الأطلسي وبلدان أخرى مستفيدة والتي تعتبر بوضوح أن صربيا هي مصدر العدوان »[2] . يجب أن يكون القصف الجوي انتقائياً، مستهدفاً المنشآت العسكرية وصناعة الحرب الصربية. يقتضي وفقاً لووهلستاتر منع كل أنواع العزل الأثني، « ضد العرب في كرواتيا وضد الكروات في صربيا، ضد الألبان في كوسوفو وفي مقدونيا ».

[...] بذلك نزيد من حظوظ الحصول على دول متعددة الأثنيات في البلقان، وخارج الاتحاد السوفياتي وفي بلدان أخرى. ضمن هذا الاتجاه

---

[1] - في لجنة إدارة معهد البلقان نجد: دانيل بل، سول بيلاو، زبيجنو برزنسكي، فرانك كارلوتشي، والتر كونكريت، جينا كيرباتريك، جورج ماجوفون، بول نيتشه، ريتشارد بيرل، نورمان بودهورتز، دونالد رامسفيلد، جورج شولتز، سوزان سونتاج، بول فولكر، إيلي وبازل، بول وولفويتز.

[2] - انظر The new republic الأول من آب ١٩٩٤ .

المـزدوج، ينـــهي مقالــه في Frankfurter Allegemeine Zeitung ، البوسنة لا تنتمي إلى التاريخ بل إلى المستقبل.

انتابته عدة نوبات قلبية ، وكان مؤمناً بـالعلم، لكنـه لم يثـق كثـيراً بالأطباء، خلال الأسابيع الثمانية التي سبقت وفاته في ١٠ كـانون الثـاني ١٩٩٧ ، بدلاً من أن يلتزم بنصائح الكلية ، قـام بقـراءة كـل روائـع الأدب العالمي.

ديموقراطيو ريغن

من هم هؤلاء الشبان ؟

منهم من تخرَّج حديثاً من الجامعة، مثل بول وولفويتز، ومنهم من أوقف دروسه الجامعية دون تصميم حقيقي على متابعتها من جديد، مثل ريتشارد بيرل، من مناصري ليو ستراوس أو من زملاء ألبرت ووهلستاتر، إضافة إلى مثقفين نيويوركيين تبعاً لسلالتهم البيولوجية أو الروحية، كل هؤلاء الناس تجمعوا في السنوات (١٩٧٠ - ١٩٨٠) حول شخصين : بادئ ذي بدء هنري « سكوب » جاكسون، وبعد ذلك حول رونالد ريغن. الأول ديموقراطي، سيناتور ولاية واشنطن في شمال - غربي « الاتحاد »؛ والثاني جمهوري، حاكم قديم لكاليفورنيا، وقد انتخب رئيساً للولايات المتحدة عام ١٩٨٠. متحمسان ضد شيوعية شرسة، كانا معاً من فرسان الحرب الباردة. فمنذ انطلاق « لجنة » القوات العسكرية من مجلس الشيوخ بقوة، قاد « سكوب » جاكسون الصراع ضد سياسة الانفراج خلال سنوات السبعينيات العشر من القرن العشرين، ذلك لأنه كان يرفض التكيف مع وجود الاتحاد السوفياتي. أما رونالد ريغن فقد خصَّص عهديه (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ليبرهن أنه بالإمكان هزم الشيوعية بدءاً بالإعداد لذلك عبر إسقاط جدار برلين، ومن ثم انفجار الإمبراطورية السوفياتية داخلياً وانهاء الحرب الباردة. بعد مرور عشرين سنة، بقي الرجال أنفسهم، عبر وظائف ومناصب مختلفة، يرصدون مع جاكسون ومن ثم مع ريغن المواضيع ذاتها : والسوفيات حاضرون لاستغلال أقل ضعف يصدر عن

أميركا كي يحصلوا على التفوق العالي، الذي لم يتخلوا عنه لحظة واحدة؛ فكان السبيل الوحيد للحماية من ذلك هو في تعزيز القوة العسكرية للولايات المتحدة؛ لا وجود للتكافؤ الخلقي كي يضبط الأمر بين القوتين الكبيرتين، يجب أن ننتهي من هذا التحقير الذاتي في الولايات المتحدة الذي يتعزز بسبب الحرب الفيتنامية، وينبغي الحفاظ على القوة والرفعة على مستوى القيم والمصالح الأميركية.

أثناء تحقيقهم مع أعضاء الكونغرس لحساب **Committee to maintain a prudent defense policy** تعرّف ريتشارد بيرل وبول وولفويتز، من تلامذة ألبرت ووهلستاتر، عام ١٩٦٩ على السناتور هنري جاكسون. وكان رئيس لجنة القوات العسكرية آنذاك وهو بحاجة إلى فتيان طموحين، متعلمين، يساعدونه في توزيع آرائه عبر السياسة الخارجية، من أجل تحضير وثائقيته، وكتابة مسودات خطاباته، وتأمين جماعة للضغط على الإدارة. بالنسبة إلى الكفيلين المعتمدين، يبقى العمل من أجل الـ **CMPDP** نشاطاً للعطلة إنما بدون مكافأة. قبل العرض من السيناتور، بكل طيبة خاطر، خاصة وأن تطلعاته تتناسب تماماً مع ما تعلمه الشبان من ووهلستاتر. فبدأوا باستكمال « مجموعة سكوب » **Scoop troops**، وهي مجموعة من ١٢ إلى ١٥ شخصاً، انضموا إلى ريغن مع اسلحتهم وأغراضهم وذلك عام ١٩٨٠، ومن بينهم الجمهوري والديموقراطي على حد سواء. يعتبر هنري جاكسون شخصاً غريباً « بمثابة أب لي »، قال ريتشارد بيرل، الذي فقد والدته عام ١٩٦٩ وما لبث أن فقد والده بعد

عامين [1] . إنه ديموقراطي على اليسار في السياسة الداخلية، ابن قائد نقابي فوضوي ومعادي للفاشية، من أنصار دولة الرفاهية Welfare State، ومدافع عن البيئة، وكان قد انتخب عضواً في مجلس الممثلين قبل الحرب العالمية الثانية. من والده المعادي للفاشية، ورث حقداً عميقاً للتوتاليتارية، وقد صنفها بين « الصقور » في السياسة الخارجية، وقد راهن على القدرة العسكرية للولايات المتحدة لتفادي التهديد الممثل في الاتحاد السوفياتي. ولم يثق مطلقاً بالمعاهدات المعقودة مع موسكو. في العام ١٩٦٤، كان معارضاً لإقرار معاهدة حظر التجارب النووية، ولم يقبل أخيراً التصويت عليها إلا بعد أن أدخل الرئيس كنيدي تعديلات على النص، ولا سيما اعتماد المساءلة عن احترام الاتفاق سنوياً، مع إمكانية منح المختبرات الأميركية في متابعة التجارب. في السنتين ١٩٦٩ - ١٩٧٠ انضم بدون خلفيات نفسية إلى الحملة المطالبة بالدفاع عن مضاد الصواريخ قادها الـ CMPDP ، الذي أوجده ألبرت ووهلستاتر، وبول نيتزيه ودين أشيزون.

لعب نيتزيه وأشيزون دوراً أساسياً قرب هاري ترومان في تحديد السياسة الخارجية الأميركية عند بداية الحرب الباردة. مع وولفويتز وبيرل كان العمل يسعى إلى عبور تناوبي بين جيلين، جيل الخطوات الأولى للحرب الباردة والجيل الذي سيبني جسر العبور من الحرب الباردة إلى ما بعد الحرب الباردة. من داخل اللجنة، انتاب نيتزيه وأشيزون

[1] – مقابلة، ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر، ٢٠٠٣ .

نوعاً من الشكوكية العميقة إزاء مراقبة كل أنواع التسلّح [1]. لم تكن تعيش « مجموعات السكوب » مثل الأيديولوجيين أو المثقفين، كما ذكر ريتشارد بيرل، بل كانوا يعيشون كبراجماتيين، والى حد ما بوقاحة، وهم يعملون على الدوي. انتابهم شعور بأن كل من في المؤسسة ضدهم، من مسؤول الدفاع لأنه كان تحت ضغط العلماء الثوريين القدامى، « المدمرين بعقدة الذئب »، إلى مسؤول الشؤون الخارجية الذي تكمن دعوته في حل المشاكل بالتفاوض. فكّر جاكسون ببساطة وقال: « انظروا كيف يعامل السوفيات مواطنيهم الأخصاء؟ وهكذا سيعاملوننا إذا كان لديهم السلطة علينا ! ».

فالمعيار الأول للحكم على نظام سياسي يكمن في حرية الذهاب والإياب التي يمنحها لرعاياه ، في العام ١٩٧٢ اقترح السيناتور إصلاحاً دقيقاً، وحمل آنذاك اسم جاكسون - فانيك، رابطاً الامتياز بالاتحاد السوفياتي باعتباره الدولة الأكثر رعاية لحرية هجرة اليهود السوفيات. صُدم هنري كيسنجر أمين الدولة، فقال: يهدد الإصلاح معاهدات الحد من التسلح النووي الذي هو موضوع نقاش في مرحلة التفاوض الآن مع موسكو. « وسوف تعرّضون الانفراج السياسي إلى الخطر! » وهكذا قال بيرل بعد ثلاثين سنة: « كانت عملية استخفاف؛ فقد كنا فعلاً ضد الانفراج السياسي »[2] .

---

[1] - جايمس مان Rise of the vulcane ، مرجع سابق.

[2] - مقابلة، ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣ .

تصرَّف الاتحاد السوفياتي على المسرح العالمي كالسارق الذي يحطم زجاج أحد الفنادق، قال جاكسون: وهو يحاول فتح كل الأبواب ولا يقترف كسراً إلاّ عندما يجد منفذاً لذلك. في العام ١٩٧٠ كان السيناتور قد حصل على تصويت فاصل في مجلس الشيوخ حول مزاوجة دقيقة لأسلحة الدفاع المضادة للصواريخ. في مجلس الشيوخ دلّل التصويت إلى وجود خطوط انقسام جديدة بين هؤلاء الذين يقبلون بوجود الاتحاد السوفياتي واقع يتعذّر مسّه، وأولئك الذين يريدون تفكيكه من جهة أخرى. « لا نريد إدارة الاتحاد السوفياتي، نريد أن نهزمه » قال بيرل، الذي حصل على لقب « أمير الظلمات » بالالتباس مع روبرت نوفاك، كاتب افتتاحيات صحفية معروف ومحافظ، وهو يشبهه فيزيائياً، قد أصبح من المعروفين في الكابيتول. لم تكن معاداته للشيوعية حاسمة عبر أي حذر خطابي؛ بالمقابل انتصر دوره على صرع خصوم هنري « سكوب » جاكسون عبر صيغة قاتلة، وخصوصاً ضمن حزبه الديموقراطي الحقيقي.

في مقابل « الواقعيين » بقيادة هنري كيسنجر - الذي استمر أميناً للدولة خلال حكومة جيرالد فورد، بعد استقالة ريتشارد نيكسون ١٩٧٤ - نجد أنصار الخط المتشدد ضد الاتحاد السوفياتي قد حققوا نجاحاً مع إيجاد هيئة البحث التي عرفت باسم المجموعة Team B . في بداية العام ١٩٧٦، أوجد بول نيتزيه، اذلي شارك بمفاوضات عديدة مع السوفيات قبل أن يقتنع بعدم جدوى مراقبة التسلُّح، أوجد فريقاً لا شكلياً للوقوف في وجه الانفراج السياسي وانتقد سياسة كيسنجر. تأثّر الرئيس

فورد كثيراً. فطلب من جورج هـ. بوش - والد جورج و. بوش - الذي كان مديراً للمخابرات الأميركية CIA القيام بوضع دراسات تتلاقى مواضيعها مع أمور الاستراتيجية السوفياتية. فشكلت مجموعة من الموظفين التابعين لوكالة الاستخبارات ومن وزارة الدولة؛ وآخرين، من منافسين حظهم قليل بالنجاح. ثم تقسيم كل مجموعة إلى ثلاثة فرق يتناول كل فريق موضوعاً وهي: دفاع المضاد الجوي السوفياتي، ضبط التسلّح والاستراتيجية. عهدت رئاسة الفريق الثالث من الـ Team B إلى ريتشارد بايبس، أستاذ التاريخ في هارفرد، ومتخصّص بأمور الروس الذين هم من أصل بولوني ومعروفين بعدائهم للسوفياتية.

عند نهاية سنوات الستينات من القرن العشرين، عمل بايبس مع « سكوب » جاكسون. فقد ألقى خطاباً أمام « الجمعية التاريخية الأميركية » في واشنطن، حول العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وكانت له هذه الجملة: إن المفهوم، هو « جيد » وما هو « مصلحتنا » ليس هو نفسه عند أولئك الذين يصنعون سياسة البلدين. فجذب انتباه دوروثي فوسديك، ابنة تيولوجي بروتستانتي قريب من هنري جاكسون الذي سارع إلى نقلها إلى ريتشارد بيرل [1]. تمّ تقريب الصِّلات، في الفريق الثالث من الـ Team B ، فعمد بايبسبول نيتزيه إلى تشغيل وليام فان كليف، اختصاصي آخر بالأسلحة النووية، وبول

[1] – ريتشار بايبس. Vixi ، مذكرات غريب في السرايا، جامعة بال، ٢٠٠٣ .

وولفويتز، الموصى به من صديقه بيرل. وجد أن التقارير المزودة كانت أحياناً خفيفة إلى حد ما، ما عدا أوراق وولفويتز حول الأسلحة المتوسطة.

كان قرار المجموعة **Team B** بقدر توقعات مؤسسيها. قدّر المحللون الرسميون، بأقل من الحقيقة، الخطر السوفياتي، فشاهدوا الاستراتيجية السوفياتية « بالمرآة » وميّزوها عن الاستراتيجية الأميركية؛ في حين أن الفرق في طبيعة النظامين ينبغي أن يكون المركبة الأساسية للتحليل؛ بالنسبة إلى موسكو خلافاً لواشنطن، لم يكن الردع الحل البديل عن الحرب بل المكمل لها؛ لم يتقبل السوفيات مبدأ التوازن لكنهم بحثوا في التفوّق بغية التمكن من التهديد بقيادة الحرب النووية وربحها. حول طبيعة الأنظمة و« توازن الرعب الهش » أوضح كل من ليو ستراوس من جهته، وألبرت ووهلستاتر من ناحيته، وجهة نظرهما بشكل آخر.

أزعجت تجربة الـ **Team B** جورج هـ. بوش وهنري كيسنجر كثيراً. فكان لها على الأقل نتيجتان، تكمن النتيجة الأولى في تغيير لهجة الجدال الاستراتيجي في الولايات المتحدة: فانتقلت مواضيع الـ **Team B** من « الهرطقة إلى المحترمية، لا بل إلى استقامة المعتقد »، أكّد دانيال باتريك موانيهان [1]، هذا لا يعني شيئاً على مستوى الحقيقة. خطأ أو صواباً – لا يزال الاختصاصيون حتى اليوم منقسمين حول هذه النقطة – تلحُّ مجموعة الـ **Team B** على استمرار التهديد السوفياتي وضرورة وضع تصوُّر سياسة مغايرة لسياسة الاتفاق مع الاتحاد السوفياتي. (منعت هذه

---

[1] – ريتشارد بايبس، مرجع سابق.

السياسة الأخيرة من قبل هؤلاء الذين يعتقدون بأن القادة السوفيات ملتزمون بصدق بالانفراج السياسي ومن قبل أولئك الذين يعتبرون أن الولايات المتحدة ليس عندها لا الوسائل العسكرية ولا الشرعية الخلقية لمقاومة الشيوعية).

بعد بضعة أيام من انتخاب جيمي كارتر كرئيس ديموقراطي للولايات المتحدة، أوجد بول نيتزيه هيئة حول الخطر الحالي **Committee on the Present Danger = CPD** حيث تلاقى كل أنصار سياسة العضلات تجاه موسكو ، في بداية سنوات الخمسينيات من القرن العشرين وافقت جماعة ضاغطة على زيادة النفقات العسكرية، وحملت الاسم نفسه. أصبح الـ **CPD** نقطة استدلال لهؤلاء الذين بدأنا نطلق عليهم اسم « المحافظون الجدد » واستمر هذا الاسم. في العام ١٩٧٧ ، نشر مقالاً بعنوان « الاتحاد السوفياتي يختلف جذرياً عن مجتمعنا »[١]. أعلن زبيغينو برزنسكي، مستشار الرئيس كارتر للأمن القومي، عن خشية أساسية من الاتحاد السوفياتي، ووضع دراسة حول تقرير المجموعة **Team B** حيث أشارت إلى أن الاتحاد السوفياتي لا يبدو كلي الجموح. بعد مرور أربع سنوات تواجد معظم أعضاء هذا « الفريق الثاني في إدارة ريغن، الذي أطلق عليه اسم « حكومة المجموعة **TeamB**» .

---

١ – أنظر ريتشارد جيد باورز، The History of American Anticommunism ، جامعة يل، ١٩٩٥ .

لهذه المغامرة أثر ثانٍ أكثر استدامة، لأنها عززت وضع المحــافظين الجدد في فكرة أن الموظفين، والعسكريين، والاختصاصيين بشكل عام، إذا انتموا لوزارة الدفاع، أو لوزارة الدولــة أو لخدمـات الإعـلام، ليسـوا ممّـن يوثق بعملهم؛ إذا كان عندهم ميل للاعتقاد بما يلائم آراؤهم المقررة سـلفاً، أو إذا كانوا يكرهون كل ما يمكن أن يعرِّض يقينهم أو عاداتهم للاختصام. إن السياسة الخارجية يجب ألا تكون اقتفاء لا متناهٍ لتـوازن القـوى، إذن مـن الأفضـل ألا تمنـح الثقـة للبـيروقراطيين. ومـن ثـم مضاعفـة الهيئـات الرسمية بشكل شبه منهجي بواسطة مجموعات **Team B** السرية تقريبـاً. داخل الحزب الجمهوري عندما كان المحافظون الجدد في المعارضة، على هامش الإدارة وعندما كان الرئيس ينتمي إلى حزبهم، قاموا بإيجاد هيئات ومجالس للتأثير على سياسة الحكومة أو مراقبتها. فهل أن المقصود صراع الشرق الأوسط أو تايوان، أو الدفاع المضاد للصواريخ أو قضيــة لاعـراق؟ في البنتاغون، عام ٢٠٠٢، أوجــد بـول وولفويـتز وصديقـه ابـرام شولسـكي، الهاوي الكبير لمسائل الإعلام، الـ **OSP** ، ومكتــب المخططـات الخاصـة، بغيـة إدارة التحضـيرات لحـرب العـراق. أدى ذلـك إلى تذكـر المجموعــة **Team B** السابقة ..

قام هنري « ســكوب » جاكسـون بدورتـين صغـيرتين أو بثـلاث في الحملات الرئاسية، لكنه لم يثابر مطلقاً ولم يشـغل وظـائف في الحكومـة. منذ العام ١٩٦٠، مع أن الديموقراطي جـون كنيـدي، الـذي كـان معاديـاً للشيوعي أكثر من سابقه الجمهوري أيزنهاور، فقد اقترح عليـه أن يشـغل

منصب نائب الرئيس معه، لكنه رفض. في العام ١٩٧٢، عندما انطلق في السباق إلى الرئاسة، تلقى دعماً من طالب شاب أعلن عن نفسه: « محافظ ناشئ »[١]. كان هذا الطالب الشاب بيل كريستول، ابن إيرفنغ، الذي ينشر الآن مجلة **Weekly standard** بمستوى عال للمحافظة (التقليدية الجديدة)، بعد أربع سنوات، كرّر جاكسون الجولة: فأخبر نائب الرئيس روكفلر (الجمهوري) في محيطه الخاص عن وجود « يساري ». في حين اعتقد جوشوا مورافشيك، قائد قديم للشباب الاشتراكي أنه سيصبح معروفاً: خطأ: أن ريتشارد بيرل الذي طالب بهذا اللقب [٢] . في العام ١٩٨٠، فضح جاكسون على أنه « يساري » من قبل المحافظين التقليديين ومن محيط ريغن، الذي يريد هذا البطل المعادي للشيوعية في حكومته، إما في الدفاع وإما في وزارة الدولة[٣].

فالموضوع أكثر من التباس في الأنواع، إنه يتعلق بمؤشر إعادة تنظيم الصف السياسي تبعاً لخطوط لا تعمل على قطع التقسيمات التقليدية يمين – يسار أو جمهوري – ديموقراطي .. الخ، فالوضع تجاه الحرب الباردة، إذن تجاه الاتحاد السوفياتي، وإرادة الحفاظ على شرف أميركا وقوتها، هي محددات أكثر أهمية. فالانفصال ليس من شأن الحزب. ما أن تخلّص الأميركيون من تحمّل الإهانة الفيتنامية، حتى عاشوا سنة رهيبة. ففي العام ١٩٧٩ كان الاجتياح المكثف – وقد كانوا هناك سابقاً –

---

١ – مقابلة مع وليام كريستول، واشنطن، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

٢ – مقابلة مع جوشوا مورافشيك، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

٣ – مقابلة مع ريتشارد بيرل، ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٣ .

للأفغانستان من قبل السوفيات والاستيلاء على رهائن السفارة الأميركية في طهران. في كل مكان، من أميركا اللاتينية إلى أفريقيا، من آسيا إلى الشرق الأدنى تبدو الولايات المتحدة في حالة تقهقر؛ وحتى في أوروبا، حيث يتم تهديد حلفاءها بواسطة الصواريخ السوفياتية المتوسطة المدى **SS20** وحيث انتشرت الملايين من دعاة السلام في الشوارع اعتراضاً على السباق للتسلّح. فانتصر بـ« الانحرافية » بعدد من الرجال من أمثال كيسنجر وأولئك الذين يصبحون سعداء برؤية التداعيات، كما أوضح هيلال فرادكن. كانتصار النسبوية الخلقية والثقافية: واجتياز أميركا مرحلة حادة من التحقير الذاتي ..

كل شيء سوف يتغيَّر مع ريغن، الذي تضايق من انتقادات ريتشارد بيرل ضد سياسة الانفراج والبحث عن توازن القوى (أو ميزان القوى)، قال هنري كيسنجر: « إذا وصل ابن العاهرة هذا يوماً إلى الحكم، سيكون مرغماً على اتباع السياسة عينها التي أقول بها »[1] . إنه مضلِّل. كان ريتشارد بيرل يعمل مع « سكوب » جاكسون واستمر لغاية العام ١٩٧٩. حتى آخر لحظة كانوا يقاتلون ضد التصديق على معاهدة **Salt II** حول الحد من التسلح الاستراتيجي. وعندما دخلت الجيوش الروسية إلى كابول، في عيد الميلاد عام ١٩٧٩ اتصل السيناتور هاتفياً ببيرل قائلاً: « أنت حر، قال له، لأن سالت **II** لن يتم التصديق عليها » كان بيرل بصدد الذهاب إلى الميدان الحر (الخاص). من جهة قراره الخاص لأنه

---

[1] – إيفو دالدر وجايمس لدساي، America unbound ، مؤسسة بروكينغ للطباعة، ٢٠٠٣ .

كان بحاجة إلى المال. فتردد في القبول إلى أن عـرض عليـه الرئيـس ريغـن عند نهاية العام ١٩٨٠ منصباً في البنتاغون. « لم أتصور أنه بإمكاننا تغيير الأشـياء إلى هـذا الحـد »، اعـترف بنفسـه. التحـق الديموقراطيـون « الجاكسونيون » بـالرئيس الجمـهوري الجديـد الـذي درّج صعـداً بعـض المحافظين الجدد: آليوت أبرامس رقي إلى مجلس الأمن القومـي، وجانـه كيركباتريك إلى منظمة الأمم المتحدة..

لم تكن السياسة الجديدة معصومة عن التناقضات. فالرئيس رونـالد ريغن لم يكن من المحافظين الجدد، إنمـا عنـده تـاريخ نموذجـي فيعتـبر محافظاً جديداً، كما قيّم ذلك جوشوا مورافشيك. إنه ديموقراطي قديم، من أنصار نيو ديل **New Deal** ومعجب بالرئيس فرانكلـين د. روزفلـت. وقـد كان رئيساً لنقابة الممثلين وبهذا اللقب، تقارب مع الشـيوعين، المنتشـرين بكثرة في هذه المنظمة. حمل على الاتحـاد السـوفياتي إدانـة أخلاقيـة. في الوقت نفسه طلب من جانه كيركباتريك الالتحاق بفريقها بعد قراءة مقالـة حـول الدفـاع عـن الديكتاتوريـات المؤيـدة للأمـيركيين في **Commentary** ١٩٧٩: تأسفت أستاذة العلوم السياسية هذه بأن تكون الولايـات المتحـدة قد سمحت حديثاً لحلفائها بالوصول إلى الديكتاتوريات. فقد كـانت تفكـر حتماً بإيران والشاه، ضمن الخط الذي كان يقول عنه الرئيس فرانكلـن د. روزفلت في سنوات ١٩٣٠ فيما يخص سـوموزا: « إنـه قـذر، إلا أن ذلـك بسببنا » مثل هذا الوضع لا يكون منسجماً مطلقاً مع السياسة التي يتبعها بول وولفويتز منذ عدة سنوات في الفيليبين، وبموافقة الرئيـس ريغـن، مـن

أجل التخلص من ماركوس. « إن أفضل ترياق للشيوعية هو الديموقراطية »، قال عندئذ وولفويتز.

في موقفه تجاه الاتحاد السوفياتي، لم يكن ريغن متناسقاً على الإطلاق. في حال بدا « كمثقف من الزمرة » (بيرل) أو كمفكر « مستقيم إنما محدود » (ريتشارد بايبس)، اعتقد الرئيس مع قليل من السذاجة أن القادة السوفيات يريدون العيش السعيد لشعبهم وبأنهم قد اصبحوا عمياناً فقط بسبب إيديولوجية مضلّلة، فداخله الشك من افعالهم ولم يبق عنده أية ثقة في اتفاقيات نزع السلاح، حيث أن موسكو تخالفه بكل استخفاف، رغم ذلك استمر في التفاوض. لكنه في النهاية كان أكثر راديكالية مما لا يتصوره أصدقاؤه. فأصبح مقتنعاً « بعدم شرعية السلطة السوفياتية ». لا بل أصبح متأكداً من أن الاتحاد السوفياتي يمكن أن يهزم، وذلك بدون حصول حرب. من أجل ذلك أطلق عام ١٩٨٣ مبادرة الدفاع الاستراتيجي **Startegie Defense Initiative = SDI**، والتي عرفت بلا تكلُف « **Star War** »، وهي سباق تكنولوجي منهك للاقتصاد السوفياتي. في البداية، لم يكن ذلك سوى اعلان صحفي، لكن قادة موسكو آمنوا به، وهذا هو المطلوب.

كان ريغن مؤمناً بالقوة الأميركية، فقرّر وضع هذه القوة في خدمة الحرية والديموقراطية. في الثامن من حزيران عام ١٩٨٢، تحدث في لندن أمام مجلس العموم. يمكن اعتبار خطابه كبيان عام للتقليدانية (المحافظة) الجديدة. « دفعت الديموقراطيات ثمناً رهيباً لكونها سمحت

للديكتاتوريين بالحد من تقديرنا لها. لا يجوز أن تسمح بإعادة هذا الخطأ، كما قال. وذلك بالانتباه إلى عدم إرغام أو فرض التغيير، يجب ألاَّ نتردَّد عن الإعلان عن أهدافنا النهائية وأن نعمل واقعياً لبلوغها. علينا أن نكون حازمين في اعتقادنا بأن الحرية ليست حكراً على بعض المحظوظين بل هي حق لا يجوز التصرُّف فيه ويشمل كل المخلوقات الإنسانية [...]. فالهدف الذي أقترحه يمكن الإعلان عنه ببساطة: **تعزيز بنى الديموقراطية، واعتماد نظام الصحافة الحرة، والنقابات، والأحزاب السياسية، والجامعات التي تتيح للشعوب اختيار طرقها الخاصة لتنمية ثقافاتها الخاصة كي تقوم بالتفويق بين اختلافاتها بالوسائل السلمية.** لا تجوز ممارسة الإمبريالية الثقافية؛ بل ينبغي تقديم كل الوسائل من أجل تحديد عزم ذاتي حقيقي وحماية التنوُّع »[1]. عند ذلك أعلن الرئيس ريغن إيجاد مؤسسة ثنائية التبعية، « الهبات القومية من أجل الديموقراطية » المكلفة بمساعدة المجتمعات المدنية في الأنظمة الاستبدادية والدول الهشة كي تتعزَّز. عهدت الرئاسة إلى كارل جرشمان، صديق إيرفنغ هوّيه، أحد روّاد القبة الأولى في السيتي كولدج في نيويورك، بمهمة إعداد الجيل الأول للتقليدانية (المحافظة) الجديدة. في عشرات السنين التالية ضاعف كل من بل كلينتون وجورج و. بوش اعتمادات المؤسسة.

---

[1] - مأخوذ من المرجع .w.w.w. Townhall.com

في حين كانت جانه كليركباتريك تعمل على الإعداد لموضوع الإعجاب برونالد ريغن لمقالها الذي سينشر في Commentary ، وبينما كان الخطاب الويلسوني يعدّ في مجلس العموم، جرت أحداث من شأنها أن تقلب وجه العالم وتعزز اعتقاد الرئيس الأميركي الراسخ بأن الاتحاد السوفياتي أصبح سريع العطب. « لا أظن أن المحافظين الجدد سيبقون من الأنصار المتحمسين لديموقراطية إلى ذلك الحين ». قال بل كريستول[١]. فقد أدّت ثورة مصانع القوات البحرية في جدانسك، وإيجاد السوليدارنوسك واعلان حالة الحرب في بولونيا في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨١ ، كل ذلك أدى إلى تغيير آرائهم. وقبل انشغال القادة الأميركيين بمواجهة الاتحاد السوفياتي كانت مرحلة الأمن؛ بعدها، كانت الحرية السياسية خلافاً « للواقعيين » الذين استمروا في تعظيم التهدئة، اعترض نورمان بودهورتز، الناطق بلسان المحافظين الجدد، على موضوع التهديد السوفياتي الذي يخشاه لكونه قوة عظمى. ما كان موضوع خلاف، أشار إليه في بحث حمل العنوان التالي: « الخطر الراهن The present Danger »، هو أن الاتحاد السوفياتي « دولة شيوعية مسلّحة حتى أسنانها وترصد كل أعمالها لتدمير المؤسسات الحرة التي هي إرثنا والثقافة السياسية التي تشكل مجدنا »[٢]. ختم بودهورتز قائلاً بأن الحرب الباردة هي المعركة « من أجل الحرية ضد الشيوعية ومن أجل الديموقراطية ضد التوتاليتارية ».

---

١ – مقابلة في ٤ شباط ٢٠٠٤ .

٢ – من ريتشارد جيد بورز، Not Without Honor ، مرجع سابق .

خلال الثماني السنوات التي كان فيها ريغن رئيساً، دعمت الولايات المتحدة كل الحركات الديموقراطية أو تلك التي تعتبر كذلك حتى في العالم الشيوعي (وكذلك عند بعض ديكتاتوريات اليمين تبعاً لمصالحها). وطبق الرئيس مبدأ أعلنه عام ١٩٧٠ ريتشارد بايبس، والذي أتى به إلى مجلس الأمن القومي لمتابعة أوروبا الشرقية، بشكل سرّي، بسبب الذكرى السيئة التي استمرت عند البيروقراطيين من تجربة مجموعة **Team B** :« للتعامل مع روسيا (السوفياتية)، يجب أن يكون لدينا فكر ساذج »[1]. دلّلت قضية « الفيتنام » أنه ليس بالإمكان احتواء الشيوعية بواسطة وسائل عسكرية، ولا على جوانبها « هناك تغييرات في المواقف أينما كان » قال بايبس : من المفروض ضرب النظام في صميمه. في خطاب أمام التجمع القومي للإنجيليين، في الثامن من آذار عام ١٩٨٣، فضح ريغن الاتحاد السوفياتي على أنه « إمبراطورية الشرّ » مشيراً إلى محطة كلام المحافظين: لا وجود لتكافؤ أخلاقي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. فقد أقنعه محيطه بأن الحرب الباردة التي بدأت في بولونيا عندما تُركت البلاد إلى ستالين في مؤتمر يالطا ١٩٤٥، يمكن أن تنتهي مع بولونيا الحرة، شرط أن « تعبِّر السياسة الخارجية الأميركية عن خواطر وقيم أخلاقية » وألاّ تسمح « بدوام النظام القائم »، هذا ما أشار إليه سترسلاو ميلوسز، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٠[2].

---

[1] – ريتشارد بايبس، Vixi ، مرجع سابق .

[2] – مقابلة نشرت في Le nouvel observateur ، ١٩ شباط ٢٠٠٤ .

ربح الغرب الحرب الباردة . وبين ١٩٨٩ و ١٩٩١ ، تفككت الكتلة الشيوعية : وتبعثرت الامبراطورية السوفياتية. كانت الهزيمة إيديولوجية بقدر ما هي سياسية ، والى حد كبير عسكرية، إضافة إلى تفسُّخ حلف فرصوفيا « كان التاريخ إلى جانبنا » أكد بيل كريستول. لم يكن الاتحاد السوفياتي قوة لا تهزم [1] . أدّى هذا اليقين بالرؤية الصحيحة، التي غالباً ما كانت ضد الأفكار المقبولة منذ زمن طويل، لكونها جلبت النصر بفضل استراتيجية ذكية ومتجددة، أدّى فعلاً إلى أخطار كبيرة. كان عند مؤيدي ريغن، أكانوا من المحافظين الجدد أم لا ، ميل لنسيان تعقيد المواقف والعناصر الأخرى التي تلاقت على إفلاس النظام السوفياتي، كأن الإرادية الأميركية وحدها كانت كافية لجندلة الشر، دون أن يكون للتناقضات الداخلية للأنظمة الشيوعية مساهمة في تفكيكها. مما يرغب، آنذاك، باعتماد البرهان بطريق القياس والحكم على كل التحديات من خلال قيمة الانتصار الذي تحقق عام ١٩٩١. فقد ربحت أميركا حربين عالميتين « ساخنتين »، وانتصرت في الحرب الباردة. وبقيادة الرئيس جورج و. بوش انطلقت في « حرب عالمية رابعة » (التعبير هو لجايمس ولساي)[2] ضد الإرهاب وضد الأصولية الإسلامية، التوتاليتارية الجديدة في القرن الحادي والعشرين، مع اليقين الأخلاقي نفسه، والاعتقاد الراسخ بأن التاريخ يعطيه الحق والحجة، والثقة نفسها بالنصر، الذي يرتكز على قدرة عسكرية عظيمة ليس لها نظير. بعد سقوط جدار برلين، شعر

---

١ – Le nouvel observateur ، ١٩ شباط ٢٠٠٤ .

٢ – Le Monde ، ٩ نيسان ٢٠٠٣ .

المحافظون الجدد بشيء من التفرُّغ عن العمل « فقد شعروا وكأن عملهم قد تم بشكل جيد »، هذا ما قاله ريتشارد بيرل [1]. فأصبح عليهم إيجاد مبرِّر وجودهم. عندئذ دخل بعضهم في حكومة جورج هـ. بوش.

إثر ذلك تفانوا في مهمتين متكاملتين: أرادوا منع أميركا من أن تنام على انتصاراتها على أمل أن تقبض ثمن ذلك « حصصاً من السلام » عندما لاح في الأفق تهديدات جديدة وبدأوا القتال إذن حتى لا تلغي الولايات المتحدة الحراسة بل تصونها، وبالأحرى تعمل على زيادتها وزيادة ميزانيتها العسكرية. فعقيدتهم متواجدة في « وثيقة التوجيه الاستراتيجي » التي تم تحضيرها خلال العام ١٩٩٢ من قبل البنتاغون ، بتوجيه ديك تشيني ، ونشرت أخيراً في كانون الثاني من العام ١٩٩٣ تحت عنوان Regional Defense Strategy قبل أن يتسلم بل كلينتون مهمته في رئاسة الجمهورية. بعد أن فاز على جورج بوش الأب. يفسح النص المجال إلى العديد من التأرجحات بين وزارة الدفاع والبيت الأبيض حيث يخشى الجميع من راديكاليته، كما يفسح المجال لتسربات للصحافة من شأنها عدم المساهمة في تهدئة الجدال. عهد إلى تشيني مسؤولية النص، لكن هذا الأخير لم ينتقل مطلقاً إلى موقف معتدل « لقد تمَّ تقديمي على أنني " صقر " فأشهر بذلك نفسه وافتخر بوجوده، وكل من لم يشارك في وضع نظام تسلّح يكون له الحق بألاّ يصوّت لأجله »[2].

---

[1] - مقابلة، ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣ .

[2] - جايمس مان، Rise of the Vulcans ، مرجع سابق.

قال ذلك إلى بول وولفويتز، أحد معاونيه في البنتاغون. أسند وولفويتز الكتابة إلى لويس « سكوتر » ليبي، محاميه منذ أيام الجامعة في يال، الذي تحوّل هو نفسه نحو زالماي خليلزاد، الذي نجده لاحقاً كسفير لأميركا في أفغانستان بعد العام ٢٠٠٢. نظّم هذا الأخير مع أندريو مارشال، رئيس مكتب في البنتاغون، التقييم الشامل للتوازن العالمي ولقوة الولايات المتحدة، وللاجتماعات التي كان يدعو إليها أحياناً ريتشارد بيرل وألبرت ووهلستاتر مواطئ قديم للمارشال خليلزاد، فوضع من كل ذلك كتاباً بعنوان : « من سياسة الحجز إلى قيادة شاملة » [1]. تشجّع ترجمة النص الأولى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لدول أوروبا الوسطى والشرقية وتوسع الضمانات الأمنية ضد روسيا. تقول هذه الترجمة أيضاً إلى أن هدف الولايات المتحدة يكمن في منع كل قوة عدائية من السيطرة على منطقة حيث تكون الثروات كافية لأن تصنع قوة شاملة.

اعتقد « سكوتر » ليبي أنه ينبغي أن يكون أكثر راديكالية. بالنسبة إليه، ليس المقصود محاصرة منافسين عندهم قوة كامنة، بل العمل بحيث إن الولايات المتحدة تكون قوية للغاية لدرجة لا يتمكن أي بلد أن يحلم بمنافستهن.

أخيراً، يقول النص الذي لم يسمح تشيني لجورج و. بوش بنشره بأن على الولايات المتحدة « أن تمنع كل قوة عدائية من السيطرة على منطقة أساسية بالنسبة لمصالحها». ليست « وثيقة التوجيه الاستراتيجي»

---

1 – Rand corporation، ١٩٩٤.

سوى جولة تجربة. بعد مرور عشر سنوات، مرَّ اعتداء الحادي عشر من أيلول من هنا، وتمكّن المحافظون الجدد الكتاب أنفسهم تحرير أنظارهم دون إمكانية الحظر. في العقيدة الاستراتيجية الجديدة التي اعتمدت في أيلول عام ٢٠٠٢ بقيادة جورج و. بوش، ذهبت الأفعال بعيداً لتبرئة الفعل الوقائي، بما فيه ضد كل تهديد خيالي، كما أكدوا إرادة منع الظهور لأي منافس استراتيجي . هذا ما أعرب عنه وليام كريستول ولورانس كابلان على النحو التالي: « يملك بلدنا قوى عسكرية لا تزاحم ويعتمد الحفاظ عليها هكذا: في هذه الحالة، تصبح سباقات التسلح غير المتوازنة التي حصلت في العصور الماضية باطلة، وتتحدد التنافسات حصراً في مجالات التجارة ونشاطات سلمية أخرى »[١]

قدَّم عصر ريغن إلى المحافظين الجدد أول فرصة لممارسة تأثير مباشر على السلطة. كانت الفرصة الثانية مع مجيء جورج و. بوش بعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١. لكنهم لم يستخلصوا من تجربتهم الأولى دروس التواضع والاعتدال وعدم الاحترام الذي يعلن عنه وليام كريستول اليوم أيضاً « لا وجود للاستقامة عند التقليدية الجديدة، كما قال: لست منحصراً « بالخط »، يجب البقاء على الراديكالية، ولا يجوز التسمُّر في العقائد، ها هنا بداية الأيديولوجيّة »[٢] . لم يكن مؤكداً أنهم اتبعوا فعلاً هذه النصائح. كما لاحظ ذلك لويس لافام، مدير مجلة

---

[١] – مسارنا يبدأ في بغداد، مرجع سابق.

[٢] – مقابلة، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

Harper's Magazine التي تمزج بين الأدب ونقد « البوشية »، « بالموافقة على سلطة ريغن، يكون المحافظون الجدد قد تحولوا. لقد تركوا ارتيابيتهم المنهجية، وشكوكهم بقيمة الأفكار الغالبة، ليصبحوا عقائديين ومتعصبين »[1].

لم يكن ليحصل سوى نصف ضرر إذا اقتصرت « عقيدتهم » على مجلات مجموعة المفكرين الذين يسيطرون، ولم يكونوا قد تمرّسوا في الحكم، وقد شغلوا، بفضل شبكة من رجال السلطة، عدة مراكز استراتيجية في الدولة.

[1] – مقابلة، باريس ٧ أيار ٢٠٠٤ .

جمعية المحافظين الجدد

ليس عددهم كثيراً، بضع عشرات، ربما يصلون إلى المئة، بين الشارع الخامس عشر والسابع عشر، في وسط واشنطن، على بضع أقلاس[1] من البيت الأبيض. لا عددهم ولا قربهم الجغرافي يكفيان لتفسير مدى تأثيرهم. متهمون بأنهم دبروا مؤامرة، وبأنهم « خطفوا السياسة الخارجية لجورج و. بوش ». (هاوارد دين، مرشح قديم في تسمية الديموقراطي لانتخابات الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠٠٤) وكذلك بأنه « دبروا مؤامرة » ضد التقليدية (المحافظة) بمهارة ورشاقة الجمهوريين التقليديين. طعن مسؤول قديم من مجلة The National Interest ، التي تمثل جزئياً مشروعات المحافظين الجدد، طعن بكل هذه الادعاءات، واشار عالم سياسي أميركي هو جايمس ك. ويلسون قائلاً: « المحافظون الجدد ليس عندهم بيان عام، ولا برنامج ولا دين، ولا علم، ولا نشيد، ولا حتى طريقة سرية للسلام باليدين على طريقة الماسونيين ..»[2] إلا أنهم هنا، بعضهم في قلب الحكومة - والرئيس نفسه اعتمد على نحو عشرين منهم، وهنّأ نفسه لكونهم اختارهم - ، والباقون في الخارج متواجدون في عدة أمكنة كمستشارين للحكومة، أو في الصحافة، أو في التلفزيون.

---

[1] - القلس قيا للطول يعادل ٢٠٠ متر (المترجم)

[2] - والتر لاكور، أسطورة الماسونيين الجدد، ٢٠٠٣ .

فقد وصلوا إلى قمة مجدهم في سنوات الثمانينيات من القرن العشرين، خلال ولايتي الرئيس رونالد ريغن، ومن ثم أدركوا عبورهم للصحراء، خلال أربع سنوات ولاية جورج بوش السنيور، الذي اعتمد عليهم في السياسة الخارجية « الواقعية الضيقة »، ومن بعده ثماني سنوات مع بل كلينتون و« إنسانويته الساذجة »[1]. وضعت كل هذه السنوات لصالح استكمال شبكتهم، وحياكة صلات جديدة مع تعزيز العلاقات القديمة، وتعميم فكرتهم بأن أميركا قوية، متفائلة، واثقة من نفسها ومن قيمها. كما تمت عملية اللقاءات بين بعضهم البعض فتزاوجوا وترافقوا أو تجاوروا « لقد عشنا جميعاً على مرمى حجر الواحد عن الآخر في شافي شاز [ماريلاند] » كما قال جايمس وولساي [2]، مدير سابق للاستخبارات الأميركية CIA ، متحدثاً بذلك عن اصدقائه بول وولفويتز، وريتشارد بيرل.

ثلاثة أجيال جاءت بآفاق جديدة مختلفة وتلاقي أفرادها: منهم من بعض قدامى القبة الأولى في السيتي كولدج، ومنهم من المدافعين عن الاحترابي ألبرت ووهلستاتر، وجميعهم مروا بمدرسة الديموقراطي المعادي للشيوعي « سكوب » جاكسون، والفتيان أبناء كبار الأجداد، حيث تشكل التقليدية الجديدة عندهم طبيعة ثانية. وعلى الجميع ترفرف الهالة الفكرية والثقافية للفيلسوف ليو ستراوس.

---

[1] - وليام كريستول ولورانس ف. كابلان، مسارنا يبدأ في بغداد، مرجع سابق.

[2] - جايمس مان، Rise of the Vulcan ، مرجع سابق.

خـــلال خمـــس عشـــرة ســـنة وجـــــد الكثـــيرون مـــلاذاً في الــ American Entreprise Institute ، الـذي لم يكـن سـابقاً معقــلاً للمحافظين الجدد – كان قد وجـد عـام ١٩٤٣ – والـذي آوى دائمـاً عـدة ألوان من التقليدية (المحافظة). من بين الشـخصيات الـتي دارت حـول الـ AEI ، ديك تشيني، أمين عام سابق في البيت الأبيض وأمين قديـم في وزارة الدفاع، فقد لعب دوراً مركزياً في ارتقاء المحافظين الجدد. فهو الذي كلّف، نهاية العام ٢٠٠٠ وبداية العام ٢٠٠١، من قبل الرئيس جـورج و. بوش بتنظيم عملية التحول. بما أن الرئيس لا يملي بأفكـاره، عـدا بعـض الاستنادات، على المتعاونين الذين يمكن أن يدعوهم إلى البيـت الأبيـض، كما نظم نائب الرئيس ديك تشيني مجلس قيادته الخاصة، بقيادة لويـس « سكوتر » ليبي، طالب قديم عند وولفويتز في يال، والذي أخـذه معـه في السابق في وزارة الدولة. ووضـع طلابـه بصـورة خاصـة في الدفـاع، حيـث يسيطر صديقه رامسفيلد، على اقل ما يمكن في وزارة الدولة التي تعـود إلى « الواقعي » كولن باول. وهكـذا نجـد أن حـوالي عشـرين مـن المحـافظين الجدد تواجدوا في مناصب استراتيجية حيث يمكنهم التأثير على السياسة الأميركية، وبصورة خاصة علـى السياسـة الخارجيـة، لترسـيخ ثقلـهم في الإدارة، لا تحتـاج للتذكـير « باقحاميتـــهم » المعروفـة في التخصـــص في التروتسكية منذ سنوات فتوتهم عند آبائهم.

في البيت الأبيض نفسه، وفي المجلـس القومـي للأمـن الـذي تقـوده كوندوليزا رايس، والمسؤول عـن الشـرق الأوسـط هـو سـتيفان هـادلي. هـذا

المساعد القديم لبول وولفويتز، في الفريق المرافق للمرشح جورج و. بوش، قد عمل أيضاً مع دونالد رامسفيلد في سنوات التسعينيات من القرن العشرين، في وسط المجلس المكلف بالبحث عن الدفاع المضاد للصواريخ. إنه متحمّس لتغيير النظام: « نغير النظام ونناقش الوضع بعد ذلك » هكذا قال لزائر أوروبي لتوضيح تصوّره للعلاقات مع إيران. كما تم تكليف أليون أبرامس أيضاً بالشرق الأدنى، وقد شكل جزءاً من مجلس الأمن في عهد بوش الأب بعد أن كان وكيل وزارة لحقوق الإنسان مع ريغن. إنه صهر نورمان بودهورتز ومدير الـ **Commentary** مـه زوجته ميدجه داكتر، مفكران من التقليدانية الجديدة. في العام ١٩٩٢، كتب في **The National Interest** مقالاً بعنوان: لأميركا القيادة.

أما رئيس الفريق المكوّن من نحو ستين شخصاً، والذي يحضر خطابات الرئيس ليس محافظاً جديداً بحصر المعنى، ميكاييل جرسون هو بالأحرى مسيحي أصولي يرغب في كتابة نصوصه في مقهى مواجه للبيت الأبيض وتكون مليئة بالإستشهادات والصور التوراتية. وقد أحاط نفسه ببعض الموظفين من الـ **AEI** من بينهم، دافيد فروم، الذي استعاد المعهد، ونشر كتاباً على شرف جورج و. بوش **The Right Man** أي «الرجل الذي تحتاجه» [1]، وكتاب آخر بالاشتراك مع ريتشارد بيرل، هو أيضاً أحد المسؤولين في الـ **AEI** بعنوان **An End to Evil** أي «ستنتهي منه مع الشرّ» « يجب أن يتغير نظام التحالف مع الولايات

[1] - The Right Man، Random house، ٢٠٠٣.

المتحدة، كما كتبوا. يجب أن تُدرك الولايات المتحدة بأن أوروبا المندمجة بقوة تتدفق عن كونها في تحالف معها، ولأنها لم تكن مرة هكذا على الاطلاق. عليهم مجابهة كون فرنسا توقفت عن كونها متحالفة بكل ما للكلمة من معنى، وأن الحكومة الروسية عند الرئيس بوتين هي أيضاً بصدد القيام بكارثة مزدوجة اللعبة »[1]. ففي البيت الأبيض طلب الرئيس جورج و. بوش حضور المسيحي الستراوسي، ليون كاس، ليرأس مجلسه الاحيائي - الأخلاقي.

في وزارة الدولة، كان دخول المحافظين الجدد شائكاً، لأن تجربة اليسار لم ندخلها سابقاً، كلّف وكيل الوزارة جون بولتون بنزع السلاح، فحدد نفسه كمحافظ صادق وساذج، لكن مشروعاته لا تختلف بشيء عن مشروعات « المتجددين ». أمّا باول، الذي يوافق على نظرة تشيني، فقد نجح في إدخال ابنته، اليزابيت، كمسؤولة في إدارة شؤون الشرق الأوسط، تجدر الإشارة إلى أنها تتكلم اللغة العربية. في حين كانت زوجة تشيني، « لينه » ، كانت إحدى ركائز الـ **AEI** . وقد قامت بنشر عدة كتب، منها رواية سحاقية، مع البوم (مجموعة صور مختارة) مخصصاً إلى « الأولاد والعائلات » **A Patriatic Primer : America** ، وهو نشيد يشرِّف مجد الولايات المتحدة [2]. ضمّت وزارة الدولة أيضاً ستراوسي أفريقي – أميركي ألان كييس، تلميذ قديم عند ألآن بلوم، الذي شارك

---

[1] – دافيد فروم وريتشارد بيرل، An End to Evil ، Random House ، ٢٠٠٣.

[2] – اشهارات روبن برايس جيسّر، سيمون وشوستر، ٢٠٠٢ .

المسكن في جامعة كورنيل لكل من ابرام شولسكي، وفرنسيس فوكويوما وبول وولفويتز.

كان المجال الحقيقي المخصص للمحافظين الجدد هو البنتاغون. تمنى بول وولفويتز منصب أمين الدفاع، لكن أحداً لا يثق بصفاته التنظيمية ، فعندما تدخل إلى مكتبه، الذي يشغله من الثامنة صباحاً حتى منتصف الليل، تجده مختفياً وراء أعمدة الأوراق، التي تذكره بزائريه. لكنه أصبح، رقم II بعد دونالد رامسفيلد الذي يعتبر « صقراً » أكثر منه محافظاً جديداً، لكنه قد عمل معه في الماضي. أما وولفويتز فإنه « محمي إلى الأبد » كما كتب جايمس مان [1].

غالباً ما يكون الجامعي على علاقات جيدة مع رفاقه أكثر مما هي مع الأوصياء عليه أو مع تلاميذه. فقد عاش في ظل حماية « ألبرت ووهلستاتر » ومن ثم « فراد إيكله »، الذي أخرجه في النهاية من وزارة الدفاع لحكومة جيمي كارتر كي يعيده إلى إدارة ريغن، حيث عمل مع جورج شولتز، ديك تشيني ودونالد رامسفيلد. لكنه لم ينسَ أبداً أصدقاءه الأعزاء. عندما وصل عام ١٩٨١ إلى مركز التخطيط السياسي لوزارة الدولة، قام بتبديل ٢٥ مساعداً بأناس متواجدين في صميم شبكة المحافظين الجدد، من بينهم فرنسيس فوكويوما، الذي كان عنده، لاحقاً، تحفظات على المحافظين الجدد من بينها توجيه انتقادات مثلاً للحرب على العراق، وألان كبايس، وزكاي خليلزاد (السفير في أفغانستان) والذي

---

1 - Rise of the Vulcans ، مرجع سابق .

كان تلميذه. كان المعاون المباشر للولفويتز في البنتاغون، للشؤون السياسية، دوغلاس فايت، الذي كان محمياً من ريتشارد بيرل، وقد كتب معه عام ١٩٩٦ رسالة بنيامين نتنياهو ينصحه فيه بالتخلي عن اتفاق أوسلو. وفي السنة السابقة، كان » فايت « قد نص مذكرة مؤيدة لانسحاب الولايات المتحدة من معاهدة **ABM** حول الصواريخ القذفية، بالاشتراك مع فرانك جافناي، قريب آخر من ريتشارد بيرل منذ المرحلة التي كانوا يعملون فيها لصالح « سكوب » جاكسون. وفي العام ٢٠٠٢ ألغت الولايات المتحدة معاهدة **ABM** من طرف واحد. وأوجد جافناي « مركز الأمن السياسي » الذي روَّج لأفكار المحافظين الجدد، وكان ضد معاهدة منع التجارب النووية، وضد المحكمة الجزائية العالمية، وضد منع الأسلحة الكيميائية، وضد منع المناجم التي تعد أسلحة لتعطيل المحاربين.

راقب دوجلاس فايث عمل » مكتب الخطط الخاصة « وضاعف الـ **CIA** لصالح المدنيين في البنتاغون، فأطلق كولن باول، ببساطة، على هذا العمل « مكتب الجستابو ». عمل مع فايث أبرام شولسكي، أحد تلامذة ليو ستراوس، وألان بلوم، الذي كان قد تخصص بالإعلام. كتب عدة أبحاث حاول أن يشير فيها إلى التمييز الستراوسي بين الخطاب الباطني الموجه إلى النخبة، والخطاب العلني الموجه إلى أكبر عدد ممكن، وذلك من أجل حل رموز مقاصد العدو. كما وضع كتاباً حول هذا الموضوع مع جاري شميت[1]، وهو مثله مساعد قديم للسيناتور الديموقراطي

---

[1] – سايلنت وررفار، Understanding the world of intelligence، براسيز، ١٩٩١.

النيويوركي، بات موانيهان. يعتبر شميت الرئيس المؤسس، مع وليام كريستول، « لمشروع من أجل قرن أميركي جديد ». كانت لائحة أعضاء مكتب الـ PNAC ، نحو ثلاثين اسماً، نوعاً من « من هم » و« ما هي » التقليدية الجديدة.

دار حول « مكتب المخططات الخاصة » محافظون جدد آخرون: هارولد رود من الذين عملوا في البنتاغون مع اندريو مارشال، صديق وزميل ووهلستاتر في « الراند » وميشال روبن، متخصص بشؤون الشرق الأوسط، جاء من الـ AEI ؛ ووليام لوتي مساعد سابق لألبرت ووهلستاتر ومعاون سابق لديك تشيني ومن ثم مساعد لنيوت جنجريش، والمتحدث باسم مجلس المثلين بعد الحدث المزلزل الجمهوري عام ١٩٩٤ والكولونيل وليام برونر، الذي عمل أيضاً لجانب جرنجريش. كاتب آخر للرسالة إلى نتنياهو من الـ AEI هو دايفيد ودرمسر، شكل جزءاً من الفريق المدني للبنتاغون قبل أن يلتقي جون بولتون في وزارة الدولة ومن ثم من مستشار ديك تشيني إلى نائب الرئيس. في العام ١٩٩٩ ، نشر دايفيد وورمسر كتاباً [1] يشير فيه إلى تواطؤ الولايات المتحدة وبعض الأنظمة المتسلطة في الشرق الأوسط، مع مقدمة لريتشارد بيرل. عمل ف. ميشال مالووف لصالح وورمسر، وهو مساعد سابق لبيرل في البنتاغون عام ١٩٨١. اضطر ستيفان كامبون، وكيل وزارة الدفاع، للرد على مهمات الكونغرس فيما يتعلق بالمآسي في العراق، فكانت إجابته تمر عبر « الستراوسي »، دون أن

---

[1] – تيرانيز اللي: America's Failure to defeat Saddam Hussein، AEI press ، ١١٧

ننسى أن أحمد شلبي، قبل بالحرب على العراق، كان عنده مداخلاته في مكتب المخططات الخاصة، وإسهاماته عبر معلومات غير مؤكدة عن بلده الأصلي من قبل أصدقائه في البنتاغون. نجد في لائحة المحافظين الجدد هذه عدداً من المتخرجين من جامعة شيكاغو : حصل شلبي على الدكتوراه من ووهلستاتر عام ١٩٦٩، والتي قدمها إلى ريتشارد بيرل؛ قبل ذلك كان قد درس الرياضيات في هارفرد. تخرج وولفويتز وشولسكي من الجامعة عام ١٩٧٢، وخليلزاد عام ١٩٧٩. لاختصار طريق الموساد، التي يجدها أريال شارون قريبة من فريق السلام، لذلك أوجد هذا الأخير إلى جانبه نوع الخلية نفسه الموجود في مكتب المخططات الخاصة، وعمل المكتبان بمشاركة ضيقة، وبتبادل المعلومات دون المرور بالدوائر البيروقراطية.

مؤمِّناً الصلة بين داخل البنتاغون وخارجه، اعتمد على الـ **Defense Policy Board** المؤسسة الاستشارية تحت تصرُّف وزير الدفاع، عدداً من المحافظين الجدد إلى جانب الممثلين لمدرسة «الواقعية»، مثل هنري كيسنجر. كان يرأسهم حتى العام ٢٠٠٣ ريتشارد بيرل الذي اضطر للاستقالة لتضارب المصالح بين هذا الوضع شبه الرسمي وشؤونه الخاصة، لكننا نجد مكانه دائماً جايمس وولساي أو نيوت جنجريش.

الدائرة الأوسع هي دائرة مجموعة المفكرين، هذه المؤسسات للبحث التي ازدهرت في هذه السنوات الأخيرة في واشنطن وخارج العاصمة الفيدرالية. تمركز الأعضاء حول دائرة « دوبون » و« الشارع السابع عشر »، فاستفادوا من تغيير التشريع لاجتذاب جزء من رؤوس الأموال

التي تذهب تقليدياً إلى اللوبيين في K-Street ، محاطون بهالة من الشهرة العلمية، كانوا أقل اتهاماً بالدفاع عن المصالح الخاصة إزاء الهيئة الإدارية والبرلمانيين. قاموا بما أطلق عليه ستيفن كلامون، **Deep lobbing** [1] . فقد موّلوا على مستوى عدة عشرات من ملايين الدولارات سنوياً من قبل مؤسسات كبيرة خاصة، مثل اللند **Lynde** وهاري برادلي فونديشن، والكوخ فاميلي فونديشن (ويشيتا - كنساس) تدعم هذه المؤسسة الأخيرة، بشكل أساسي معهد كاتو **Cato** (الذي دافع عن الاقتصاد الليبيرالي المتطرِّف)، ومؤسسة جون أولن، ومؤسسة سكايف فاميلي لريتشارد ميلون سكايف (بطرسبرج)، أو مؤسسة أدولف كورس، مؤسسة تدعى **Heritage Fondation** ، وقد حضَّر عند نهاية سنوات السبعينات برنامج رونالد ريغن الانتخابي.

ضمَّ معهد **American Enterprise** أهم مجموعة مفكرين أغلبيتهم من المحافظين الجدد. لم يكن وحده بل لكننا نلتقي، تحت رعاية وبإدارة كريستوفر درموث، الزهرة التقليدية - الحديثة الدقيقة، بكل من ريتشارد بيرل وبان واتنبرغ، وجوشوا مورافشيك، ودايفيد فروم، وميشال ليدين. استقر إيرفنغ كريستول في هيئة إدارة الـ **AEI** في حين استقر وولفويتز في المجلس الأكاديمي إلى أن دخل إلى البنتاغون. حملت صالة المحاضرات، في الطابق الثاني عشر من البناية اسم ألبرت ووهلستاتر. بدأ الـ **AEI** في العام ٢٠٠٣ ارسالات عبر الراديو نحو إيران، باللغة الفارسية، عبر محطة

---

[1] - بنجامين والاس- ويلز، واشنطن مونتلي ، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ .

في لوس أنجلوس باسم « صوت إيران ». « لم تكن سياسة جورج و. بوش تجاه طهران حازمة كما كان يؤمل منها، تأسفت دانيلا بلاتكا، متخصصة بشؤون الشرق الأوسط في المعهد، أوحى « صوت إيران » بأن « ريزا باهلاثي »، ابن آخر شاه، بإمكانه أن يلعب دوراً في إيران الحديث الذي يرغب فيه الأميركيون.

ففي بعض الكتل من الـ AEI ، وفي « مؤسسة الهدسون » نجد عدداً صغيراً من المحافظين الجدد مثل نائب الرئيس كينيت وينشتاين، الذي عرّف عن نفسه هكذا، كما نجد أيضاً متخاصمين عنيفين « للتدخلية الديموقراطية ».

بتوسيع الرؤية أيضاً، يحصل هاوي التقليدانية على مجلات: أكثرها تمثيلاً هي The Weekly Standard ، الموجودة في المبنى نفسه المتواجدة فيه الـ AEI . إنها بإدارة وليام كريستول، ابن إيرفنغ، أحد الناطقين بلسان هذا « الوعي » وكلامه مسموع. إثر تخرجه من الجامعة، شكل جزءاً من ديوان وليام بانيت سكرتير للتربية عند ريغن، وعمل بعد ذلك عند دان كوايل، نائب الرئيس جورج بوش الأب، تأسست مجلة The Weekly Standard عام ١٩٩٥ ويطبع منها كل أسبوع ٦٠٠٠٠ نموذج، ويتم تمويلها من قبل روبرت موردوخ مراقب قناة تلفزيون فوكس نيوز Fox News ، والذي يقدم الحلقة الشعبية عن التقليدانية الحديثة، كان يدير مجلة Commentary القديمة نورمان بودهورتز، لكنها انطلقت مع الأميركي جاويش كوميتي، وهي وجه آخر من وجوه التقليدانية

الحديثة، أما كوميتي فإنه آت من اليسار مثل إريفنغ كريستول. انطلقت مجلة أخرى بعد مرور نحو عشر سنوات على Commentary وهي The public internest التي انطلقت عام ١٩٩٥ مع زميلين من القبة الأولى في السيتي كولدج، دانيال بل، إيرفنغ كريستول. كانت تهتم حصرياً بالسياسة الداخلية، بعكس مجلة The National Interest التي تأسست عام ١٩٨٥ من قبل كريستول نفسه لكنها تخصصت في السياسة الخارجية إنما يدون سيطرة أفكار التقليدانية الحديثة عليها. أما القطب القديم للصحافة كونراد بلاك، من اصل كندي، وصاحب الـ Jerusalem Post، حيث يعمل ريتشارد بيرل، فقد موّل حديثاً The Public Interest، The National Interest . كما آوت مجلتان يصل عدد نسخاتها تباعاً ١٥٤٠٠٠ و ٨٥٠٠٠ وهي The National Review وthe New Republic ، عدداً من المحافظين الجدد، لكن المجلة الأولى كانت أكثر تقليدانية في حين كانت الثانية تحمل لون اليسار. أدار ميكاييل نوفاك، المحافظ الكاثوليكي الجديد مجلة اسبوعية First Things . وساهم ميكاييل جرسون في The Journal of religion and public life . « كان عندنا كم من المؤلفين، قام كل منهم بعرض مستقل عن الآخرين حول طريقة مواجهة العالم الجديد الذي نعيش فيه، كما أوضح وليام كريستول [1] . وقد قرأ كل هذه العروضات ديك تشيني،

[1] – أشار إلى ذلك في: International Herald Tribune، ١٢ آذار ٢٠٠٣ .

وكوندي رايس ودونالد رامسفيلد .. شكراً لله فقد أدى ذلك إلى التأثير المطلوب.

في كل مرة، لم يكتفِ المحافظون الجدد بكتابة المقالات، مهما كانت مناسبة أو هجومية. فإذا لم يترددوا باستمرار على دهاليز السلطة، فقد عملوا على تنمية العلاقات مع الأصدقاء القدامى في الإدارة ومع مسؤولين آخرين من الذين لم يكونوا تلقائياً على مستوى موقعهم. كان كارل روف، رئيس المستشارين عند جورج و. بوش لشؤون السياسة الداخلية، يتناول فطوره بشكل منتظم مع وليام كريستول وشارل كرو تامر، ناشر الـ « واشنطن. بوست » ومحافظ جديد ناشط. من جهتها كوندوليزا رايس، المسؤولة عن مجلس الأمن القومي (حالياً وزيرة الخارجية الأميركية)، أوحت إلى ناشر **Weekly Standard** بالقيام بمقابلتها من وقت إلى آخر من أجل أن يكون التواصل معها عبر التعاون التوجيهي في الافتتاحيات. تكون الافتتاحيات أحياناً قاسية بالنسبة للسياسة الرسمية، وبصورة خاصة بالنسبة إلى دونالد رامسفيلد. « لقد كنا قساة جداً فيما يخص العراق، وكان عندنا نقص في الأعداد لما بعد الحرب، كما رفض البنتاغون ارسال عدد كافٍ من الجنود، وكانت الغطرسة التي عرَّضت تحول السلطة إلى العراقيين إلى الخطر » هذا ما أعلنه بيل كريستول [1].

---

[1] - مقابلة، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

كما عُرف « الستراوسيون » في الجامعات بتكاتفهم والعمل عبر شبكة لمواجهة عدائية الغالبية الليبرالية، كذلك أصبح المحافظون الجدد أبطال الـ Net Working ، وقاموا بدعم بعضهم البعض في الصحافة، والمنشورات، وصفحات « الرأي » في كبار الصحف، بإدارة روبرت بارتلي، الذي توفي في كانون الأول عام ٢٠٠٣، والذي كان يشاركهم المعتقدات، وصفحات الافتتاحيات في Wall Street Journal التي تعتبر عملياً الصحيفة الوحيدة اليومية الوطنية مع جريدة US Today كانت تفتح صفحاتها أمامهم ولعشرات السنين، فنشروا كتباً، وانتقادات لكتب أصدقائهم، وتدخلوا في محاضرات وبرامج تلفزيونية .. كان عندهم فن التوسع لملء المساحات، ولإطلاق اللجان، والمشاريع، والهيئات ، غالباً مسهبة، لأسلوب مجرَّب، أتاح تكاثر المبادرات التي أطلقوها ظهور نفوذهم وتوسعه، وأصبحوا جاهزين لاصطياد الفرص عندما تكون الأوضاع مؤاتية.

اليوم يبدأ التاريخ

أعلن ريتشارد أرميتاج الرجل الثاني في وزارة الدولة أثناء استقباله لسفير الباكستان، في اليوم التالي لاعتداءات ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١، قائلاً: « يبدأ التاريخ اليوم ».

كانت الصدمة قوية للغاية، والمفاجأة قائمة بذاتها إلى درجة ينبغي فيها مراجعة كل شيء في العقيدة الاستراتيجية لفريق بوش. إذ كانت هذه العقيدة لا تزال تتبصَّر بكل حذر مرحلة ما بعد الحرب الباردة. وكانت لا تزال أيضاً منهمكة في تفكيك بعض أدوات الردع النووي التي تبين أنها مهملة منذ أن هزم الاتحاد السوفياتي. يبدو أن البعض انزعج من القوة المتصاعدة للصين، حيث أدركت الأخيرة أنها « المنافس الاستراتيجي » في آسيا. كان في نية الإدارة الاحتفاظ بميزانية للدفاع لتحافظ على تفوّق عسكري للولايات المتحدة، وهو موضوع تقليدي عند الجمهوريين. ويبدو أن أحداً يبدو قد أشار إلى أن هذه الإدارة تهتم بالإرهاب بنوع خاص أو بالتهديدات التي يمكن أن تأتي من جماعات غير دولية. بالمقابل، كل شيء كان يدل على أنها عازمة على ترك الجهود التي بذلها الرئيس بيل كلينتون لتسهيل تسوية الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني . لم تكن قضية الشرق الأوسط تحتل المكانة الأولى عند فريق بوش: هنا ظهر نوع من التسويف الموالي (لإسرائيل)؛ واكتفت الإدارة المذكورة بتوازن القوى المحلية، وبصورة خاصة بسبب العلاقات الأميركية - السعودية. لكنها كانت تتمنى تغيير النظام في العراق - هكذا كانت السياسة الرسمية

للولايات المتحدة - ولم تكن تتصور بأن تفعل أكثر مما فعلته حكومة كلينتون في هذا الموضوع. تلك كانت توجهات الديبلوماسية العامة في البداية : متوانية - فما الذي أغضب المحافظون الجدد من الحكومة ؟ هذا الرئيس لا يفكر إلا بالسياسة الخارجية، أو بالأحرى بالحرب، ويتهيأ للسيطرة على ولايته.

أدّت اعتداءات ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ إلى تفجير الواقع الهادئ للأمور. خلال الساعات والأيام التي تلت خطف الطائرات الأربع من قبل الانتحاريين - وقاموا بتحطيمها على أبراج المركز التجاري العالمي W.T.C ، في مانهاتن، وعلى البنتاغون في ضاحية واشنطن - فاستولى الذعر والاضطراب على السلطة الأميركية. لم يتصور أحد أمراً غير معقول كهذا، ليس فقط على البيت الأبيض، بل على وزارة الدولة، وعلى البنتاغون وكذلك على الاستخبارات الأميركية (CIA) . وكذلك لم يتصور أحد أن جماعة غير دولية تضع يوماً هدفاً لها قتل أكبر عدد ممكن من المدنيين، تحت شعار الحقد على أميركا أو تحت شعار حرب مقدسة سرية تقاد ضد « اليهود والمسيحيين » باتهامهم بالقضاء على العالم الإسلامي. لم يفكر أحد أن ١٥ من اصل ١٩ إرهابياً سيكونون سعوديين، من رعايا مملكة حليفة لأميركا منذ مطلع القرن الماضي، رجال جاؤوا من بيت آل سعود القريب جداً من الأماكن البترولية في تكساس الأميركية، إذن من بيت بوش نفسه.

أجل، ولا أحد تصور ذلك، سوى المحافظون الجدد الذين وحدهم فضحوا منذ زمن بعيد أمر الأنظمة الاستبدادية في الشرق الأوسط، أنظمة غير كفوءة، ومحتضنة للحركات الإرهابية أو ممولة للإسلام الأصولي، وغير قادرة على إيصال شعوبها إلى الحياة العصرية. فهم يصيحون عالياً منذ بداية سنوات ١٩٩٠ بأن ما بعد الحرب الباردة لن يكون عصر الاستقرار الاستراتيجي، فقد لاحظوا أن الإرهاب يجد قواعده ودعائمه المالية في هذه الدول المتخلفة ومن أمم أخرى في حالة فساد ولدت من حالة خلل مزدوجة: انفجار مناطق كانت تحت الوصاية بسبب نهاية الحرب الباردة. من جهة؛ والأضرار الناجمة عن شمولية التبادلات الاقتصادية، من جهة أخرى. منذ مدة طويلة، أشار رجال مثل بيل كريستول، ولورانس كابلان، وروبيرت كاجان إلى ضرورة الحصول على « تغييرات في النظام » وتشجيع نشر الديموقراطية من أجل استقرار بعض المناطق الساخنة مثل الشرق الأوسط.

إنها، في جيناتهم مفاهيم «المفاجأة الاستراتيجية» والتي كانت إحدى اهتمامات ألبرت وروبرتا ووهلستاتر المدرجين بين أساتذة التفكير عند المحافظين الجدد. ومرجعيتهم بهذا الصدد كانت حادثة «بيرل هاربور». قبل وقوع أحداث الحادي عشر من أيلول، أي في ١١ حزيران ذكّر وولفويتز، تلميذ ألبرت ووهلستاتر بالذكرى السنوية للهجوم الياباني على الأسطول الأميركي في المحيط الهادي. فقال الرجل الثاني في أمانة الدفاع،

وفيلسوف بأسلوب محذِّر: « تأتي المفاجأة غالباً بحيث تكون غير متوقعة بحيث نصبح متفاجئين بها .. »[1] .

بالنسبة إلى اعتداءات ١١ أيلول ٢٠٠١ ، قاد المحافظون الجدد تصوراً أتاح لهم تحديد موقع الحدث في منظر استراتيجي بدا لهم مألوفاً. فناقشوا الاستقرار الذي اعتقدت الولايات المتحدة أنها صانته مع احتفاظها بالعلاقات الجيدة مع الأنظمة العربية الاستبدادية. تنشر العربية السعودية في المنطقة مذهب الوهابية الراديكالي؛ في حين تحافظ مصر على خطاب عنيف ضد إسرائيل؛ واستخدمت المعاداة العامة لأميركا في تحويل الانتباه عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية المفجعة. وحالة توازن القوى غذّت الإرهاب الذي توصل إلى ضرب نيويورك. إذن سوف يفرض تحليل المحافظين الجدد نفسه من الآن وصاعداً، خطأً أم صواباً.

بعد الحادي عشر من أيلول، أصبحت أفكارنا في السياسة الخارجية تخضع للأكثرية ، هذا ما استنتجه بيل كريستول. كانت حجّتنا الأساسية في سنوات التسعينيات بأن المرحلة التي بدأت صبيحة انتهاء الحرب الباردة ستصبح أكثر خطراً مما يقوله أو يتصوره السواد الأعظم. كنا على حق. هكذا يطلب منا إعادة التفكير بالشرق الأوسط، والعمل على الدفاع عن حقوق الإنسان فيه والإعلان عن أهمية حقوق الإنسان في التقييم الاستراتيجي الممتد على المنطقة »[2]. استدعى كاتب أميركي يتنقل بين

---

[1] – بول وولفويتز، أشار إليها جايمس مان، Rise of the vulcans ، مرجع سابق.

[2] – مقابلة، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

نيويورك وباريس، جيروم شارين رجل من اليسار قائلاً: « غياب رهيب للديموقراطيين » بعد الحادي عشر من أيلول مباشرة: « لم يكن وولفويتز فعلاً على حق في تحليلاته، لكن على الأقل عنده تحليلات على مدى العالم وصعوباته، بينما نجد أن اليسار الأميركي كان صامتاً حول هذه المسائل »[1].

تحوَّلَ المحافظون الجدد إلى أصوليين، في ممارستهم نوع من المزيج اللافت للتقليدانية والراديكالية. على أنقاض المركز التجاري العالمي، ظهرت فجأة الحاجة إليهم: هم وحدهم وضعوا التفسير الأولي. « في اليوم التالي للحادي عشر من أيلول، إثر تبدل جمهوري بوشي حيث يوجد عدد قليل من المثقفين، كان للمحافظين الجدد المقدرة على أن يكونوا هنا »، هذا ما لاحظه العالم السياسي روبرت دو جاريك [2]. أولئك الذين لا يحبونه مطلقاً يقولون إن بن لادن قدَّمَ لهم هكذا أرضية منبسطة لم يكن بإمكانهم تهيئتها. ارتأى الديموقراطي روبرت هانتر، سفير سابق لحلف شمال الأطلسي **OTAN** « بأنهم استفادوا من لحظة الجروحية الأقصى للبلاد »[3]. فقال كاتب الافتتاحيات الصحفية وليام بفاف أن رئيس القاعدة « أتاح للمحافظين الجدد في واشنطن - الذين كانوا حتى الآن طائفة ثقافية تأثيرها محدود - اتخاذ دور مراقبة السياسة الخارجية الأميركية وتحويل برنامج جورج و. بوش « المتواضع » في هذا النطاق إلى

---

[1] - الليبراسيون، ٢٦ - ٢٧ نيسان ٢٠٠٤ .

[2] - مقابلة في واشنطن، ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

[3] - مقابلة في واشنطن، كانون الثاني ٢٠٠٤ .

عقيدة بهيمنة عسكرية شاملة والى حروب وقائية »[1]. في الذهول والقلق الحاصلين بعد الحادي عشر من أيلول، تمكن المحافظون من وضع التشخيص ومن ثم وصف الدواء. لم يكن للمحافظين الجدد هذه الأهمية الكبرى لو أن حكومة بوش اكتفت بالالتزام بتحليلهم للوضع فقط؛ لكن من أجل القيام بمواجهته تبنّي سياستهم. للمرة الأولى توصّل المحافظون إلى استعمال ما طالبوا به منذ بداية سنوات التسعينيات من القرن العشرين: بلبلة توازن القوى في الشرق الأوسط، وذلك بالبدء بتغيير النظام العراقي.

رغم الاعتداء على أراضيهم الخاصة الذي لم يحصل سابقاً على الإطلاق، أدرك الأميركيون أنهم لا يستطيعون تجنب الالتزام الخارجي - العسكري أو الديبلوماسي. بعد الحادي عشر من أيلول أصبح الهجوم على صدام حسين هدفاً، فتمكن المحافظون الجدد من المطالبة فيه كأمرٍ شرعي. علماً أن مجموعة البينات قابلة للنقاش، بدءاً بالتهديد العراقي الذي يفترض وجود أسلحة دمار شامل وصولاً إلى ارتباطات بغداد مع القاعدة، مع اعتماد خيار العراق كمدخل أولي لجعل الشرق الأوسط ديموقراطياً. لكن المحافظين الجدد يعرفون أن الظرف لم يتمثّل بعد. لقد حلّت الساعة بالنسبة إلى بول وولفويتز، والذي يناديه بوش بلطف « وولفي »؛ إنها أيضاً ساعة جون بولتون، ودايفيد وورمسر، ودوجلاس فايث، ووليام لوتي، وابرام شولسكي، ولويس ليبي. لن تسمح شبكة المحافظة الجديدة

---

[1] - International Herold Tribune، ٦ أيار ٢٠٠٣ .

لفريق بوش بتفويت هذه الفرصة. فدفع بسياسته، ملوِّحاً بالضرورة الإجبارية لإحداث التغييرات في أنظمة الشرق الأوسط، والتبديل في توازن القوى الذي صدَّر الإرهاب الإسلامي. اعتمدت الشبكة على « واقعيين » سوف يلقون بكل ثقلهم إلى جانب المحافظين الجدد وهما : ريتشارد تشيني أمين الدفاع، ودونالد رامسفيلد.

كانت افغانستان مجرَّد مدخل، وحصل إجماع للآراء بشأنها: لجأت « القاعدة » إلى كابول حيث كان النظام الأصولي للطالبان. لكن المحافظين الجدد لا يفكرون إلاّ بالعراق، هاجسهم القديم - مع قفزة حجر الدومينو هذا يبدأ مباشرة العمل الكبير الذي سيحوِّل أنظمة الشرق الأدنى إلى أنظمة ديموقراطية، وهذا هدفهم.

منذ الاجتماعات الأولى لغرفة الحرب، اقترح « وولفي » مهاجمة العراق، هناك حجة أسلحة الدمار الشامل التي يملكها صدام حسين، والعلاقات المحتملة بين بغداد وبن لادن، إذن هناك افتراضية بأن نجد يوماً ما فرعاً للقاعدة يمتلك هذه الأسلحة - ومع كل ذلك إذا كانت الأدلة هزيلة، لا بل غير كافية، نلتمس الحجج.

أجل فهناك أيضاً رغبة في الضرب « ضربة كبرى »، على مستوى الهجوم الذي كانت ضحيته الولايات المتحدة، وفي العالم العربي، بالتأكيد، فمن هناك جاء الإرهابيون. كان الهدف العراقي مؤكداً ليس فقط بالنسبة « للجدد » بل أيضاً بالنسبة لعدد كبير من المسؤولين الآخرين من جانب إلى آخر من الطيف السياسي الأميركي .

في منطق المحافظين الجدد، يفرض هذا الهدف نفسه أكثر فأكثر طالما أنه على مستوى الوسائل العسكرية للولايات المتحدة. فقد أحدث هجوم القاعدة شعوراً من الجروحية عند الأميركيين، لكنه حدث، استثنائياً. في وقت يشعر فيه الأميركيون أنهم أكثر قدرة من الناحية العسكرية من أي وقت مضى. بالنسبة للمحافظين الجدد، إنها الفرصة المناسبة لتنفيذ مبدأ آخر من عقيدتهم: على أميركا ألاّ تخشى من استعمال قوتها. ها هم منذ عشر سنوات يصارعون من أجل أن تتبنى الولايات المتحدة عقيدة استراتيجية بهدف واضح: أن تكون، لأطول زمن ممكن، القوة العسكرية المسيطرة. إن تفكك الاتحاد السوفياتي، وضعف المثابرة في أوروبا حققا لها الفوز الحاسم حتى قبل نهاية الحرب الباردة. منذ العام ١٩٩٢، راودت رجال مثل ديك تشيني والعديد من المحافظين الجدد فكرة السيطرة العسكرية الأميركية.

بناء عليه، حوّلت اعتداءات الحادي عشر من أيلول ما كان حتى الآن أمنية إلى عقيدة راسخة. فمثلت إرادة ردع كل منافس عسكري، بالزخرفة المطلوبة، في المستند الذي حُضِّر في أيلول عام ٢٠٠٢ من قبل مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض الذي قام مقام العقيدة الاستراتيجية الرسمية. فما كان عليها سوى اعتماد حالة الفعل: ففي الوقت الذي تم الاعتداء عليهم من القاعدة، لم يكن أمام الولايات المتحدة منافساً عسكرياً عالمياً .. نادراً ما حصل ذلك في التاريخ، منذ روما القديمة، أي أن يكون بلد ما مستعداً لمثل هذا التفوق في المجال الحربي. أشار المؤرخ البريطاني

شالمرز جونسون إلى أكثر من أربعين قاعدة عسكرية أميركية في الخارج؛ كما يجب إضافة عشرات وعشرات من اتفاقات التعاون التي تقدم تسهيلات عسكرية ناشطة أو ممكنة على القارات الأربع ؟ وفقاً لدراسة للبنتاغون استشهدت فيها صحيفة يومية بريطانية [1]، تنشر أميركا إذن حضوراً عسكرياً كبيراً ولا أهمية له، وذلك في ١٣٢ بلداً من اصل ١٩٢ أعضاء في منظمة الأمم المتحدة. لا توجد نقطة على الكرة الأرضية إلا وهي خليقة بإنزال قوى، حيث إن التجهيزات التكنولوجية - إنما على الأرجح ليست مهارة عسكرية - تتجاوز تجهيزات البلدان الأخرى. لاحظ واحد من أفضل الاختصاصيين الفرنسيين في الولايات المتحدة، دنيس لاكورن[2]، إن الأميركيين ينفقون لوحدهم ما يقارب ٤٠ ٪ من النفقات العسكرية العالمية: إنهم ينفقون بقدر ما تنفق ١٥ من الدول الأخرى في العالم الأقوى عسكرياً .

يؤمن المحافظون الجدد بمركزية القدرة العسكرية الأميركية وذلك لتأمين توازنات ما بعد الحرب الباردة. هذا التفوق في القدرة العسكرية يعزّز تفاؤلهم في قدرة الولايات المتحدة على إعادة صياغة العالم. أوضح الديموقراطي « فيل جوردون »، من رجالات البيت الأبيض في عهد بيل كلينتون، قائلاً: « التقليدانية الجديدة هي أيضاً نتاج ثقة هائلة في قدرة أميركا بعيد انتصارها في الحرب الباردة »[3] . ثم تابع قائلاً: مثل هذا

[1] - جوناثان فريدلاند، The Guardien، ١٨ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٢ .

[2] - النقد العالمي، تشرين الأول/ اوكتوبر ٢٠٠٢ .

[3] - مقابلة في واشنطن، ٤ شباط ٢٠٠٤ .

التفوق العسكري، لا بل الاقتصادي، والتكنولوجي والثقافي يغذي هذا الشعور .. « إذا كان بالإمكان، يجب القيام بتغيير العالم ».

بُعيد اعتداءات الحادي عشر من أيلول، وثق عدد من المسؤولين والاختصاصيين الأميركيين في السياسة الخارجية بالتطلعات عينها : وآمنوا بضرورة صياغة نظام عالمي لا يفسح المجال مطلقاً لكارثة شبيهة بكارثة « توين تورز » = البرجين التوأمين وكان الدفع من المحافظين الجدد.

تواجد هؤلاء في ظرف كان مألوفاً لديهم، ويذكرهم بساعاتهم المجيدة: ثنائية قطب زمن الحرب الباردة. أعلن أحد رفاقهم في الطريق – لكنه لم يكن متابعاً للتدخل في البلقان – ، كاتب الافتتاحيات الصحفية شارل كروتامر ، عن حرب، بعد الحادي عشر من أيلول، بين الإمبراطورية الأميركية والإرهاب الإسلامي »[1].

فيما يشبه الحرب الباردة، عندما ينتقدون الانفراج السياسي أو يعتبرون أن أنظمة تعددية الفرقاء قد تم استثمارها لصالحهم من قبل السوفيات، وافق المحافظون الجدد، في هذه المعركة الثنائية الجديدة، على أن تخلص الولايات المتحدة من الحق العام للمجتمع العالمي. يجب انتهاز الفرصة للتأكيد، في لحظة مأساوية، على أن المسؤوليات الخاصة بأميركا، في المعركة ضد امبراطورية الشر الجديدة، تعفيها من احترام

[1] – واشنطن بوست، أيلول ٢٠٠٣.

بعض الأنظمة - التي قد تكون الولايات المتحدة قد ساهمت بقوة في سنّها بُعيد الحرب العالمية الثانية.

من هنا كان نقد النظام المتعدِّد الفرقاء الذي يلجم البسط الضروري للقدرة الأميركية. نظَّر ذلك ريتشارد بيرل بهذه التعابير : » في الوضعية الراهنة يعتبر القانون العالمي عقبة في وجه ما يجب فعله «[1] ثم يؤكد : «وجدت الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية من أجل منع اجتياح بلد قوي لبلد جار له أقل منه قوة. لكن نظام الأمم المتحدة لم يتكيف من أجل معالجة التهديدات الجديدة مثل الإرهاب العالمي « فالعقدة قد شبكت » في عالم محافظ جديد، نجد منطقاً يؤدي إلى حتمية مهاجمة العراق بعد اعتداءات القاعدة؛ فالولايات المتحدة عندها الوسائل الحربية والواجب الأخلاقي للقيام بالهجوم، ومنظمة الأمم المتحدة لا يجوز أن يكون بمقدورها الاعتراض.

تبقى الحاجة للاقتناع الكامل إلى وجود رجل مثل الرئيس جورج و. بوش .

[1] - مقابلة، ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣ .

التحوّل المضحك للرئيس جورج و. بوش

لم يهيء أحد الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة كي يهتم بعالم المحافظين الجدد. كان قد التقى بعضهم في المحيط الأبوي منهم: بول وولفويتز وريتشارد بيرل، بدون أي شك لم يكن لا هذا ولا ذاك من المقرَّبين من الرئيس السابق (بوش الأب). بما أن جورج و. بوش قد شارك تقريباً مع كل الحملات الانتخابية لوالده ، فإنه لا يجهل شيئاً من أمور مختلف العائلات التي تكوِّن جماعات الناخبين الجمهوريين.

لقد تغير هذا « البلد الجمهوري » كثيراً. فنواته الصلبة، التي يعتبر جورج بوش السنيور ممثلاً لها في غاية الكمال، كانت لزمن طويل عالم الأعمال (بروتستانتياً غالباً)، العمل الكبير، في وول ستريت، يكون متعدد الجنسيات. في الأساس، كانوا رجالاً من الشاطئ الشرقي. أُطلق عليهم اسم « نادي منطقة الجمهوريين ». من ميزاتهم أنهم يحبون لعب الغولف، وينتمون إلى الكنائس الكالفانية والانكليكانية، وفي عطلة نهاية الأسبوع يرتدون ملابس رالف لورين. لديهم مكانة في الحزب، لكنها ليست الأولى. منذ اواسط سنوات السبعينيات من القرن العشرين، تمت إزاحتهم بسبب موجة جاءت من الجنوب لم تتوقف عن التقدم بسرعة، إلى أن أصبحت أغلبية: إنها موجة الإنجليين للصفوف الوسطى، كما انضم إليهم المؤمنون بالتحالف المسيحي، الفرع الأصولي في الحركة. أظهرت موجة الجنوبيين قوتها بفرض برنامجها على اتفاق هوستون عام ١٩٩٢ ، ثم استولت على الكونغرس عام ١٩٩٤. تسيطر الكنيسة

المعمدانية، غالباً، عند هؤلاء الجمهوريين، لكن العديد من الكاثوليك الآتين من الحزب الديموقراطي سوف ينضمون إليهم، تجذبهم ابتهالات « القيم الأخلاقية ».

كان لبوش الشاب يقين يقول: « لم ينجح والده في الحصول على ولاية ثانية عام ١٩٩٢ ذلك لأنه تجاهل أو حقد على هؤلاء الناخبين، الموجودين الآن في نقطة ارتكاز الحزب. لن يقع بوش الشاب بهذا الخطأ. وسيكون من السهل عليه ترويض هؤلاء الجمهوريين على أساس أنه واحداً منهم: بعد الأربعين، التحول الذي شهده ديني جعل منه مولوداً مسيحياً جديداً. إثر انتخاب جورج و. بش رئيساً للولايات المتحدة، قال أحد المروجين للتحالف المسيحي، جاري بوير: بأن الحركة لم يعد لها مبرر وجود: فرئيسها الحقيقي هو في البيت الأبيض .. قام العسكريون - الآتون من أكاديميات موجودة، بشكل عام، في الجنوب - وقسم كبير ممن يشكلون المركّب العسكري - الصناعي ليكونوا معقلاً جمهورياً آخر. فنشبت معركة بين الحزبين الأميركيين الكبيرين للحصول على أهلية انتخابية جديدة، وهكذا اكتسبت أهمية شيئاً فشيئاً: علماً أن موضوع « القيم » قرَّب اللاتين والآسيويين - أجيال الهجرة الجديدة - من الجمهوريين .

ضمن هذا الإطار لم يكن للمحافظين الجدد أي ثقل. لم يكن لديهم قاعدة انتخابية. وهم قليلو العدد، ليسوا حزباً ولا عصبة، إنهم مجرَّد مجموعة منظمة. أعدوا أنفسهم فكرياً وثقافياً - وعلى مرور السنين، تبوأوا مركز اليسار في صراع الأفكار - لكنهم بقوا مهمشين . يعود عصرهم الذهبي

إلى ولايتي رونالد ريغن (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ، ويعتبرون أن انتصارهم الكبير كان مع نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفياتي. بشكل عام لا يعاشر الرئيس جورج بوش المثقفين، ولا حتى هؤلاء بنوع خاص.

لكنه طلب فعلاً من بيرل ومن وولفويتز بإعطائه عدة دروس على شكل تدريب سريع ومكثّف في السياسة الخارجية عندما بدأ حملته في الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني / نوفمبر عام ٢٠٠٠. فكان انطباع بيرل عنه كما يلي : « أدركت بسرعة أنه رجل (الرئيس بوش) يختلف عن رجال السياسة الآخرين. فقد بدا لي أمران واضحان، الأول: هو أنه لا يعرف شيئاً عظيماً . والثاني: يبدو أنه واثقاً من نفسه بما فيه الكفاية وذلك كي يطرح مسائل تدلل على أنه لا يعرف شيئاً عظيماً »[1].

قبل أن يتم انتخابه حاكماً لتكساس، كان جورج و. بوش صاحب فريق نجوم في لعبة كرة القاعدة يدعى « **Texas Rangers** »، كل لاعبيه تم شراؤهم بالمال من المحيط العائلي. أتاحت له المصادر نفسها، بعد بضعة سنوات، إمكانية الصعود إلى شركة مرتبطة بالقطاع البترولي؛ لكنه استطاع أن يبيع أسهمه تماماً قبل أن تعلن هذه الشركة إفلاسها. فتابع تقريباً المسار المدرسي والجامعي الذي بدأ به والده – مدرسة معروفة على الشاطئ الشرقي، اندوفر **Andover** ، ومن ثم جامعتان كبيرتان، يال وهارفرد، حيث ترك ذكر العربيد أكثر من ذكر الكادح. نجا من التجنيد لحرب فيتنام عندما أمسى قائداً مرشداً للصيد في الحرس الوطني **Garde**

---

[1] - أشار إلى ذلك : غيفو والدر وجايمس لندساي في America unbound .

في تكساس – في الثامنة عشرة عاماً من عمره كان والده قد اصبح أحد كبار القادة الشبان في الـ US NAVY في حرب المحيط الهادئ. نشأ بوش الابن منذ نعومة أظفاره في السهل الصحراوي لتكساس الغربية. لم ينسَ لحظة أصوله الحقيقية وخاصة « الشاطئ الشرقي »، وذلك بتنشئة شخصية تكساسية حقيقية، أو على الأقل كان قلقاً عليها: شخصية معادية للعقلانية أعلن عنها بصراحة، لكنها مشغوفة بالأسلحة، والرياضة، والجيش، والكنيسة. إضافة إلى إيمان بوطنية مزدوجة (لتكساس ولأميركا). هكذا كان على ألف فرسخ من المجلات النيويوركية، والحوارات، والمنتديات ومجموعة المفكرين الواشنطونيين؛ كما كان بعيداً جداً عن هؤلاء المحافظين الجدد قراء ليو ستراوس وهواة للثقافة الكلاسيكية. في تكساس، يتذكر الناس الفتى بوش سيارة تريونف Triumph محسورة الغطاء، يلهو متنقلاً من عيد إلى عيد، ومن رحلة صيد إلى مسير جولف. يتذكرونه أيضاً سكيراً مدمناً، وعندما يسكر يبدو عدوانياً. تزوّج عام ١٩٧٧ وأصبح والداً لابنتين توأم عام ١٩٨٢، ترك الكحول مع بلوغه الأربعين من عمره، « الحمد لله »، كما باح بسره مؤخراً – هذا الإله « الذي عثر عليه » أثناء جلسات قراءة التوراة حيث دعاه إليها أحد أصدقائه.

كان لديه إعجاب لا نظير له بأبيه. أراد السير على خطاه – إنما على طريقته هو. فقد أدرك أن الحزب الجمهوري ليس هو حزب الـ« Dad » . مخطط جيد، شارك في الحملة الرئاسية عام ٢٠٠٠ مع

برنامج غامض، عنوانه محافظ محبوب. « سياسي » صلب، اعتنى بإعادة تأهيل كل فصائل الجمهوريين، بصورة خاصة فصائل اليمين الأصولي. لكنه كان يعلم جيداً، منذ سنوات ولاية ريان، أهمية وجود تيار عقلاني، أكثر رمزية وشعارات من العمل الانتخابي. إنه يجب أن ينضوي إلزامياً ضمن تحالف جمهوري جيد : المحافظون الجدد. يشكل بعضاً منهم هذه الشبكة من الاختصاصيين في السياسة الخارجية، فتوجه نحوها عند تشكيل الحكومة؛ واهتم نائب الرئيس ريتشارد تشيني بتعيين بعضهم في مناصب أساسية في وزارة الدولة (جون بولتون، دافيد وورمسر)، وكذلك في البنتاغون وفي البيت الأبيض .

لكن « متزمتي » التيار، الأكثر أصولية، آل كريستول ، كابلان، كاجان، وغيرهم، لم يتبع هؤلاء « المتذاكون « من رجالات المجلات والمنتديات، جورج و. بوش. لم يكن عندهم، عند الانطلاق، أي نوع من التوافق مع التكساسي. ففي حملة الانتخابات الأولية ، كانوا في حزب منافسه ، سيناتور اريزونا ، جون ماكان. وكان لديهم أسبابهم من أجل ذلك: كان البرنامج الصغير المعلن من قبل المرشح جورج و. بوش في السياسة الخارجية ، على النقيض مع التقليدانية الحديثة . كما كان بوش ضد كل ما يعظمه المحافظون الجدد. رأى هؤلاء في مرحلة ما بعد الحرب الباردة فرصة تاريخية بالنسبة للولايات المتحدة لتشجيع الديموقراطية في كل مكان في العالم، وبصورة خاصة في الشرق الأدنى ، وبالأسلحة إذا اقتضى الأمر. إنهم دوليون واثقون، أنصار فعالية عازمة في السياسة

الخارجية . على أميركا ألا تخاف من إعلان قيمها وطموحها لتحويل العالم وفقاً لتخيلهم وتصورهم.

دافع المحافظون الجدد عن سياسة الديموقراطي بيل كلينتون في البلقان؛ لكن معظم الحزب الجمهوري أدان هذه السياسة.

غريزياً، كان موقع بوش التقليدي في اليمين الجمهوري، أو بالأحرى « إنعزالي ». ليس عنده، بالضبط، أية فضولية بالنسبة للخارج. كان شبه مرتاب كما أعلن أثناء حملته في العالم ٢٠٠٠ : « إذا كنا أمة متغطرسة فهكذا تعتبرنا الدول الأخرى. لكن إذا كنا أمة متواضعة فسوف يحترموننا ». هذه المجاهرة « بالتواضع » أدَّت إلى إضافة كل محافظ جديد مقتنع. إنه الابن المقرَّب من كل « الكبار » على الكرة الأرضية، حتى الخمسين من عمره لم يكن قد غادر الولايات المتحدة إلا لمرتين؛ يعتبر قريباً من هؤلاء المثلين الجمهوريين من مجموعة العام ١٩٩٤ العتيقة، حيث إن أعضاءها يتباهون بأنهم لا يملكون جواز سفر. خلال حملته الانتخابية اختار كونداليزا رايس كمستشارة أولى عنده للسياسة الخارجية، كان قد قدَّمها له الجنرال برنت سكوكروفت، وكانت تعمل كمساعدة عندما كان هذا الأخير يرأس مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض عند جورج بوش الأب.

تخرَّجت « كوندي » من مدرسة سكوكروفت - جايمس، بايكر - بوش سنيور، ومع التقليد « الواقعي » لهنري كيسنجر؛ لم يكن لديها

سوى الحقد على التدخلية الإنسانوية [1] عند بيل كلينتون. في نشرة كانون الثاني - شباط عام ٢٠٠٠ للمجلة المميزة **Foreign Affairs**، عرضت الخطوط الكبرى لما يجب أن تكون عليه السياسة الخارجية لجورج و. بوش . فشكل ذلك عودة إلى تعريف ضيق للمصلحة الوطنية الأميركية: بدون مغامرة في الخارج إذا لم يكن الرهان الأساسي يخدم أمن البلد. أرادت تخفيف التورطات العالمية للولايات المتحدة وتوقعت الحد من المشاركة بعمليات الحفاظ على السلام في العالم، وبصورة خاصة، كانت تعارض « دولة البناء **Nation Building** ».

هذه الفكرة، التي من خلالها تمكنت الولايات المتحدة من المساهمة في إعادة بناء دولة أو أمة ، في أفريقيا، وفي الشرق الأوسط، وفي البلقان ، هي فكرة ملعونة بنظر الفريق الجمهوري الذي يضع الأمور في نصابها. فمجرَّد اعتبار أن الجيش الأميركي مشاركاً فيها ترفع الإهانة: لا يطلب من الرجال، من القسم الثاني والثمانين المحمول جواً، مساعدة الأولاد لاجتياز الشارع للذهاب إلى المدرسة، هذا ما قالته كوندي رايس. « لا أظن أن جيوشنا يجب أن تستخدم في المهمات التي يقال عنها **Nation Building**، أعلن المرشح بوش في تشرين الأول عام ٢٠٠٠؛ «أعتقد أن جيوشنا يجب أن تستخدم للقتال في حروب وتنتصر فيها » إنما لا جورج و. بوش ولا كونداليزا رايس، لا أظنهم يتصورون أن « ربح الحروب » ضمن صراعات ما بعد الحرب الباردة يمكن أن يمر عبر

---

[1] - الانسي هو العالم بالآداب القديمة، ويقال عنه إنسانوي . المترجم.

Nation Building في العراق مثلاً .. بالمقابل كتب المحافظون الجدد – البعض منهم على الأقل – أن هذه المهمة بالذات تتموضع في صلب التوازنات الاستراتيجية لما بعد الحرب الباردة فقد لاحظوا أن الخطر يأتي من الدول المتخلفة والدول المتفككة، وهي مراكز للإرهاب يجب « إعادة تركيبها ».

في الأشهر الأولى من ولاية بوش، أشار المحافظون الجدد إلى ناحية رزينة في الحكومة. وفي الخارج ندَّد المحافظون الجدد المتواجدين في Weekly Standard بسياسة « التهدئة » التي تبنتها واشنطن حيال بكين عندما أوقفت الصين طيارة تجسّس أميركية (في الأول من نيسان ٢٠٠١). ذكّرت الافتتاحية « بالإذلال العميق » الذي تم الشعور به بينما كانت حكومة بوش تفاوض سرياً مسألة عودة الملاحّين والجهاز (على شكل قطع مفككة)؛ كان من المفروض، وفقاً لما جاء في الأسبوعية، المضي في اختبار القوة مع الصينيين. فالخط الذي حمل هذا الحل إلى البيت الأبيض هو الخط الواقعي القديم.

أدّى انفجار الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ إلى تبديل كل شيء. فقد حصل اللامعقول: إنها المفاجأة الاستراتيجية الكاملة. وكان خطاب المحافظين الجدد الوحيد الذي أعطى بداية تفسير لما هو غير قابل للتفسير وقد حصل هنا أمام الجميع. سوف يبدلون رئيس الجمهورية ولهذا التبديل ارتفع عدد الشاهدين.

روى عالم السياسة آدام وولفسون قائلاً: « ذات وبتحليل للسياسة الخارجية، نجد أن المحافظين الجدد كان عندهم التأثير الأقل على الرئيس أو على محيطه القريب، فيما إذا كان أثناء الحملة الانتخابية أم خلال الأشهر الأولى من ولايته، وفجأة كان الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ لمواجهة أزمة بدون سابق إنذار، فوجدوا في التقليدانية الجديدة تفسيراً عقلانياً واستراتيجية يفترض تبنيها »[١]. أكثر قرباً من الرئيس، روى المحافظ الجديد دافيد فروم – حالياً في الـ **AEI** – عن الرئيس بوش بأنه يسمع لمستشاري المدرسة الواقعية. لكن هذا لم يؤدي إلى الاستجابة المطلوبة. إذ يحتاج إلى خطاب مختلف، تجاه المأساة؛ يحتاج إلى أفكار جديدة لمواجهة موقف جديد. في السوق الكبير للأفكار في السياسة الخارجية حول الشرق الأوسط، سوف يجد أفكار المحافظين الجدد: نقد توازن القوى، ونقد الدعم للأنظمة في المنطقة مهما كانت حالتها، وضرورة التزام أميركي في المنطقة. فاختار أخيراً تدخلية المحافظ الجديد. ولم يشر إلى أنه ستحالف مع هذه المؤسسة أو مع تلك؛ فأعلن (أي دافيد فروم) عن سياسة معينة »[٢]

لاحظ مارك بلاتنر، من الـ **National Endowment for Democracy** قائلاً: « تحت تأثير صدمة ١١ أيلول/ سبتمبر، بدّل

---

[١] – محافظون ومحافظون جدد، مرجع سابق.

[٢] – مقابلة، ٢ شباط ٢٠٠٤.

بوش خطابه كلياً. من هنا كان التبديل داخل فريق عمله حيث تبدل مركز التجاذب لصالح معاونيه المتأثرين بالمحافظين الجدد »[1].

يؤكد تود لندبرج، أحد المسؤولين في الـ **Policy Review**، اعتقاده بتحوّل حقيقي للرئيس بوش قائلاً: قدم الحدث للمحافظين الجدد الفرصة للممارسة تأثيراً متفوقاً، في حين لم يكونوا سوى عنصر من بين عناصر أخرى كثيرة من التحالف الجمهوري. كان « الواقعيون » هنا، بالتأكيد، وعلى مقربة غالباً من العربية السعودية إنما لم يكن بجعبتهم أي تفسير لما حصل في ١١ أيلول / سبتمبر، ولا عمّا يجب فعله »[2].

تذكر هيليل فرادكن، محافظ جديد لامع ومدير لمركز الأخلاقيات والسياسة العامة (مستشار حكومي صغير يرأسه آليوت أبرامز)، قائلاً: « عندئذ يتبين وجود أشخاص فكروا بالتهديد الاستراتيجي الجديد. كان عند المحافظين الجدد التفسير والإجابة، هم الذين عندهم الهلع من الإرهاب ومن الدول المحكومة بالرعاع ». وهكذا، دون أن يستعمل التعبير علناً، بدأ جورج و. بوش يتحدث « كمحافظ جديد ».

فقام بنشر وتنمية المسائل الكبرى للتقليدانية الجديدة عبر نصف دزينة من خطاباته المهمة التي ألقاها بعد ١١ أيلول وهي : خطاباته الثلاث عن دولة الاتحاد، وخطابه الرابع أمام الـ **AEI**، وآخر أمام الـ **American Endowment for Democracy**، وأخيراً الأداء الذي قام به أثناء زيارة رسمية إلى لندن، استمر بتقديم حجة أسلحة الدمار

[1] - مقابلة، ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

[2] - مقابلة ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

الشامل، لكن التعبئة كانت ببلاغة التقليدانية (المحافظة) الجديدة. فنادى « بإعادة بناء العراق » (العمل الضخم للـ Nation Building)، واعتماده نموذجاً للشرق الأوسط؛ فارتأى بأن هذه المنطقة لا يمكن استبعادها عن نطاق الديموقراطية. أمام الـ AEI ، في ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٢ « ورّط الولايات المتحدة في تحقيق هدف وهو جعل العالم العربي ديموقراطياً ». إنه افتراض محتقر بأن يعتقد أن منطقة بكاملها في العالم هي بشكل من الأشكال غير قادرة على تحقيق إحدى الأمنيات الأساسية للحياة [الحرية] ». فاستدعى القيم العالمية. أما هذا الجمهور من المهديين، قال أيضاً: « يقوم بفرض نظام جديد في العراق كنموذج للحرية، نظام راديكالي وجذاب بالنسبة لبلدان المنطقة الآخرين ».

باح الرئيس بوش إلى الصحفي بوب وودورد قائلاً: « أقول بأن الحرية ليست هدية من أميركا إلى العالم. الحرية هي هبة من الله لكل فرد في العالم. وأظن أن من واجبنا تحرير الناس. كنت أرجو أن يحصل ذلك بأساليب غير عسكرية، إلا أنّه من واجبنا في مطلق الأحوال »[١]. هكذا نكون بعيدين عن « التذلل » الذي تعاظم منذ أقل من عامين. فقد هلّل المحافظون الجدد وابتهجوا، في **The Weekly Standard** وقام وليام كريستول المناصر القديم لـ « جون ماكان » ، بتوجيه تحية إلى بوش الجديد. كتب لورانس ف. كابلان مع زميله في **The New Republic** « مسارنا يبدأ في بغداد »[٢]، وقصيدة غنائية ترحب بسياسة بوش الابن،

١ – جورج و. بوش، نقلاً عن بوب وودوارد، خطة الهجوم، سيمون وشوستر، ٢٠٠٤.

٢ – مرجع سابق.

الذي تمكن، وفقاً لعدّة كتّاب، من التحول عن السياسة الواقعية المتواضعة عند بوش الأب.

فعلاً، اقتنع فريق الرئيس بكامله بآراء « الواقعيين ». هناك تصميم ذاتي في البيت الأبيض « إنه مكان تدب الحياة فيه ضمن دائرة مغلقة، ويعمل كل من فيه مع بعضهم البعض بمعدل ٢٤/٢٤ ساعة من اليوم، أدّى ذلك إلى خلق ردود فعل تضامنية. فحوّلت قوة الحدث الكبير آراء الناس، وأقلقت الأفكار، كما روى الشاهد، دافيد فروم. هذا ما حصل لكوندي رايس. فهي، المحمية من برنت سكوكروفت، تجسّد جوهر المدرسة الواقعية، وستدافع عن حرب في العراق لم يتوقف معلّمها المخلص [سكوكروفت]، الذي يتبوأ منصباً في البيت الأبيض منذ ولاية بوش الأب، عن تقديم الأسباب الموجبة لهذه الحرب إلى الصحافة »[1] ثم يضيف فروم قائلاً: « في الموقع الذي تكون فيه (رايس) تتبع الحادثة، وتبدل رأيها. ولا يمكنها مطلقاً الدفاع عن تحالف أميركا مع السعودية [التي مارستها دائماً، بالسياسة وبالأعمال، في منزل بوش، على الأقل في منزل بوش الأب] . لا يمكنها القول، كما ترغب قوله، بأن طبيعة الأنظمة مختلفة كلياً. في نظرها هذا النظام السعودي السيئ ولّد هؤلاء الناس الذين دمروا التوين تويرز = البرجين التوأمين».

لا تريد كونداليزا رايس الحد من التزامات الولايات المتحدة مع الخارج، كما كتبت في كانون الثاني عام ٢٠٠٠. بالمقابل، تتحدث حالياً

---

[1] - مقابلة، ٢ شباط ٢٠٠٤ .

عن « مهمة مفروضة على هذا الجيل »، إنها مهمة « أخلاقية »: « إنها تغيير الشرق الأوسط »؛ خلال صيف العام ٢٠٠٣ ضاعفت المقارنات مع ما حققته الولايات المتحدة في ألمانيا وفي اليابان بعيد الحرب العالمية الثانيـة. وفي مقابلـة مـع New York Times ومـع Financial Times حيـث سئلت عن تبدل في الاتجاه راديكالي للغاية، وعن هـذا التقـارب البـالغ في الاندفاع نحو « الويلسونية »، فأعادته إلى سلطة الرئيس منذ الحادي عشر من أيلول. فهي ترى الرئيس خمس مرات في اليـوم، وتمضـي عطلـة آخـر الأسبوع مع العائلة . لا يتوقف عن الإلحاح، كمـا تقـول، « علـى مسـالة القيم العالمية هذه، إنها مسألة الحرية. فقد أقنعني بعمق لكثرة ما تحـدث باسـتمرار عـن هـذه القيـم العالميـة »[1] . إجمـــالاً، كـــان يتحـــدث عـــن « المحافظين الجدد ».

مضلّل منذ زمن بمقاربة بعـض المحـافظين الجـدد، لم يكـن نـائب الرئيـس ريتشـارد تشـيني معنيـاً بـالإعلان عـن المهمـة الجديـدة المنوطـة بالولايات المتحدة. ففي آب/ أغسطس ٢٠٠٢، اعلن أمام تجمع المحاربين القدامى قائلاً: «يجب أن يكون هدفنا تركـيز حكـم ديموقراطـي في بغـداد وتعدي في خدمة أمة حيث يتم الاعتراف بحقـوق كـل مجموعـة أثنيـة أو دينية ومن ثم حماية هذه الحقوق ». ونموذج العـراق يصبـح مدرسـة لكـل الشرق الأوسط.

تحت تأثير صدمة ١١ أيلول/ سبتمبر، تبنى فريق بوش، الذي كان عند انطلاقته انعزالياً، المسيحانية المجـاهدة للمحـافظين الجـدد. فـهم لا

[1] - كونداليزا رايس في النيويورك تايمس، مقال بعنوان اعلان إلى التايمز في ١٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣.

يريدون تغيير بلد واحد فقط، العراق، بل كل العالم العربي. لاحظ محلّل شرس من المحللين في Financial Times يدعى مارتن وولف، أن الحكومة الأميركية التي ترفض الـ Nation Building تورّط حالياً الولايات المتحدة في مهمة أثر اتساعاً: بناء الحضارة Civilisation Building . إنه فريق يهزأ بكل طيبة خاطر من التدخلية الإنسانية لحكومة كلينتون، وكأنها طريقة غبية لعمل ملائكي، فأدخل نهائياً الأخلاق في سياسته الخارجية. تقول حكومة بوش، تعتبر طبيعة النظام في التقييم الاستراتيجي من مسؤوليتها. نجد شواذات ضخمة: ليس للإدارة أي اهتمام في تنمية العلاقات مع ديكتاتوريات آسيا الوسطى المخيفة عندما تلتمس دعمهم للعمليات العسكرية في أفغانستان، ليس أكثر من أحداث حالات نفسية أمام الجرائم ضد الإنسانية التي اقترفها الجيش الروسي في الشيشان.

ليس تحوّل جورج و. بوش كتحول أي إنسان آخر. هذا الـ Born – again Christian معدّ سلفاً للأحكام الأخلاقية؛ فقد قال بسرور أنه بحاجة إلى « وضوح أخلاقي ». فأشار بيل كيلر، من نيويورك تايمز أن المعتقدات المسيحية الراسخة عند الرئيس لم تحقه على هذا التشريع أو ذاك، لكن مشروع الاتكال على المؤسسات الدينية، من كل الولاءات الروحية، بجزء من المساعدة الاجتماعية « يمكن أن يكون الأثر الحاسم الأكثر أهمية للإيمان الديني عند بوش، في كون هذا الإيمان يمنحه ثقة مطلقة في خياراته فور اعتماده هذه السياسة أو تلك كما كتب قائلاً. اصبح ذلك بدهياً بصورة خاصة بعد ١١ أيلول ٢٠٠١، عبر طريقته في التكلم عن رسالته التي تكمن في تحويل العالم ليصبح أكثر استعداداً

لتقبل الديموقراطية »[1]. ذهبت الـ News Week [2] بعيداً وأكدت أن « المسألة ليست في إخلاص بوش، بل في اعتقاده الراسخ الذي يكمل فيه إرادة الخالق ».

تصدّى زبيجنيو بريزنسكي عند بوش « بمقاربة لاهوتية » للمسائل الاستراتيجية، وبصورة خاصة في حربه على الإرهاب [3]. فور تعيين العدو، كتب المستشار السابق جيمي كارتر، يتحول هذا العدو إلى شيطان، وتأخذ المعركة مسار صراع بين الخير والشر. حرّر دافيد فورم مشروع الخطاب الرئاسي عن حالة « الاتحاد » ٢٠٠٢، ولكي يندد الكاتب بالثلاثي - العراق - إيران - كوريا الشمالية، أدخل صيغة « محور الحقد » ؛ وقام رئيسه الـ Speech writer ميشال جرسون، أصولي مسيحي بتعديلها إلى « محور الشر ». فكان لها الأثر الحاسم الذي عرفناه. في هذا العالم المانوي [4]، يجري الأمر بسهولة، كما قال الرئيس: « من لم يكن معنا فهو ضدنا ».

عند بوش، ينتج الانضمام إلى طروحات المحافظين الجدد، بما في ذلك معتقداتهم الدينية الراسخة، مزيجاً أيديولوجياً مبتكراً. ليس الإرهاب تكتيكاً، بل أصبح الشر بنفسه، وهو عبارة عن ظهور بدون تاريخ ولا مضمون. لذا يجب ضربه كما هو. في حين استنفد رؤساء آخرون - رونالد ريغن، جيمي كارتر، بيل كلينتون مثلاً - بالطبع كل الصور التوراتية،

---

[1] - مقال نشر في الـ International Herald Tribune ، في ١٩ أيار ٢٠٠٣ .

[2] - عدد ١٠ آذار ٢٠٠٣ .

[3] - زبيجنيو بريزنسكي The Choice, Global Domination or global leaderships ، ٢٠٠٤ .

[4] - المانوية مذهب ماني الفارسي، صاحب عقيدة الصراع بين النور والظلام . المترجم

حيث ينعت الخصم بأنه شرير « ما هو لا مثيل له في خطاب بوش، ليس استعماله لتعبير « الشر » أو لكونه جعل منه مرجعاً يكرره بكثرة، هذا هو التصور الذي يمتلكه، كما أوضح عالم السياسة جايمس و. سيزر. رفض بوش فكرة « الأنوار » هذه، وأن الشر كان أمراً عارضاً، وأنه يلائم فترة انتقال حيث بالإمكان التغلب عليه. عاد بوش إلى تصوّر الشر على أنه أمرٌ يشكل باستمرار جزءاً من الحقيقة ».

مع رجل معجون بمثل هذه التأكيدات، تمكّن كولن باول وزير الدولة، وبشكل دائم، من محاولة التذرع ببعض الحقائق المعاكسة التي من شانها معارضة منطق المبادئ الكبرى للقيم العالمية، أو روّج إلى أنه بالإمكان إيجاد معارضة لتصدير الديموقراطية بالقوة إلى العراق، أو إلى منطقة معقدة للغاية مثل الشرق الأوسط، وسيرى أن فرص الاستماع إليه ستكون قليلة. فقد تبدل المتحدث باسمه مرتين وهما : **Born again christian** منذ سنوات الثمانينيات في القرن العشرين، وبعد الحادي عشر من أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠١، اصبح المحافظ الجديد.

خلاص الشرق الأوسط

اتُّهم المحافظون الجدد غالباً بأنهم يشكلون مجموعة ضاغطة مؤيدة لإسرائيل داخل حكومة بوش، لأن بعضهم كان يهودياً. وقد عملوا على وضع الديبلوماسية الأميركية على خط يؤمن المصالح الإسرائيلية وحدها، والأسوأ أنهم أخضعوا سياسة الولايات المتحدة لسياسة حكومة موجهة من رئيس الليكود، أي اليمين الإسرائيلي: أرييل شارون. من هنا كان التقدم الذي جعلهم يتصرفون في واشنطن كممثلين أميركيين لليكود، ومن ثم يدفعون البيت الأبيض إلى إعلان الحرب على العراق ذلك لأن أمان إسرائيل يتطلب قلب نظام حكم مثل نظام الرئيس صدام حسين.

إلا أن الحقيقة مختلفة. بادئ ذي بدء إن المحافظين الجدد هم من الأميركيين قبل كل شيء. وهذا يعني أن لديهم حساسية (مثل كل الأميركيين) خاصة ومختلفة عن حساسيات الأوروبيين حول الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني. ذلك لأن إسرائيل هي إحدى الديموقراطيات الوحيدة في الشرق الأدنى، ولأن اليهود والبروتستانت لديهم قاسم مشترك هو التعلق بالنص التوراتي، ولأن أي فكر رائد يلامس عندهم الوتر الحساس، ويشعر الأميركيون بتعاطف طبيعي مع الإسرائيليين – ويتبدل هذا التعاطف وفقاً لمراحل المواجهة الإسرائيلية – الفلسطينية : فيهبط أثناء الانتفاضة الأولى (ثورة الفلسطينيين في غربي الأردن وفي غزة من ١٩٨٧ حتى ١٩٩١)، ويرفع أثناء الأعمال الإرهابية التي يذهب الإسرائيليون ضحيتها عند بداية العام ٢٠٠٠. لكن إسرائيل لا تحتاج إلى مجموعة ضاغطة – يهود أو غيرهم – لترصد في الولايات المتحدة

رأسمالاً كبيراً من التعاطف. وهذا التعاطف لم يتوقف عن النمو في السنوات الأخيرة، بقدر ما تصاعدت موجة الأصوليين المحتجين حيث بالنسبة إليهم يقوم الوجود الإسرائيلي في غربي الأردن وفي غزة بناء على أمر توراتي. أخيراً، كانت اعتداءات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ والتجربة المشتركة للإرهاب مما ادى إلى توثيق عرى الروابط بين البلدين.

كتب المحافظ الجديد من الـ AEI دافيد فروم، على طريقته، وبفظاظة قائلاً: « يفسِّر العديد من الأوروبيين الغضب والغيظ وكأنهما مظهرين لشعور غير عادل يشعر به أولئك الذين أثيروا، ليس الأميركيين بحاجة لإيجاد الأعذار بعد انفجارات الغضب. من أجل ذلك نجدهم يعدمون القتلة. ومن أجل كونهم أعداداً كبيرة جداً لذلك كان الشعور بالتعامل معهم بلطف قليلاً هذا بالنسبة للفلسطينيين ولقضيتهم. إجمالاً، يعترف الأميركيون أن لديهم تعامل أكثر لطفاً مع الإسرائيليين منه مع الفلسطينيين وذلك بنسبة واحد إلى ثلاثة، عند الناخبين الجمهوريين، تصل النسبة سبعة إلى واحد؛ وعند الجمهوريين المحافظين إلى ثمانية إلى واحد »[1] .

أن يشعر المحافظون الجدد اليهود بفائدة خاصة لإسرائيل لا يكون ذلك غريباً أو قابلاً للنزاع. لكن الحقيقة، هنا أيضاً، تكمن في كون المفكرين الذين تعارفوا ضمن هذا الشعور يهتمون جميعهم بالشرق الأوسط بكامله منذ نهاية الحرب الباردة ، وهذا يحصل، مهما كانت حالة ملف النزاع الإسرائيلي – الفلسطيني. فالسبب الطبيعي الذي يفسر انحياز المحافظين الجدد نحو الشرق

---

١ – السنداي تلغراف، ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر، ٢٠٠٣ .

الأوسط، يرتبط أصلاً بمسيحانيتهم الديموقراطية: « بعد الكتلة السوفياتية، أصبحت الديموقراطية في العالم العربي هي « الحدود » الواجب غزوها، إنها منطقة قريبة أيضاً من الولايات المتحدة قاموا بتفكيك تحالفاتهم مع عدد من الأنظمة، ولأسباب سياسية واقتصادية، كما وأنها غريبة كلياً عن الديموقراطية الأميركية حيث، منذ البداية، امتزجت « الأنوار » مع البروتستانتية .

واقتنع المحافظون الجدد بأن معركة الفوز في الحرب ضد الاتحاد السوفياتي، كانت بشعة، انتصاراً في « حرب الأفكار »: وقد تغلبت القيم العالمية للديموقراطية والحرية. كما تقاسمت شعوب الكتلة السوفياتية هذه القيم. فانتظروا سقوط الشيوعية للعودة فوراً إلى ممارسة هذه القيم. خلال الحرب الباردة، بدءاً بووهلستاتر وصولاً إلى « سكوب » جاكسون ومروراً برونالد ريغن، آمن المحافظون الجدد بتأثير ودور الأفكار في هزيمة الاتحاد السوفياتي. ضد هؤلاء الذين يبشرون بالانفراج، والتكيف مع الإمبراطورية السوفياتية، بحثوا عن هزيمتها وقادوا هذه المعركة باسم « القيم » الديموقراطية.

لكن ما حصل في أوروبا يمكن ويجب نقله إلى الشرق الأدنى. يجب ألاّ يشمل النقل الأنظمة العربية التي كانت متحالفة مع الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة فقط: أي العراق، سوريا، اليمن وحتى منظمة التحرير الفلسطينية. بل تشمل أيضاً بلدان الأصدقاء مثل مصر والعربية السعودية. فالمبدأ الذي يجب أن يتصدر العلاقات التي تقيمها الولايات المتحدة مع العالم العربي، يكمن في « طبيعة نظامه ». يصف المحافظون الجدد العالم العربي

بالتعابير نفسها التي كان يصفها الاتحاد السوفياتي عند نهاية الحرب الباردة: من دمشق إلى بغداد، ومن عمان إلى رام الله (تشكل السلطة الفلسطينية جزءاً من الأنظمة الديكتاتورية) ومن الرياض إلى القاهرة، يقول بيل كريستول: كلها مجتمعات مدنية تنتظر من يحررها.

فهل تختار التصويت الإسلامي في حال كانت الانتخابات حرة وتعددية؟ بالنسبة للبعض من الأكثر استقامة في هذه المدرسة من بين المحافظين الجدد، دانيال بايبس، متخصص في شؤون الشرق الأوسط يقول: « تستحق المجازفة النزول إلى السباق ». كتبت ابنة موظف إسرائيلي كبير، متزوجة من دافيد وورمسر، محافظ جديد عضو في فريق بوش، وتدعى ميرياف وورمسر، كتبت في مجلة معهد هدسون (مركز مفكرين من التقليدانية الجديدة المعلنة): « إن الظروف ملاءمة لتصدير قيم الديموقراطية ونشرها في العالم العربي، الذي يعاني اليوم من « فراغ أيديولوجي »: فالنزعة القومية العربية تقدمية، فمن استلهم الأنظمة الاشتراكية للشرق الأوسط مناصرة للسوفيات، قد أفلس؛ أما بالنسبة لبديله، الإسلامية السياسية فقد وصلت إلى الفشل [1]. بالفعل حان وقت تجريب الديموقراطية المتحررة، كما استنتجت ».

بدون الالتزام بتقديم الحجة، يستطيع المحافظون الجدد تقييم معظم الأنظمة العربية، عدا بعض الاستثناءات تقريباً، التي أوصلت شعوبها إلى طريق مسدود. ليس هدف المحافظين الجدد هنا التوسع في التحليلات الخاصة. إذ يكفيهم العودة إلى التقريرين حيث قامت منظمة الأمم المتحدة بالطلب من

[1] – ميراف وورمسر، American outlook، ربيع ٢٠٠٣.

المفكرين العرب بوصف حالة المنطقة في مطلع القرن الحادي والعشرين. كان الحساب الختامي محزناً للغاية، إنه جدول من خيبات الأمل، من أنظمة الصحة إلى الاقتصاد، إلى غياب الحماية الاجتماعية للأمية (التي تطال نحو ٦٥ مليون عربي، ثلثهم من الرجال والثلثين من النساء)، ومن سعر الاشتراك بالانترنت (أحد الأقل كلفة في العالم) إلى سعر ترجمة الكتب الأجنبية (هنا أيضاً من الأقل كلفة في العالم: تترجم مجموعة الدول العربية أقل من ٣٠٠ كتاب في السنة، أي أقل بخمس مرات من اليونان بالنسبة إلى عدد سكان شامل ٣٠ مرة أكثر أي: ٣٠٠ مليون عربي مقابل ١٠ ملايين لليونان)

لكن الأرضية ترفض تغييرات النظام وتخضع للأمر الواقع. قبل اعتداءات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، كان هذا المشروع في متناول اللقاءات بين المحافظين الجدد السنوية في بيفر كريك، محطة أنيقة للتزلج في كولورادو: استوعب فيها المستمعون كلام الإسرائيلي ناتان شارانسكي، وجه كبير سابق من المنشقين السوفيات، ومحرّض على التغيير الديموقراطي في العالم العربي على غرار ما حصل في أوروبا الشرقية. أحد أشهر العارفين بالمنطقة، الفرنسي جيل كابيل، فقد تبين له أن هذه المقاربة ليست محايدة «فيما يتعلق بالشرق الأوسط ما يجب أن يعرفه المحافظون الجدد بشكل أساسي يتأتى من وساطة إسرائيلية أو تركية، إن معظم المحافظين الجدد يعرفون المجتمعات العربية بشكل سيئ، وينظرون إلى المنطقة كما كانوا ينظرون إلى أوروبا الشرقية سابقاً، هكذا كتب. فالصقور الذين استوعبوا رسائل الشرق أثناء ولاية ريغن الرئاسية، استثمروا فكرياً نتائج التفكك السوفياتي، ويحاولون اليوم نقل هذه

الصورة إلى المسألة الإسلامية »[1]. ورداً على ميرياف وورمسر، وجّه جيل كابيل تحذيراً حين كانت المغامرة الأميركية في بغداد على وشك التأكيد: « هذا البرهان، الذي يبهر للوهلة الأولى، سيتعثر بسرعة بسبب أفعاله المتصلبة الرأي؛ فالعراق ليس بولونيا ». لم ينظر البولونيون أو الهنغاريون أو التشيكيون بعد تحررهم من النير السوفياتي، لحظة واحدة عن المشاركة بلا تحفظ، لا بل منذ زمن قبل التحرر، بنشر القيم التي كانت قيم الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. لا يعني ذلك الاستسلام للنسبوية الثقافية بقدر ما نشير إلى أن الموقف، من وجهة النظر هذه، مختلف في الشرق الأوسط. والعالم العربي ليس مثل تركيا، الحقل الأساسي لاستكشاف العالم بالإسلام برنارد لويس، ومستشار مؤثر على المحافظين الجدد.

انطلاقاً من الاهتمام الذي دفعهم إلى ضرورة تشويش المظهر السياسي لأنظمة الشرق الأوسط، استخلص المحافظون الجدد النتيجة التالية: ليس الصراع العربي – الإسرائيلي أولوية في الشرق الوسط. أو بالأحرى ليس بالإمكان إيجاد الحل إلا عندما تتبدل الأنظمة العربية. فالنظام العادي لعوامل اللعبة قد تبدّل: ليس الموضوع الأساسي هو إقامة الحل السلمي بين الإسرائيليين والفلسطينيين الذي يسهّل التحول الديموقراطي في المنطقة؛ كما أن التحول يصبح احتمالاً لوجود حل للصراع بين الشعبين المتقاتلين من أجل الأرض نفسها.

[1] – مقابلة للفيغارو، ٢٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٣ .

تأمل المتجددون فرأوا هناك دول ديموقراطية تتقبل بسهولة حق الوجود الإسرائيلي « كنتُ نموذجياً فيما يخص التقليدانية (المحافظة) الجديدة حول هذه المسألة مع التأكيد على أن أساس الصراع يأتي دائماً من « الرفض » العربي، أعلن أحد الاختصاصيين في الـ AEI ، جوشوا مورافشيك (هو أيضاً تروتسكي سابق). اعتقد أن العرب بمجملهم لا يتقبلون دائماً إسرائيل ولا يقومون تنازلات إلا ضمن هدف تدير هذه الدولة في يوم من الأيام. يريدون دائماً لإسرائيل أن تزول؛ وهم مؤمنون بأنها ستزول في يوم من الأيام [...]. فالمصدر الحقيقي لمشكلة ليس في اتساع المستعمرات، والمستوطنات، وليس الردع الإسرائيلي، بل إنه الأمل الذي رعاه ياسر عرفات بشكل دائم للفلسطينيين وللعرب بالتخلص من إسرائيل. لن يتحقق السلام طالما أن هذا الأمل باقياً حياً »[1] .

مهما قال مورافشيك، تبقى حساسيات المحافظين الجدد، لا بل آراء بعضهم تتباين قليلاً. فنجد عند « المتجددين » رجالاً مثل بول وولفويتز حساساً لوضعيات قريبة من الأوضاع المدعوة « حزب السلام » في إسرائيل. فقد حصل أن قام بهتاف في إحدى المظاهرات المناصرة لإسرائيل في واشنطن: فقد لاحظ، أثناء كلامه تهجمه على الأعمال الوحشية التي اقترفها واضعو القنابل من « حماس »، ولا يجوز أن يتم نسيان الجلجلة اليومية للفلسطينيين وكذلك أعمال الإرهابيين. يعتبر وولفويتز الرجل الثاني في البنتاغون، وضمن إدارة بوش التي وافقت على مواقف حكومة اليمين الإسرائيلي، فقد دعم علناً

---

[1] - مقابلة، ٤ شباط ٢٠٠٤.

مبادرات حزب السلام الإسرائيلي - الفلسطيني ففي كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، دافع عن محاولة « جنيف »، التي نقضها بعنف أرييل شارون. أكد مورافشيك بإحساسه أنه أكثر قرباً من حزب العمل الإسرائيلي منه من الليكود؛ فأعلن أنه سيكون بكل جرأة مع « إنسحاب إسرائيلي من غربي الأردن ومن غزة وسيعمل على إيجاد دولة فلسطينية على هذه الأراضي »، فور إسقاط كل أمل عند العرب بإنهاء الدولة العبرية.

بالمقابل، لم يتوقف محافظون جدد آخرون عن رفض « مسار أوسلو »، هذا النوع من ميكانيزم التفاوض الذي أعاد عام ١٩٩٣ الأمور إلى نصابها بين زعماء القضية، بهدف الوصول يوماً من الأيام إلى إيجاد دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل.

اتّهم نورمان بودهورتز، في مجلته **Commentary** ، رئيس وزراء إسرائيل وقتذاك، العمالي إسحاق رابين، بأنه ارتكب « خطأ مأساوياً » باعترافه بالحركة الوطنية الفلسطينية، وبإقامة الحوار معها. سيقوم قسم كبير من آلية التقليدانية بتغذية الحملة التي يقودها اليمين الإسرائيلي وبصورة خاصة أحد رؤساء الليكود، بنيامين نتنياهو، سعياً وراء هدف: تدمير مسار أوسلو وصدقية سياسة رابين.

أُعلن مسبقاً تأييد آراء أنصار ليكود بدون خطأ، وقد بدا ضمن نص نشر عام ١٩٩٦ تحت كشف مجموعة مفكرين إسرائيليو - أميركان، من الـ **Institute for advanced strategie and political studies** .

تحت العنوان العام (مجموعة الدراسات من أجل استراتيجية إسرائيلية جديدة مع مطلع العام ٢٠٠٠)، تضم لائحة الموقعين منهم: ريتشارد بيرل،

دوغلاس فايث، دافيد وورمسر، ميرياف وورمسر. كتب الموقعون وثيقة عمل لأجل رئيس الوزراء الجديد وقائد الليكود، بنيامين نتنياهو. تتناسب التوصيات مع سياسة جناح اليمين لليكود وهي: التوقيف السريع لمسار أوسلو؛ نقد مبدأ السلام مقابل الأرض، ويفضل اعتماد مبدأ، السلام مقابل السلام؛ والإعلان عن سياسة القوة ضد سوريا، وإذا أمكن، محاولة قلب نظام صدام حسين في العراق؛ وتنمية التعاون العسكري والسياسي مع تركيا، الخ. على إسرائيل ألاّ تحترم اتفاقات أوسلو، وتضاعف مستعمرات الإسكان، لكن وثيقة المحافظين الجدد تتهم منظمة التحرير الفلسطينية OLP لكونها لا تفي بوعدها. والآن نجد إثنين من كتابها، فايث، وورمسر يحتلون مناصب مهمة في حكومة بوش.

خلال ولاية كلينتون، أسس وليام كريستول جمعية مفكرين وهي عبارة عن مشروع من أجل عهد جديد لأميركا، فدافعت في نيسان عام ٢٠٠٢ عن الإلغاء السياسي لياسر عرفات. وطلب البناك PNAC من الحكومة الأميركية توقيف كل ضغط على إسرائيل يهدف إلى استئناف المفاوضات مع رئيس السلطة التنفيذية « فليست سوى أشبه من اعتماد مفاوضات مع أسامة بن لادن أو مع الملاّ عمر [الرئيس السابق لنظام الطالبان في أفغانستان]، لا تستطيع سياسة الولايات المتحدة أن تحض، أو على الأقل تلح على إسرائيل لمتابعة التفاوض مع عرفات » وأضاف البناك PNAC قائلاً: « فكما يتصورون أنه من غير المكن مساعدة القاعدة، كذلك على الولايات المتحدة ألاّ تقدم أية مساعدة مالية للسلطة الفلسطينية التي تعتبر واحداً من دواليب الماكنة الإرهابية في الشرق الأوسط » قيل عن أرييل شارون في النص نفسه : إتبع السياسة المطلوبة

والمطبقة من قبل رئيس وزراء إسرائيلي. فقد استثمر اعتداءات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ لفرض المعادلة « عرفات يعادل بن لادن، ومنظمة التحرير الفلسطينية تعادل القاعدة »، والواحد منهما كالآخر يجب سحقهما باسم الحرب الشاملة ضد الإرهاب التي أعلنها الرئيس بوش .. الناطق بلسان أرييل شارون، في هذا المجال، كان البناك PNAC متعارضاً مع قسم لا بأس به من اليسار الإسرائيلي.

وجد المحافظون الجدد في الرئيس جورج و. بوش رجلاً مناسباً تماماً فيما يتعلق بطروحاتهم حول الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي . لم يحتاجوا إلى أحداث ١١ أيلول /سبتمبر ٢٠٠١ للتأثير على الرئيس الأميركي حول هذا الموضوع. في الحال، يبدو أن الرئيس قد قرّر أن تسوية الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني يمكنها الانتظار. سوف لا تكون، بأي شكل من الأشكال، إحدى الأولويات الديبلوماسية للإدارة، وذلك لأسباب ثلاثة.

يكمن السبب الأول في أن جورج و. بوش، بسبب وجود خطأ أصلي في المادة، يتوقع أن يتميز ببراعته بالقيام بعكس ما قام به سابقه. لكون بيل كلينتون « عمل » كثيراً على الملف الإسرائيلي - الفلسطيني، وسوف يتجاهله جورج و. بوش.

يعود السبب الثاني لكون الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة قد تلقى دروساً من خيبة والده عام ١٩٩٢. في حين أن اليهود في أميركا استمروا بالتصويت كلياً لصالح الديموقراطيين، اعتبر بوش الابن أن جزءاً من ناخبي المحافظين المتشددين، وبصورة خاصة فرع الأصولية المسيحية، قد أخل بالالتزام مع بوش الأب. لماذا ؟ فتذرَّع بهذا السبب من بين العديد من الأسباب

الأخرى: ولقد كان الرئيس جورج هـ. بوش واحداً من الرؤساء الأميركيين الذي مارس ضغوطاً جدية على إسرائيل كمحاولة لإيقاف مستعمرات الإسكان في غربي الأردن وفي غزة. بعيد الحرب التي قادتها الولايات المتحدة لطرد الجيوش العراقية من الكويت عام ١٩٩١، فهدد بوش الأب بسحب ضمانة الحكومة الفيدرالية لعدد من القروض المصرفية لإسرائيل، في حال لم يوقف رئيس الوزراء الحالي، رئيس الليكود إسحاق شامير برنامج إقامة المنشآت في الأراضي المحتلة. فأزعج ذلك بقوة الحشد الصاعد من المنزهين الإنجيليين من جماعة الناخبين الجمهوريين.

نصل هنا إلى السبب الثالث القابل لتفسير التسويف والمماطلة لدى الرئيس جورج و. بوش فيما يتعلق بالصراع من الشرق الأدنى، لا بل الضوء الأخضر الذي قدمه لسياسة أرييل شارون. منذ بداية ولاية الرئيس الأميركي الجديد، حظي رئيس الليكود بحرية التصرف من أجل تدمير السلطة الفلسطينية، ومتابعة سياسته « بالتنفيذات الهادفة »، ومضاعفة المنشآت الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، وباسم محاربة الإرهاب، ورفض العودة إلى أقل تفاوض من أجل السلام.

أظهر الرئيس جورج و. بوش إعجابه، منذ زمن طويل، بأرييل شارون، أحد القادة الأجانب الذي التقاه قبل وصوله إلى الرئاسة. فعندما كان حاكماً لتكساس، عام ١٩٩٨، قام جورج و. بوش بزيارة لإسرائيل وكان أرييل شارون خلالها مرشده واستاذه في التعرف إلى استراتيجية الشرق الأوسط « كان لي الشرف بأن أقوم بدورة بالهليكوبتر في غربي الأردن مع أرييل شارون، روى السيد بوش أمام تجمع من الطائفة اليهودية الأميركية عام ١٩٩٩. لا يمكنك

أن تتصور كيف كانت هذه التجربة ! عندما تلقيت درساً في التاريخ من هذا المحارب الكبير، من بطل الحرية والديموقراطية هذا ! » من جراء ذلك، أكمل وصف السيد شارون بتسميته « صديقي » وكذلك « رجل السلام هذا»[1].

في البيت الأبيض، عهد الرئيس جورج و. بوش بحلف الشرق الأوسط إلى آليوت أبرامز، محافظ جديد قريب من السيد شارون .

لكن الأهم، ليست علاقة بوش - شارون، بل هو إدراك معنى رفض الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة لممارسة أقل ضغط على حكومة ليكود، ومن ثم العودة إلى السياسة الأميركية الداخلية. وقد أثر الأصوليون المسيحيون أكثر فأكثر على الناخب الجمهوري. فرحلت الحركة من تكساس، الوطن المختار لجورج و. بوش، الذي هو نفسه **Born again Christian** . لكن حاشية مؤشرة في الحركة بشكل مستمر تعتبر أن التنبؤات التوراتية، بعودة المسيح، لا تتحقق إلا عندما يعود كل اليهود إلى أرض أجدادهم - إلى غربي الأردن بنوع خاص.

يمكن أن يبدو غريباً بأن يقوم مثل هذا الفريق المستنير بممارسة مثل هذا الضغط على ديبلوماسية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. إنما أي رئيس جمهوري يستطيع تجاهل ذلك عندما يكون معظم القادة في الكونغرس، من أمثال توم ديلاي وديك آرمي، يقتربون من الميل التكاملي، فيؤكدون عالياً وبقوة « انتماء اليهودية - السامرية إلى إسرائيل » ويعلنون أن الولايات المتحدة لا يمكنها ممارسة الضغط على أورشليم ، أي رئيس جمهوري يمكنه تجاهل

---

[1] - جورج و. بوش، نقلاً عن Financial times ، ١٧ - ١٨ نيسان ٢٠٠٤ .

الإنجيليين عندما ينادي سيناتور جمهوري، من عمق أميركا، جايمس إنـهول، ومنتخب في أوكلاهوما، معلنـاً أمـام الكونغـرس بـأن إسـرائيل يجـب أن تبقـى غربي الأردن وفي غزة للسبب التالي : « إنـها إرادة الله، أعيـدوا قـراءة « سـفر التكويـن »[1]. يحتـاج جـورج و. بـوش « لدعـم عشـرات الملايـين هـذه مـن المسيحيين الإنجيليين ». كتب روجيه كوهن، و« جـزء كبـير مـن بينـهم مؤيـد متحمس لإسرائيل لأنهم يؤمنون بأن عودة اليهود على أرض أجدادهم يجب أن يسبق عـودة المسيح »[2]. كوهـن رئيـس سـابق لدائـرة الأجـانب في النيويـورك تايمز، صحافي موهوب وذات خبرة كبيرة، استنتج كوهن قائلاً: « يبـدو تـأييد الإنجيليين، حالياً، حاسماً بأغلبية جمهورية، كما هي عليه حالة الأمـيركيين الأفارقة بأغلبية ديموقراطية ». بقول آخر، لا يبدو السـيد بـوش، هنـا، تحـت تأثير المحافظين الجدد؛ تلقى، بالأحرى، ضغطاً سياسياً من ناخبين منضويـن تحت تأثير قراءة أدبية لسفر التكوين ..

عندما احتاج جورج و. بوش إلى مراعاة الرأي العربـي، وبصـورة خاصـة قبل أن يطلق حربه على العـراق، طـالب بإعـادة تجـدد الحـوار الإسـرائيلي – الفلسطيني. فهو بالفعل، أول رئيس للولايات المتحدة أعلن رسمياً الذي يشـكل يجب أن تتخذه تسوية الصراع: إيجاد دولـة فلسـطينية في الضفـة الغربيـة وفي غزة، إذا أمكن، منـذ الآن لغايـة العـام ٢٠٠٥. لكـن المواقـف الـتي اتخذهـا لا تعتبر مطلقاً بالنسبة إلى كامل الحرية المسـموح بـها في الوقـت نفسـه إلى السـيد

[1] – نشر في Los angeles Times، ١١ – ١٧ نيسان ٢٠٠٢ .

[2] – International Herold Tribune، ٢٤ – ٢٥ نيسان ٢٠٠٤ .

شارون لتوسيع المنشآت في الأراضي الفلسطينية ، سياسة مخالفة كلياً للطموح المعلن بصراحة من واشنطن.

كما آثر السيد بوش في إظهار احترامه المطلق للإسلام: فهو لا يمزج مطلقاً مجموعة المسلمين مع أنصار أسامة بن لادن. إنما، ولأسباب انتخابية أو لأسباب مرتبطة بمعتقداته الدينية الراسخة، التقى بالعرابيين، فرانكلن جراهام، وبات روبرتسون، وجاري فالديل، الذين يتخذون، بانتظام، مواقف معادية للإسلام، ويساهم الرئيس في تكييف صورة أميركا الصليبية ضد المسلمين في الشرق الأوسط. أنتجت خطابات رؤساء الإنجيليين المتكاملين آثاراً قوية للغاية تكون مباشرة سهلة البلوغ إلى السكان المعنيين، عن طريق التلفزيون عبر القمر الاصطناعي، والانترنيت، ولا تسمح أية وصاية من تمييز خطاب الإدارة الأميركية عن خطاب الأيديولوجيين الأكثر سخطاً » هذا ما قاله العالم السياسي الفرنسي برونو ترتراي **B. Tertrais** »[1].

لم يهيئ كل ذلك – اعتبارات انتخابية ومعتقدات سياسية راسخة ومختلطة – لجأ الرئيس جورج و. بوش، إلى لعب دور وسيط ناشط حيادي في المسالة الإسرائيلية – الفلسطينية. بعد الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، انضمّ بكل سهولة إلى سياسة المحافظين الجدد: وكانت الأولوية للطموح الكبير بجعل الأنظمة العربية ديموقراطية، وذلك قبل تسوية الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. فالطابع المركزي لهذا الصراع هو الرفض: استقبلت كونداليزا رايس موظفاً فرنسياً رفيع الشأن، فقالت مستشارة الرئيس بوش للأمن القومي: « إن

[1] – حرب بلا نهاية، أميركا في المسننة، جمهورية الأفكار Le Seuil ، ٢٠٠٤ .

الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو وهم خـرافي ». المـهم، تحقيـق تحـوّل الشـرق الأدنى إلى الديموقراطية.

في السادس من تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣، وأمام المركز الوطني لنشر الديموقراطية، وقع كلامه قائلاً: « هل بإمكان شـعوب الشـرق الأدنـى تحقيـق الحرية ؟ هل هؤلاء الناس (بالملايين) مـن الرجـال والنسـاء والأولاد، في هـذه المنطقة من العالم، حكم عليهم، باسم التاريخ أو الثقافة، العيـش تحـت سـلطة الاستبداد؟ هل سيبقون وحدهم لا يعرفـون طعـم الحريـة، ولـن يكـون لهـم أي خيار؟ أنا لا أعتقد ذلك ». ثم أضـاف: « فإقامـة عـراق حـر في صميـم الشـرق الأدنى سيكون حدثاً كبيراً في الثورة الديموقراطية الشاملة ».

بكل تعقل أكّد السيد بوش عندما قال: « نجد حكومات ممثلة في الشرق الأوسط اتخـذت أشـكالاً تعكـس ثقافتـهم الخاصـة ولا يشـبهون مطلقـاً أشـكال حكمنا ». كما نجد المقاربة الحذرة عنـد بـول وولفويـتز: لـن يكـون آليـاً الأثـر المتسلسل لديموقراطية في العراق » ؛ إنـه الأثـر الحاسـم للمثـل الصـالح، وكمـا رأينا في آسيا، لكن ذلك لن يحصل بين ليلة وضحاها ».

أصبحـت هـذه المقاربـة للتقليدانيـة الحديثـة، الأكـثر صفـاءً، السياسـة الرسمية لإدارة بوش عندما أطلقت هذه الإدارة مشروعها القائل « بشـرق أوسـط كبـير » في ربيـع العـام ٢٠٠٤. ينبغـي تجييـش الحلفـاء الأوروبيـين ضمـن اسـتراتيجية حضـور « المجتمعـات المدنيـة » العربيـة لمنحـها وسـائل فـرض التغييرات الديموقراطية على حكوماتها.

إنه لمن الطبيعي أن يقاوم هؤلاء الحكام هذا المشروع. لكنه لم يلقَ ترحيباً من قبل « المجتمعات المدنية » العربية. لماذا ؟ لأن المبشر بذلـك غـير جديـر

بالتصديق. ولسبب أهم، أساسي، وواضح، أراد المحافظون الجدد، بسبب جهلهم للعالم العربي، نفي ذلك أي صدقية في الولايات المتحدة المنطقة ترتبط مباشرة بالجهود التي قامت بها، أو لم تقم بها، من أجل حل الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني. يستطيع المتجددون دائماً تقديم الإرهاب الإسلامي على أنه وليد توازن القوى الذي ساهم في التخريب حتماً، لا تمتلك الولايات المتحدة برئاسة جورج و. بوش في هذه المنطقة إجازتها كمصلح جدير بالتصديق؛ لا يعتبر الأميركي عند شعوب المنطقة من السعاة الشرفاء للديموقراطية وينبغي فتح أبواب البيت له. لا يتم الوثوق بهم طالما أنه لا يُنظر إليهم كعاملين جديين في تسوية المسألة الفلسطينية. وحول هذا الملف، لإدارة بوش في العالم العربي أسوأ حالات الشهرة.

تظهر صور المجابهات في الأراضي المحتلة، كل مساء، على كل التلفزيونات العربية. يسيطر الصراع على العقليات الجماعية في هذه المنطقة. كما قال نقولا بافاريز: « يقوم الصراع بهيكلة المعارضة للديموقراطيات الغربية كما يناهض العالم العربي – الإسلامي »[1]؛ أكّد جان دانيال: « كل شيء يتوقف على الشرق الأوسط لأن إذلال الجيل الحي والفاعل، خطأ أم صواباً، اتخذ من قبل العرب شكلاً وحيداً » [2]، إنه الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. وقد استنتج البريطاني **Christopher Patten** قائلاً: إذا أردنا من العالم

---

[1] – Le monde، ٢٨ – ٢٩ كانون الأول، ٢٠٠٣ .

[2] – Le nouvel observateur، ٤ – ١٠ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ .

العربي أن يجد برنامج التحول للديموقراطية هذا صادقاً [برنامج السيد بـوش] يفترض فيه إظهار عدالة في مسألة حل الصراع في الشرق الأدنى » [1]

أخطأ المحافظون الجدد في تحديد الأولويات: لا يمكـن لعمليـة التحـول نحو الديموقراطية إلا أن تترافق مع تسوية النزاع الإسـرائيلي - الفلسـطيني، لا أن تسبقه. من أجل الحصول على شيء من الحظ في النجاح وأن يكون احتمـال ممارسة أثر التسلسل، أن يفرض على حملة العراق أن تكـون مشـروطة « بوسـم قوي للجرح الإسرائيلي، الفلسطيني النـازف »، هـذا مـا قالـه السـفير السـابق لإسرائيل في باريس، آيلي بارنافي [2] لكنها لم تحصل كذلك، ولن تحصـل بعـد الحرب إذا لم تتم إعدادها كما يلزم.

---

[1] - المرجع السابق.

[2] - Le Figaro ، ١٣ تشرين الأول ٢٠٠٣ .

الانتقام من عراق معقّد

« العراق هو بمثابة اختبار تحدٍ بعد الحرب الباردة، كتب اثنان من المحافظين الجدد الأكثر تفاؤلاً. هما وليام كريستول ولورانس كابلان يبدو العراق بالنسبة لهما ملائماً لإمكانية زرع الديموقراطية في بلد عربي. وبالقوة إذا اقتضى الأمر، ومن هناك، يتم نشرها في كل الشرق الأوسط. فالعراق يقدم البرهان على أنه لا وجود للقدرية الثقافية: يمكن للمبادئ العالمية في الديموقراطية والحرية أن تنتصر في كل مكان - سيظهر العراق أن مذهب الإرادية السياسية - والعسكرية - يستطيع تغيير الأمور. فالبلد الذي أوجده الاستعمار البريطاني في بداية القرن العشرين، ستجلب له المسيحانية الديموقراطية الأميركية الحرية بهدف نشرها حيث تبين أنها قد أخفقت بفظاظة: خاصة في الشرق الأوسط.

لا يزال مستقبل العراق الديموقراطي بعيداً، فالاختبار ذاته، قد اتخذ مسالك تؤدي إلى الهلاك.

كل شيء بدأ بشكل سيئ. فقد تمّ اجتياز الطريق إلى بغداد بدون عوائق: استمرت الحملة ثلاث أسابيع تقريباً بدون معارك. سقط تمثال صدام حسين في التاسع من نيسان ٢٠٠٣، و في اليوم الرابع عشر كانت بغداد بأكملها قد سقطت في أيدي الجنود الأميركيين. وفي الأول من أيار، ضمن إخراج ضخم في خضم مغيب الشمس على الباسفيك، قام الرئيس جورج و. بوش وهو يرتدي ثياب مساعد طيار واستقر على حاملة طائرات وأعلن « نهاية المعارك الكبرى ». كانت آراء المحافظين الجدد محققة وكان تفاؤلهم

في مكانه. بدأت المغامرة التي تستطيع أن تكون بمثابة أعمال تطبيقية للمقاربة الاستراتيجية التي نادوا بها منذ نهاية الحرب الباردة.

إلا أنهم في غضون عدة أسابيع، سوف يخففون من غلوائهم. فلن يكون شيء مطابقاً « للنموذج ». كانت الحرب سهلة. لكن ما بعد الحرب بدا سيئاً جداً. أحدث سقوط صدام حسين بعض مظاهر الفرح - لكن ذلك استمر قليلاً جداً. عبّر معظم العراقيين عن شعورهم بالرضى لكونهم تحرروا من النظام الوحشي. لكنهم لن يتأخروا عن المعاناة من الشعور بأن بلادهم محتلة. « سوف يتم استقبالنا كمحرّرين » كرر القول بول وولفويتز وديك تشيني. لكن ذلك لن يستمر طويلاً. في خريف العام ٢٠٠٣، تحدث الإداري الأميركي بول برايمر دون أن يثمن كلامه: « ليس الأمر غريباً أن يكون البلد محتلاً « فقد كان لهذه الدرجة: حالة احتلال، محتلين ومحتلون، وليست حالة مواطنين محرّرين يسيرون نحو الديموقراطية الجفرسونية على شواطئ دجلة والفرات وذلك بفضل جيش المحررين أصحاب الأيدي المليئة بالمقاصد الشريفة.

أصبحت الحدود سيئة المراقبة لأن قوة التدخل الأميركية قليلة العدد جداً، مما أتاح دخول آلاف المجاهدين الذين يبتهجون بقيامهم ولو بطلقة نارية ضد هؤلاء الكفار المتمركزين على أرض عربية - كما فعلوا تماماً ضد السوفيات في أفغانستان، سوف يعالجون عملية الاتصال بالمحور القاسي للمحاربين البعثيين، معظمهم من السنّيين المصممين على محاربة المحتلين. هكذا أحدث التدخل هذا المزيج من الإسلام والوطنية العربية الذي غذّى حرباً حقيقية ضد القوات الأميركية في العراق فكانت: الاعتداءات اليومية، والإرهاب ومعارك المواجهة في المناطق السنّية، حول معقل الفلوجة، بصورة

خاصة، إنما أيضاً معارك بالمدفعية الثقيلة حول الأماكن الشيعية المقدسة في النجف وكربلاء. لو أن الحرب أعلنت باسم مكافحة الإرهاب، لكانت أدّت إلى نتيجة عكسية: فتزايدت العمليات الإرهابية على الأرض العراقية نفسها وما وراءها. فمنذ آذار ٢٠٠٣ حتى صيف ٢٠٠٤ ، قبل إقامة أول حكومة عراقية، كانت الولايات المتحدة في حالة الحرب التي لم يشهدوها على طريق بغداد: فسجلوا إصابات وقتلى بالمئات، ومات من العراقيين بالمئات أيضاً، لا بل بالآلاف.

العراق بلد معقّد. يبلغ عدد سكانه نحو ٢٥ مليون نسمة، تقارب مساحته مساحة فرنسا أو كاليفورنيا، معظم سكانه من العرب الشيعة (لكنهم حتى التدخل الأميركي، لم يصلوا يوماً إلى السلطة)، وفيه أيضاً من العرب السنة (أقلية، لكنها معتادة على الحكم، مكوّنة بشكل أساسي من حزب البعث)، أخيراً فيه عدة ملايين من الأكراد، الذين يعيشون في حالة شبه مستقلة منذ حرب عام ١٩٩١. فجأة، احتك الأميركيون بمقاومة بعض السنيين: هؤلاء الذين يخشون من أن يصبحوا أقلية مضطهدة ضمن عراق محكوم من الأكثرية الشيعية. فاضطروا إلى مواجهة عصيان العناصر الشيعية الأصولية: فخشي هؤلاء من وجوب تقاسم السلطة، التي، برأيهم يجب أن تكون لهم بكاملها. منذ البداية، تصرف البعض GI ، ممّن هم غير ممارسين لمثل هذا النوع من الحرب، بكل فظاظة فيما يتعلق بالجمهور المدني: فكان أن أخضعوا الرجال وأذلّوهم أمام النساء والزوجات والأمهات اللواتي أُسيئت معاملتهم أثناء تفتيش المنازل، وعلى نقاط التدقيق الموجودة في كل مكان، ومناورات الإرهاب والتضليل للقوة الثقيلة في الوسط المدني. فقد كُرهت الجيوش

الأميركية بسرعة. فلم ينجوا من تحرك جيوش الاحتلال على أرض الاعتداء. للكفاح ضد العصابات، يجب تدمير الخلايا الإرهابية، ولتحقيق ذلك تنقص المعلومات : للحصول عليها، اعتمد التنكيل أو ممارسة سياسة الخدمات شبه المنهجية على مساجين لا تحميهم اتفاقيات جنيف. وكانت فضيحة المعاملات المخزية التي تعرّض لها المعتقلون في سجن أبو غريب في بغداد - هنا بالذات حيث كانت شرطة صدام حسين تقوم عادة بالتعذيب - هذه الفضيحة أنجزت تشويه صورة الاحتلال الأميركي. هكذا نكون بعيدين جداً عن حلم بول وولفويتز الذي يقول: « بأنه سيجعل من العراق أول بلد ديموقراطي في العالم العربي ».

ترى ما الذي جرى؟ كيف اعترض الواقع العراقي أيديولوجية التقليدانية الحديثة الأميركية ؟ لماذا حصلت كل هذه الكبوات عبر مسار تدخل حكيم، ومؤيد من الكثيرين، وحصل كأنه منطلق من منطق لا يمكن تفاديه : هذا البلد الذي كان تحت الجزمة، لا يمكنه إلا ويستقبل محرّريه بشكل جيّد ويساعدهم كي يوضع على سكة مستقبل أكثر لياقة ؟ هناك العديد من الإجابات. بالنسبة لكثيرين، يعود السبب إلى التناقضات الداخلية للحكومة الأميركية.

هذه الحرب كانت حرب « انتقائية ». فالعراق لا يهدد الولايات المتحدة، ولا يهدد حلفاءها: لم تعلن أية حكومة أوروبية، عدا حكومة طوني بلير، عن خوفها من ترسانة أسلحة الدمار الشامل التي من المفترض بأن العراق لا يزال يحتفظ بها؛ ولا أي موظف رفيع المستوى من الدولة العبرية يعتبر أن بلده مهدداً من قبل صدام حسين، ولا أي بلد عربي يتصور أن نظام بغداد

يمكن أن يشكل أي خطر. لم تكن حرب حكومة بوش ضرورية. فقد اختار البدء بالأعمال العدوانية لعدد من الأسباب المعقدة التي لم تكن الموافقة عليها بالإجماع داخل الإدارة الأميركية نفسها: الغاء احتمالية التهديد الكامن بالقوة، لكنه لم يكن مؤكداً إطلاقاً؛ القيام بمناورة لإظهار القوة في العالم العربي؛ قلب أحد أسوأ الطغاة في العصر، الذي كان يعارض، منذ زمن بعيد، الولايات المتحدة ومنظمة الأمم المتحدة، أخيراً، زرع في العراق، بذور حركة إصلاحية عليها تحويل الشرق الأدنى باعتماد العراق كنموذج.

لا شيء من كل ذلك تم عرضه بوضوح على الرأي العام الأميركي، ولأنهم أرادوا حتمية هذه الحرب، استعمل القادة الأميركيون حججاً « تجارية » متناقضة أو خدَّاعة. يلح الرئيس، أحياناً على ضرورة إلغاء رسالة التهديد « في طور التكوين » – أو : الوشيك الحدوث – التي تمثله أسلحة الدمار الشامل عند صدام حسين؛ إنها دفاع عن حرب قصيرة، يعني، كما يقول عنها دونالد رامسفيلد، أن هؤلاء « الأولاد » يستطيعون العودة سريعاً إلى بيوتهم. يضع الرئيس أحياناً في المقدمة، كون الحرب مقادة باسم القيم: إنها استدعاء، كما تقول كونداليزا رايس: « لالتزام جيل » من أجل الديموقراطية في الشرق الأقصى، ومقارنات تاريخية مؤيدة. من يعتقد ذلك؟

أحياناً يطلب البيت الأبيض بالحاح من الكونغرس الموافقة على صرف عشرات المليارات من الدولارات لأجل المجهود الحربي، وأحياناً يعلن بول وولفويتز، الرجل الثاني في البنتاغون، أمام مجلس الممثلين، أن حملة العراق لا تكلّف الأميركيين شيئاً، لا أكثر من إعادة بناء البلد. فالبترول العراقي يوفر له ذلك، أقسم وولفويتز في ٢٧ آذار /مارس عام ٢٠٠٣: « يوجد كثير من المال

لتسديد كل الفواتير [بفضل البترول] .. ولا حاجة لتعبئة مال المكلف الأميركي. نحن على صلة ببلد يمكنه فعلياً تمويل إعادة إعماره وتنفيذها بشكل سريع.

سوف تنشر أوساط المحافظين الجدد، الموجودة خارج الحكومة، هياماً آخر لتمرير فكرة حرب واحتلال سهل المنال. في العراق، يقولون، فقط رأس هو الفاسد، والباقي سليم. ما هو أساسي يكمن في إزالة صدام حسين وتراتبية حزب البعث. سيتم تغيير النظام بتكاليف قليلة: فالمعارضة، خاصة معارضة أحمد الشلبي ومجلسه الوطني العراقي، تؤمن التغيير السياسي. إن تعقيد الهوية الوطنية العراقية، والمنسية بسبب وهم خادع: إن هذا البلد هو أرض الحلم لتجربة التحول الديموقراطي في الشرق الأوسط، أوضح بكل رصانة نيوت جنجريك، محافظ جديد راضٍ ورئيس سابق للمجموعة الجمهورية في مجلس المثلين « العراق من وجهات نظر كثيرة هو البلد الأكثر علمانية في العالم العربي وهو المكان الكثر احتمالاً لإمكانية تمركز الديموقراطية فيه بسرعة ». كان نيوت جنجريك يخطب بإطناب أمام حلقة من الـ AEI المجتمع في مدرج ألبرت ووهلستاتر ، في ٢٩ تشرين الأول/ اكتوبر عام ٢٠٠١، في واشنطن.

متأكد من حكمه برصانة، أعلن نائب الرئيس ديك تشيني في نيوزويك في ٦ أكتوبر عام ٢٠٠٢: « ستلاقي قواتنا كل الترحيب وكأنها قوة التحرير وسنجد على الأرض فئة وسطى مستعدة لإدارة البلاد ». كما تحدث مسؤول كبير من الحكومة نراه يتمنى التستر، ويؤكد أن العراق مهيأ لأفضل مهمة عامة في العالم العربي: تمَّ طرد صدام حسين، والعراق سوف يعود إلى نشاطه

الطبيعي ويسير البلد بشكل هادئ ورصين – يتم تأمين ذلك عبر شرطة فعّالة وكفؤة ..

الفرضية الأولى: كذب المحافظون الجدد بوقاحة، إثر ذلك، بغية التأكد من حربهم، نجدهم قد أقدموا عليها وكأنها « جزء من حملة »، لاستعادة تعبير كينيت أدلمان، أحد أعضاء مجلس الدفاع الاستشاري الموجود قرب دونالد رامسفيلد. يجب الفوز بالرأي، وبسرعة، وتمضية ربيع العام ٢٠٠٣، عندها نقترب كثيراً من الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٤ كي يذهب الرئيس إلى الحرب .. يجب « المتاجرة » بالحرب وبما بعد الحرب كأمور رابحة مسبقاً في الانتخابات.

الفرضية الثانية: تصوّر المحافظون الجدد حقيقة عراقية غير موجودة إلا في أدمغتهم، لكنها قادرة على الالتحام مع عقيدتهم المسيحانية. في هذه الحالة أو تلك، لقد خدعوا البلد – عن قصد أو عن غير قصد.

كتب جايمس روبن أحد قدامى حكومة كلينتون: « بالرغم من ذلك يمكن أن يبدو بسيط فوق الحد، وبساطة تقطع النفس، فقد أكّد مسؤولون في حكومة بوش وخلال تحضيرها للحرب، أنه سوف يتم استقبالهم كمحررين في بغداد، وأن الشرطة والجيش العراقيين يحافظون على الأمن، وأن إعادة بناء البلاد سيتم تمويلها من بيع بترول العراق، وسيكون فيه حكومة عراقية جديدة وبأسرع وقت في مكانها، فتتيح لأميركا إمكانية سحب قواتها، تاركة وراءها نظاماً ديموقراطياً »[1] . أدلى فرنسيس فوكويوما، قريب من المحافظين الجدد

---

[1] – The Independent، ١٥ شباط ٢٠٠٤ .

ويعارض التدخل في العراق، ببداية تفسير قائلاً : « اعتــبر المحــافظون الجــدد أن نهاية الحرب الباردة، وانهزام الاتحاد السوفياتي، تعطيهم الحجــة لذلـك. إلا أنهم كانوا مذهولين فعلاً من كون الحرب البـاردة قـد انتـهت بـهذا الشـكل السحري، فحققت نصراً بدون حصول مأساة كبرى، وتفكـك العـدو، لم يتوقـع أحد أن ذلك سيحصل بطريقة سلمية أيضاً. وبدون شك، هل تصوَّر وولفويتز أن المسالة العراقية، والتحول الناجم عنها لـن يكـون أصعـب مـن نهايـة الاتحـاد السوفياتي. من هنا كان عـدم تحضيراتـهم الكافيـة لمواجهـة انفجـار العنـف في العراق بعيد سقوط نظام صدام حسين »[1].

مع ذلك، لم تتأخر التحذيرات، قـامت الإدارة الأميركيـة بعملـها. قبـل الحرب، وقامت أقسام وزارة الدولة والمخابرات والعسكريون في البنتاغون (عدا المدنيين)، بوصف كل الآفات والنكبات التي يمكن أن تنتظر الولايات المتحـدة في العراق. لكن هنا أيضاً، وعلى أعلى مستوى حكومي، ومع أولوية السياسـات والأيديولوجيات سوف يختفي الحكم وتتقنع الحقيقة العراقية.

مناقضـة أولى: عـهَدَ الرئيـس إلى البنتـاغون إدارة شـؤون العــراق بعــد الحرب، وكانت المهمات الأولى لهذا الـ **State Building** – إعادة بناء الدولـة – حيـث أقسـم وزيـر الدفـاع، دونـالد رامسـفيلد، أن ذلـك ليــس مــن مهمــة العسـكريين .. إذن ذهـب هـؤلاء إلى هـذا العمـل قسـراً ومعـهم رئيــس، عــدا رامسفيلد، ليس عنده سوى فكرة واحدة في رأسه وهي إعادة جيوشه إلى بلادهم بأسرع وقت ممكن. لماذا هذا الخيار ؟ لأن جورج و. بوش يقول بأن وزير الدولة

---

[1] – مقابلة، ٣٠ كانون الثاني، ٢٠٠٤ .

كولن باول وكل فريق عمله مائعين – خيارات صغيرة – لا يمكننا أن نثق بـهم، ولأنهم كانوا ضد الحرب في العراق.

والحال أن العراق الذي وجده العسكريون الأميركيون يتطلب بالتأكيد جهداً كبيراً من State Building ، خلافاً للنظرة التي كونها عنه مناصرو نيوت جنجريك، وديك تشيني وبعض المحافظين الجدد، فالعراق لم يعد ذلك العراق الذي كان في مطلع سنوات الثمانينيات من القرن العشرين، فهو أحد البلدان الأكثر تقدماً في الشرق الأدنى، رغم أنه أمة مستنزفة، منهوكة بسنوات الحرب، وراضخة لطغيان صدام حسين. فنظام العقوبات التجارية الذي خضع له منذ العام ١٩٩١ قد أجهز على خرابه. فالعراق اليوم من بلدان العالم الثالث، فقد كل ما لديه، فرّغ من نخبة رجاله، والذي لا يمكنه رصد ما يلزم لتجهيز أسلحة دمار شامل، ولا يملك أية وظيفة عامة، أو شرطة أو جسم طبي، وهيئة تعليمية تتحلى بالكفاية والنزاهة والاستقامة.

مناقضة ثانية : أراد دونالد رامسفيلد أن يبرهن لمجلس القيادة أن الحروب الحديثة يمكن أن تقام بعدد قليل من الجيوش. إلا أن الحروب السابقة في البوسنة وكوسوفو، طالب بعدها الـ State Building وبصورة خاصة بعد الحرب مباشرة، وخلافاً لذلك، بعدد كبير من الرجال. فقد قال الجنرالات الخبراء للسيد رامسفيلد أن غزو العراق لا يتطلب أقل من مئات الآلاف من الجنود، أما ضبط أمن البلاد فأنه يتطلب أكثر بكثير. لكن وزير الدفاع أراد تخفيض عدد القوات المسلحة بعد تحقيق النصر، في الوقت الذي ينبغي فيه زيادة هذا العدد. قام رئيس أركان الحرب لجيش المشاة، الجنرال أريك شسكي، الذي أشرف على قوات حلف الأطلسي في البلقان، وانصرف إلى

إجراء الحساب التالي: في البوسنة، لكل خمسة ملايين مواطن تم نشر قوة توطيد استقرار عالمية من ٢٠٠٠٠٠ رجل؛ ففي العراق، بالنسبة لـ ٢٥ مليون نسمة موزعين على بلد أوسع بكثير من البوسنة، تنشر قوات « التحالف » بصعوبة ١٤٠٠٠٠ جندي، في حين يلزم على الأقل ثلاث مرات أكثر. فاغتاظ وزير الدفاع وأحال الجنرال شنسكي على التقاعد قبل أوانه.

فكل هذه الأمور، من الخطأ في الحكم، إلى المكابرة، والتصلب في الرأي، وغطرسة دونالد رامسفيلد، كلّفت، بدون شك، الولايات المتحدة غالياً – وكذلك كانت الكلفة العراقية. أجل، فقد توقع الاختصاصيون ذلك: فبعد تحقيق الانتصار كان أحد العناصر الحاسمة، بالنسبة لمستقبل الوجود الأميركي في العراق، هو قدرة الولايات المتحدة على تحقيق الأمن. والخطأ يعود لتأمين عدد الجيوش الكافي. لم يكن بإمكان العدد الموجود تأمين ذلك. كان الانتصار الأميركي إشارة تهتك وعربدة لتخريب الآثار الغنية من قبل عصابات من السارقين استسلموا بأنفسهم، وأمام قوات **GI** ودورها السلبي المطاوع، إلى نهب المدينة: محلات تجارية ومصانع ووزارات (فقط ما عدا البترول). تجاه هذا المسلسل/المذهب قال دونالد رامسفيلد: « بوجود حرية بدون نظام، فالناس الأحرار هم أحرار أيضاً بالقيام بالأخطاء واقتراف الجرائم؛ وهم أيضاً أحرار بأن يعيشوا حياتهم والقيام بأشياء خارقة، وهذا ما سوف يحصل هنا»[1]. بغداد تحترق « هذه المشاهد من السلب والنهب كانت متوقعة، روت ساندرا ميتشيل، نائب رئيس الـ ONG، **International Rescue committee** . كان

[1] – نقل ذلك جايمس فاللوز The Atlantic Monthly ، كانون الثاني – شباط ٢٠٠٤ .

يفترض توقع ذلك، كل من شهد سقوط نظام على يـد قـوة خارجيـة يـدرك أن النهب خلال فترة الانتداب يشكل جزءاً من القانون »[1] .

لم تكن الأسـابيع اللاحقـة أفضـل، ولم تشـهد « أشـياء خارقـة ». فقـد اسـتمر الإخـلال بـالأمن فكـانت: الجرائـم والخطــف والنشــل، والسـرقات، والاغتصاب والحاجة (خاصة الكهرباء)، والفوضى. أين هي الطبقـة الوسـطى التي تحدث عنها ديك تشيني؟ أين الإدارة النموذجية العزيزة على قلب نيوت جنجريك؟ أين هم المعــارضون السياسيون؟ وأيـن هـم رجـال المجلـس الوطـني العراقي التابعين لأحمد الشلبي القادرين على تأمين البديل السياسي إثـر قطـع رأس البعث « الفاسد »؟ فقد تصور المحافظون الجـدد عرقـاً ليـس لـه وجـود. ومنظمة الأمم المتحدة كانت مهمّشة، ومن ثـم قتـل ممثلـها، الـبرازيلي سـرجيو فيايز دوملهو. هذا يدل على أن الأميركيين يريدون القيام بكل شيء وضبط كـل الأمور. إنما عبر آلة الحرب النقالــة الـتي أقصـت صـدام حسـين خـلال ثلاثـة أسابيع، وعدم قدرة قوات الإحتلال التي بدّدت بسرعة رأسمالها من التعــاطف مع السكان وخدمتهم.

تشابكت الخروقات والأكاذيب، عُيِّن بول برايمـر مكـان الجـنرال جـاي جارنر (الذي أراد تنظيم الانتخابـات بسـرعة - ربمـا كـانت فكـرة جيـدة ..) فتسلم مهماته كرئيس للإدارة الأميركية في العراق وذلـك في السـادس مـن أيـار/ مايو. عند نهاية أيار أعلـن (بنصـر قـرار ؟) قـراره، الـذي بـدا مذهـلاً: أمـر بتفكيك الجيش العراقي. هذا الجيش الذي لم يحارب ضد الجيـوش الأميركيـة

[1] - المرجع السابق.

خلال حملة آذار – نيسان. هذا الجيش الذي لم يكن موثوقاً في النظام السابق: كان صدام حسين حذراً من مؤسسة لم يتوان يوماً عن قتل مراتبها بضربات تطهير دموية. هكذا أرسل نحو ٤٠٠٠٠٠ رجل إلى بيوتهم بين ليلة وضحاها – بدون راتب ومعهم أسلحتهم. التحق بعضهم بمجموعات الساخطين والذين يقومون بإطلاق النار ليلاً ضد الأميركيين.

تلقى آلاف الموظفين المصير نفسه، وبصورة خاصة المعلمين وأساتذة الجامعة. لماذا؟ ذلك لأنهم بمعظمهم أعضاء في حزب البعث. أدّى التحليل المقارن هنا، المثقل بأيديولوجية المحافظين الجدد، إلى دمار. أوضح اللبناني غسان سلامه، معاون التعيس دومالهو في بغداد، قائلاً: « سياسياً، تشبِّه الولايات المتحدة العراق بألمانيا عام ١٩٤٥. بالنسبة إليهم صدام حسين هو بمثابة هتلر، وحزب البعث بمثابة الحزب النازي. لكن هذه المقارنة ليست صحيحة. فقد أدّت إلى أخطاء فادحة مثل قرارات « إزالة البعث ». فتم تطهير البعثيين من الوظائف العامة. من بينهم ١٨٣٢ أستاذاً جامعياً، ومعظمهم لم يحصل على بطاقة البعث إلا ليتمكن من ممارسة عمله، فسرّحوا كلهم. ١٤٠٠٠ مدير ثانوية اضطروا إلى حزم أمتعتهم ورحلوا في حين فتحت المدرسة [...] فمن حلَّ مكانهم؟ حلّ محميون من الزمر المحلية. [...] تمنى الناس أن يرسل إليهم طبيب أسنان جيد، حتى لو كان من البعثيين ..»[1]

بعد مرور سنة، إثر الطلب الملح والإصرار التوسل من الولايات المتحدة لإرجاع الأمم المتحدة إلى العراق، أرسل الجزائري الأخضر الإبراهيمي كموفد

---

[1] – مقابلة، Le nouvel observateur، ١٤ – ٢٠ آب / أغسطس ٢٠٠٣ .

خاص من منظمة الأمم المتحدة فحرّر محضراً قاسياً جاء فيه: « تم تسريح آلاف وآلاف المعلمين والأساتذة والأطباء، ومن الجسم الطبي والاستشفائي والمهندسين، ضمن إطار سياق نزع كل ما هو بعثي، في حين كانت الحاجة ماسة إليهم »[1]. فبقي كل أعضاء الطبقة الوسطى (التي أرادها ديك تشيني) في العراق في السنوات الأخيرة، وكذلك أعضاء الخدمة المدنية التي تدعي أنها الأكثر كفاية في المنطقة (كفاية نبوت جنجريك) وقد أرسلوا إلى منازلهم بالقوة .. قوات الاحتلال الأميركية! فحصل الفراغ إثر هذه المقاطعة للطبقة الوسطى، فتم ملؤه بواسطة رجال الدين. حصل ذلك مؤخراً ومؤخراً جداً عندما حصل الفشل الواضح للعيان، إلا أن الولايات المتحدة عادت إلى قرارات إزالة كل ما هو بعثي، وبصورة خاصة في الجيش.

يوجد كتاب يشير إلى كل ما يجب فعله بعيد سقوط بغداد، وقد كان موقعاً بعناية من قبل أشخاص كفوئين. إنها وثيقة ضخمة، تم جمعها من قبل ١٧ فريق عمل يجمع أميركيين وعراقيين من كل الكفايات، وتم تحضيره بإدارة وزارة الدولة. كان رئيس فريق العمل هذا الذي عمل طوال العام ٢٠٠٢ هو موظف رفيع المستوى في وزارة الدولة توماس واريك. وفي بحث أكثر دقة فصّل الصحافي جايمس فاللوز الضرورة المطلقة لمنع انهيار الخدمة العامة بعيد سقوط صدام حسين؛ والضرورة الملحة لإعادة تمويل الكهرباء بسرعة، وبصورة خاصة عدم اعتماد تفكيك الجيش دون إيجاد وظيفة أو شغل، للجيوش المفككة، الخ

---

1 - source : AFP .

كان لهذا التقرير الوثائقي خطأ واحداً: تعطي قراءته عن الحرب وما بعد الحرب صورة محاولات إغراء لم ينتفع منها مسبقاً، ومغامرات لا تخلو من المجازفات الضخمة وصعبة المتابعة بدون أن يحدث « عنف »، ومغامرات أطلق كل العسكريين الأميركيين من المستوى الرفيع تحذيرات جدية بشأنها.

الإنذار الأول: لا يمكن احتلال بلد عربي متخلف عدد سكانه ٢٥ مليون نسمة بطريقة سهلة.

الإنذار الثاني: تبدو المهمة صعبة جداً والتي تمت من قبل الولايات المتحدة برئاسة جورج و. بوش، البلد المكروه في الشرق الأوسط. « ستجد نفسك المالك السعيد لـ ٢٥ مليون عراقي .. »، هذا ما قاله كولن باول إلى الرئيس الذي أعلن قراره بدخول الحرب ضد العراق .

لم يتم تلقي العديد من الرسائل. في البيت الأبيض، لم يكن عند نائب الرئيس تشيني والمخلص له لويس ليبي في البنتاغون، ودونالد رامسفيلد ومستشاريه المدنيين – المحافظون الجدد بول وولفويتز، دوجلاس فايث، وليام لوتي، أبرام شولسكي، الذين يشكلون مكتب وزارة الدفاع **OSD** .. لم يكن عندهم جمعاً رغبة بالتحدث عن وجود صعوبات. رفضوا كل الأخبار السيئة وهزأوا من كل الرسائل. أرادوا هذه الحرب بأي ثمن، حتى ولو كانت لأسباب مختلفة، فتوقعوا حصولها كنزهة صحية. تمسكوا بادئ ذي بدء – عبر قسم الإعلام **Adhoe** الموجود في البنتاغون، **OSP** – بتحويل الفرضيات البسيطة الصادرة عن الـ **CIA** حول أسلحة الدمار الشامل التي قد يمتلكها الرئيس صدام حسين، إلى تاكيدات راسخة. بعد ذلك أحالوا إلى التقاعد أو التهميش كل أولئك الذين ليس لديهم عن مشروع الحرب في العراق الصورة المتحمسة

التي يتمّ تنقيحها. لم يستوضح دونالد رامسفيلد وثيقة « مستقبل العراق » التي وضعها توماس وارِّيك . أما وزير الدفاع فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، مضيفاً انتقاماً لإدارة ما بعد الحرب، اقترح استعمال خدمات توماس واريك، لكن رامسفيلد رفض ذلك – ليس هذا موضوع نقاش بالعودة إلى رجل من وزارة الدولة ..

هكذا، كل الذين أرادوا الحرب لم يصمموا على الاهتمام بما بعد الحرب. إما باللامبالاة لأن هدفهم الأساسي كان الصراع بحدّ ذاته: كان هم رامسفيلد التدليل على ملاءمة وفعالية جيش متجدد، فاعل بأعداد محدودة، وإما لأنهم حلموا بعراق غير موجود، تلبية لحاجاتهم، عراق حيث لن يحمل السكان سوى قبضات مليئة بالورود إلى محرِّريهم، كما كان يقول العالم بالإسلام برنارد لويس، بينما قام معارضون تاريخيون لصدام حسين، أبحروا حديثاً من هومفيز **Humvees US Army** بتسيير عمل إدارة عجائبية كانت ذاخرة منذ ثلاثين سنة من الحروب بالطغيان، وتمكينها من أن تضع البلاد على طريق الديموقراطية..

من الأيديولوجية إلى نفي الحقيقة، لا يوجد سوى خطوة واحدة؛ وقد اجتازها كل أنصار وولفويتز، وتشيني، وفايث ، وورمسر وغيرهم كل من كان في الفريق المدني التابع لوزارة الدفاع – وفي **OSD** – من هنا كانت حالة التشيع المستبعدة لما بعد الحرب. برهن هؤلاء الرجال عن جدارتهم في مجموعة المفكرين أكثر من جدارتهم على الأرض. شبههم جايمس فاللور بالطلاب اللامعين في الجامعات الذين شكلوا نماذج استراتيجية، أرضية مؤيدة، وأحاطوا بجون فيتزجيرالد كنيدي ونصحوه بتوريط الولايات المتحدة في فيتنام مع بداية

السيتينيات، من القرن الماضي « ما يقال عن هؤلاء، يمكن قوله عن رجال الـ **OSD** : لامعون لكنهم غير مسؤولين Jooh »[1]. رأى سياسي واختصاصي آخر، هنري كيسنجر: « عندما تنتشر عقيدة التدخل العالمي وتتصارع التناقضات على مسرح المعركة، نكون نجازف بالتورط في عالم حيث، وفقاً لقول ج.ك. شسترتون (روائي بريطاني، ١٨٧٤ - ١٩٣٦)، « أن الفضيلة مصابة بالجنون الإجرامي »[2].

خارج الحكومة، أوحى المحافظون الجدد بهذه الحرب - أمثال وليام كريستول ولورانس كابلان بصورة خاصة، وكل أولئك الذين يرون سقوط بغداد على أنه بداية للتحوّل الديموقراطي في الشرق الأدنى - لكنهم لم يخبئوا قلقهم. هم يعلمون أن فشلاً نهائياً في العراق يؤدي إلى ضربة رهيبة إلى عقيدتهم، والى أملهم والى وضع قوة أميركا في خدمة الديموقراطية، في المكان الذي تغيب عنه، في الشرق الأوسط، عبر اعتقاد أخلاقي راسخ و« بواقعية »، ذلك لأنهم يرون بهذا العمل أفضل سياسة لحماية أمن مصالح الولايات المتحدة . ويعلمون أيضاً أن المغامرة العراقية قد تؤخر حق التدخل كما جعل في مسألة البلقان ضد الجمهوريين الآخرين. فقاوموا محمّلين المسؤولية لمن اتّخذ أحياناً مسارات تدمير لإنسان: إنه دونالد رامسفيلد، تكنوقراطي قومي عنيد لا ينتمي إلى حساسيتهم. فقد تمت إهانة وزير الدفاع في أعمدة الـ **Weekly standard**، التي اتهمته بأنه قاد الإخفاق الحاصل بعد الحرب. « كانت إدارة رامسفيلد

---

[1] - جايمس فاللور، The Atlantic Monthly، مرجع سابق.

[2] - أشار إليه روبرت كووبر، La Fracture des nations، L'odre et le chaos au XXI siècle، ٢٠٠٤، ١٦٨.

مشؤومة، تنهّد قائلاً بيل كرستول [1]. بدون شك، فالوزير ليس وحده المخطئ. في عقيدتهم في الحكومة أم خارجها، كان المحافظون الجدد عمياناً حول تعقيد العالم، كما توقع ذلك بيار هاسنر [2].

---

[1] - مقابلة، Le nouvel Observateur ، نوفمبر ٢٠٠٣ .

[2] - Le Monde ، ٣٠ أيلول/ سبتمبر، ٢٠٠٢ .

تحديات المحافظين الجدد

ماذا سيبقى من التقليدانية الحديثة بعد المغامرة العراقية؟ يهدد بتناقض مزدوج وبسياسته الحمقاء، ربما استطاع الرئيس جورج و. بوش قتل الأفكار الجيدة عند أنصاره؛ بالرغم من كونه ورث وضعية فاسدة، فقد استطاع جون كيري إنقاذ الأفكار الجيدة عند خصومه. في السياسة الخارجية كما في كل الأمور، لا تحدث الأشياء الصحيحة دائماً لأسباب حسنة. قد تؤدي الأفكار إلى نتائج غير متوقعة. هذا المبدأ عزيز عند المحافظين الجدد، فقد أيده بكل طيبة خاطر إيرفنغ كريستول وبات موانييهان. روى محافظ جديد سابق ميشال لاند الذي قطع علاقته مع أصدقائه بسبب غزلهم مع التحالف المسيحي، روى أنه ضبط لعبة سميت بينغو محافظ جديد. كانت الفكرة تقضي بتسجيل شارات المحافظين الجدد على بطاقات : « القوة المتفوقة الوحيدة في العالم »، «التهديد الصيني »، « أوروبا المتفسخة »، « ضد منظمة الأمم المتحدة »، « الثقافة الرافضة »، « الثورة الديموقراطية الشاملة »، « لتسقط التهدئة ! »، « إبقَ صامداً مثل تشرشل »، « كل فلسطيني هو إرهابي » الخ .. تكمن اللعبة في توزيع أوراق اللعب بشكل غير منظم ومن ثم فتح كتاب محافظ جديد من أجل احتساب كم مرة ووفقاً لأية ورقة تالية تظهر الشعارات في التأليف [1]. يبدو المبدأ بسيطاً لكنه وظيفي.

هذا يعني أن فكر التقليدانية الجديثة لا يقتصر على بعض الشعارات، كما وأنها ليست امتيازاً لليمين أو للمحافظين الجدد المثبتين. فقد تجاوز هذا

---

[1] – ميكاييل لاند، The Nation, A tragedy of Errors، ٢٣ شباط ٢٠٠٤ .

الفكر بعض الدوائر الضيقة ليؤثر في الأوساط الديموقراطية والمتحررة، كما أثر على قسم من اليسار المعادي للتوتاليتارية. أخيراً، بلغ تأثير هذا الفكر كل ورثة أعداء الشيوعية المتحررة الذين لم يرضيهم، منذ نهاية الحرب الباردة، لا الانطواء على الذات ولا السياسة الحقيقية. في السياسة الخارجية، كان البلقان، وبأكثر دقة كوسوفو، أول فرصة للالتقاء بين ما يعرفه ببساطة « المحافظون الجدد » و« المتمردون الجدد » . لم يتم تجاوز الصدمة الفيتنامية عبر بعض الغزوات التأديبية التي التزمت فيها الولايات المتحدة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، فقد كانت إما على شكل « نزهات صحية » (مثل غرنادا) وإما بالعكس، فقد أيقظت عند الأميركيين مظاهر الدلالة – مثل القبض على الرهائن في طهران، وقتل المارينز في بيروت، أو الانسحاب المهين من الصومال . لم توقظ حرب الخليج الأولى، عام ١٩٩١، الحماسة « للتدخلية الانسانوية »، أجل فاليسار قد انقسم رغم حوافزه وسلوكاته، لأسباب عديدة (وجود البترول، الطابع الهزيل للديموقراطية، والضحية الكويتية الخ) لا تعتبر غزوة الخليج ضمن فئة الحروب « العادلة»، فقد حاول أحد الأعضاء البارزين من هذا اليسار الخطر، العالم بالسياسة ميكاييل والزر، بذل الجهد اللازم كي يحددها لاحقاً. بالعكس أتاحت حرب البوسنة وكوسوفو للمحافظين الجدد وللمثقفين التقدميين الأميركيين كي يجدوا موافقة على ضرورة تدخل الولايات المتحدة، بطريقة أو بأخرى، بغية عدم ترك المسلمين في البوسنة ومن ثم الكوسوفيين تحت تهديد تطهير اثني اقترفه سلوبودان ميلوسوفيتش وشرطته المحلية. لام كلاهما الرئيس جورج هـ . بوش على تراخيه ، ثم دفعوا خليفته بيل كلينتون على التدخل. فقد دعم

المحافظون الجدد بيل كلينتون رغم أنهم يكرهونه؛ كما دعمه المثقفون التقدميون رغم أنه كان الحرب، لا بل هو صانعها.

لكن هذا التوافق طار بقوة مع اندلاع الحرب في العراق. مع ذلك لم يتم التقسيم بين المحافظين الجدد من جهة والمثقفين الحاسمين من جهة أخرى؛ حالياً يجزي التقسيم بين المحافظين الجدد والمتحررين الجدد أو « الصقور الأحرار »، من جهة، فاليسار الذي صدَّق على الحرب في كوسوفو، ولم يوافق على حرب العراق من جهة أخرى. في الحقيقة، يبدو الموقف أكثر تعقيداً والأحزاب ليست مختلفة إلى الحد الذي يوصف أحياناً. كانت بذور عدم التوافق موجودة منذ حرب كوسوفو. فلا يقدم كل أنصارها الحجج نفسها، والقبول بمبدأ الحرب ضد صدام حسين يحمل في مضامينه تضاربات عميقة في الآراء حول ظروفها وحول إرادة الصراع، لا بل حول المبادئ التي تبرر إعلانها. ابعد من الحالة العراقية، تكمن الاستفادة من هذا الحوار لحل عدد قليل من المسائل الأساسية ليس فقط في السياسة الخارجية الأميركية إنما، بشكل أشمل، حل مسائل العلاقات الدولية في العالم الناتجة بعد الحرب الباردة. فالعدو بالنسبة إلى المحافظين الجدد هو أنس لوك الرئيس جورج و. بوش وإدارته سوف يعرضان السياسة الخارجية الأميركية، لفترة زمنية على الأقل، إلى الخراب والدمار؛ وتكمن الماساة، بالنسبة إلى المتحررين الجدد، في كون الإخفاق التام في العراق قد يخرِّب معه المبادئ التي من أجلها كان يناضل من أجلها.

تمَّ التذرع بثلاثة أسباب أساسية لتبرير الحرب في كوسوفو وإعطائها طابع الحرب « الحقيقي » الذي سيضم أكبر قسم من مثقفي اليسار الأميركي

(والأوروبيين). السبب الأول إنساني بكل دقة. وفي عالم يتجه نحو الشمولية، عندما تكون حياة السكان بخطر، لا يجوز إعطاء الأهمية الأولى للحدود وللسيادة الوطنية. إذ يصبح من واجب الدول والشعوب التي لديها الإمكانيات والوسائل أن تتدخل دفاعاً عن المبادئ والقيم. هذا ما أطلق عليه رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عام ١٩٩٩ « الدولانية الجديدة ». يتكون السبب الثاني من مزيج من الحجج والمبادئ والمصالح. بانتهاك الأنظمة المقبولة في الحياة الدولانية، عرّض ميلوسوفيتش الأمن الأوروبي إلى الخطر، وبالتالي أمن الولايات المتحدة. شكل التهديد خطراً بما فيه الكفاية كي يتدخل الأميركيون إنما ليس بضغط قوي كي يجازفوا بحياتهم وينزلوا جيوشهم إلى الأرض. أما السبب الثالث فإنه قريب جداً من تصورات المحافظين الجدد، وهو يريد القول إنه في حالة عدم احترام المبادئ الدولية (في مرحلة التطهير الاثني، وحديثاً اثناء تطهير الإرهاب)، لن يعود هناك من فرق بين المصالح والقيم. فالدفاع عن أحدهما يكون تأكيداً للأخرى. تخلق هذه الأسباب الثلاثة العديد من المشاكل،أكثر من تلك التي تحلّها، وبصورة خاصة فيما يتعلق بمسألة « معاملة شخصين متساويين معاملة مختلفة ». إذا كان على « الدولانية الجديدة » أن تنتصر، لماذا التدخل في كوسوفو وعدم التدخل في رواندا ؟ « نقول إلى شعوب العالم، حيث يعيشون، إن في أفريقيا أو في أوروبا الوسطى أو في أي موضع آخر: إذا لاحق أحدٌ مدنيين أبرياء وحاول قتلهم بالجملة بسبب عرقهم، أو أصلهم الأثني، أو دينهم، وإذا كان بمقدورنا منعه فسوف نمنعه ». مع إطلاق هذا الإعلان عند نهاية حرب كوسوفو، لم يدل

الرئيس كلينتون بأية إجابة على أي سؤال، لكنــه فسح المجـال للجميـع كـي يسمعوا أن مجال تدخل الولايات المتحدة وحلفائها لا يخضع لحدود جغرافية.

في تصور الحرب « العادلة » الذي وسّعه ميكاييل والزر، يلعـب مفـهوم المصلحة دوراً، لكنه دور سلبي. بالنسبة إلى الولايات المتحـدة، تكـون الحـرب عادلة إذا كانت تستجيب لضرورة إنســانية دون أن تكـون مصالحـها متورطـة. هكذا يكون والزر قد اتبع تعليمات جون رولز؛ أكّد هذا المفكر المحترم من قبـل المتحرين الأميركيين فعلياً ما مفاده: « لا يحق لمجتمع متحـرر أن يلتمـس مـن مواطنيه القتال في سبيل زيادة ازدهارهم الاقتصادي أو من أجـل الحصـول علـى ثروات طبيعية، أو على الأقل لزيادة قوّته أو امبراطوريته »[1].

إذاً، من أجل السبب الأول وافق ميكاييل والزر، والعديـد مـن أصدقائـه على الحرب في كوسوفو « بكل بداهة، لم يكن الأمن القومي الأميركي مشـاركاً في اللعبة (ولا أمن أية دولة من الدول الأوروبية) ».

في الحقيقة، ليست المواقف محدودة بشكل واضـح. في كوسـوفو، كـانت مصالح أميركية تشترك في اللعبة، في حال تم فهمها بشكل ضيق كمصالح قومية أو بشكل أوسع، كمصالح للمجموعة الديموقراطية حيث تعتبر الولايات المتحدة رافعة الراية، أو قد يكون حصل تطابق بين المصالح والقيم. كان من « العـدل » إيقاف جرائم الصرب في كوسوفو ومنع أن يصبح التطهير الأثني ممارسة مقبولـة في الحياة الدولية. إن الاعتقاد في كل مرة بأن التدخل قـد يتيـح تشـجيع القيـم الغربيـة وتوطيـد الديموقراطيـة عـبر إيصـال جيـش تحريـر كوسـوفو **UCK** إلى

---

[1] – أشار إلى ذلك أدام وولفسون: Why Kosovo and not Kuwait ? ، Policy review ، كانون الأول ١٩٩٩.

السلطة، يُظهر، على الأقل، سذاجة واضحة العالم. يبين هذا التعقيد أن الإجماع الذي تحقق حول كوسوفو لن يدوم طويلاً.

وفقاً لقاعدة الحجج المتشابهة، لم يلتق المثقفون في التسعينيات من القرن الماضي، وقد تباعدوا اليوم بسبب الحرب في العراق. فقد أدان بعضهم التدخل والاحتلال؛ والبعض الآخر نقضها بعد أن وافق عليها. إن سقوط صدام حسين يناسب مبادئ الانسانوية المتحررة، حتى لو كان من صنع رئيس كالرئيس جورج و. بوش، كما يقولون، وتبقى تنمية الديموقراطية في الشرق الأوسط بصورة خاصة هدفاً نبيلاً، حتى لو راهنت الإدارة الأميركية على تشويهه بالإهمال واللاكفاءة. طبعاً، بين كوسوفو، وافغانستان والعراق، حصلت أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، لكن الاعتداءات الإرهابية لعبت دور الحافز للتساؤلات المستمرة وكمسبب لبدع جديدة. هل أن الولايات المتحدة هي عامل من عوامل توازن القوى أو التغيير ؟ وهل ان السيادة الوطنية يجب أن يتم التنازل عنها بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان؟ وهل أن إعلاء الديموقراطية من واجب العالم الغربي؟ تحت أية ظروف يُسمح باستعمال القوة لدعم الديموقراطية؟ والسؤال الأخير يجمع الأسئلة السابقة بكاملها: هل إن الأصولية الإسلامية كإيديولوجية، مقرونة بالإرهاب وكوسيلة عملية، ليست توتاليتارية (كلاّنية) حديثة في القرن الحادي والعشرين، وعليه ألا ينبغي محاربتها كما تم محاربة نوعي التوتاليتارية في القرن العشرين والتي عارضتها الولايات المتحدة، وهي النازية والشيوعية ؟

هذه المشاكل ليست من اختصاص المحافظين الجدد. إلا أنهم هم الذين أعادوا عرضها بقوة بعد ١١ أيلول ٢٠٠١. أن يتم التعرُّف عليها، هذا لا يعني

الانضمام إلى اليمين، بل هذا يعني أن تنظر إلى العالم كما هو. لن يكون هناك مبالغة في القول أن ١١ أيلول يمكن أن يكون بالنسبة إلى جيلي (وربما جيلكم) ما كانته سنة ١٩٥٦ بالنسبة لأهلنا عندما تهدَّم كل إيمان، عند الكثيرين من المثقفين الغربيين، في الشيوعية »[1]. كتبت سوزي لانفليد، اختصاصية في النقد الأدبي في جامعة نيويورك. شكل النص الذي كتبته جزءاً من كتاب مشترك كتبه المتحررون الجدد، وهم مجموعة مثقفين جاؤوا من آفاق مختلفة، جامعية، إعلامية، حاولوا التفكير بالتحدي الذي أثاره ديك هوارد، وهو سياسي من نيويورك لا ينتمي إلى المجموعة : « على اليسار ألاّ يترك السياسة الديموقراطية لليمين » [2].

أصبحت الحدود ممسوكة بين تبصُّر في التحديات المشتركة، وموقف نقدي بالنسبة إلى سياسة تقودها حكومة يتمنى الجميع رحيلها، وبين الانضمام إلى طروحات مدعومة بطريقة مثيرة غالباً من قبل المثقفين الموجودين في المواجهة.

لا ينفي رواد التقليدانية الحديثة بدايات التفكير. منذ نهاية سنوات الستينيات من القرن العشرين شاركت التحرّرية بشكل ناشط في انحدارها الخاص لتتحوّل إلى « سياسة سليمة »، كما قال المتحرّرون الجدد ، وهم ليسوا أكثر عدداً من المحافظين الجدد وتأثيرهم أقل أيضاً . عرفت التحرّرية (الليبيرالية) ، بكونها فكر سياسي في مبدأ الوحدة (في التقاليد، في القبيلة، في

---

[1] – سوزي لانفيلد، خيانة الاكليروس في جورج باكر، The flight is for democracy ، الفـــوز بحرب الأفكار في أميركا وفي العالم، Perennilla ، ٢٠٠٣ .

[2] – ديك هوارد، Terror and Liberalisme ، ١٣ آذار ٢٠٠٢ .

الثقافة) على حساب القيم العالمية، والمبدأ المعلن عند الآباء المؤسسين، « يولد الناس أحراراً ومتساوين » الذين يتفوق على كل مميزات الزمان والمكان. إن النسبوية الثقافية والأخلاقية، التي تسعى لتقبل مبادئ وقيم مختلفة وفقاً للمناطق والشعوب، تكون نقيضاً لمثل التحررية (الأميركية). بالإمكان القول أيضاً « أن الفكر النقدي والنسبوية هما شريكان غير عسيرين بل متناقضين » [1].

في الحرب ضد الإرهاب، لا يكون العدو نهجاً بل أيديولوجية يعمل باسمها ولأجلها « إنه صراع أيديولوجي يعود إلى معركة امتدت مئة سنة بين التوتاليتارية والديموقراطية الليبيرالية »، كما يؤكد الكاتب جورج باكر [2] « كل حروب القرن العشرين بين المجتمع الليبيرالي والتوتاليتارية كانت بشكل أساسي حروب أفكار . لا تجرى الأمور بخلاف ذلك حالياً » [3] أضاف بول بارمان مؤرخ من اليسار الجديد. كما انتقد أيضاً العقيدة الاستراتيجية الجديدة التي تبنتها حكومة بوش في أيلول ٢٠٠٢، ليس من أجل العودة إلى أعمال الشفعة بل من أجل التأكيد التالي: إن معركة الأفكار الكبرى التي قسّمت القرن العشرين قد انتهت « خطأ يجيب بول بارمان، فالتوتاليتارية تعيش دائماً » بالنسبة للمتحررين الجدد، تتيح المقارنة مع القرن الماضي إمكانية استخلاص مقاومة الشيوعية الليبيرالية ما بعد الحرب والتي دافعت عن الديموقراطية بكل أمانة ولكنها اهتمت أيضاً بالعدالة الاقتصادية وبإعادة بناء الأمة

---

[1] – سوزي لانفيلد The Treason of the Intellectuals ، مرجع سابق

[2] – The flight is for Democracy ، مرجع سابق.

[3] – Slate، Discussion في ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

Nation Building ، وكذلك يمكن استخلاص دروساً سلبية « عانى المفكرون الغربيون الليبيراليون من الصعوبة نفسها من أجل فهم التوتاليتارية الإسلامية كما عانى الليبيراليون في الماضي من فهم النازية، والفاشية، والستالينية، والماوية وباقي الحركات التوتاليتارية « الشمولية »[1].

ضمن هذه الظروف، كيف يجب أن يكون موقف الليبيراليين التقدميين؟ بادئ ذي بدء، للتخلص من تزامن أعراض المسألة الفيتنامية التي قادتهم إلى رفض استعمال القوة. من وجهة النظر هذه ساهم الكوسوفو في « نزع شيطان الحرب »، لكنه يمكن ألاّ يكون سوى معترضة، إستثناء أكثر منه سابقة « أدت العموميات حول تعدد الفرقاء الدولية إلى حرم ليبيرالية اليسار من وهم الهيمنة الأميركية التي يثق بها المواطنون أبان كل أزمة » هذا ما أكده ميكاييل توماسكي [2]، كاتب افتتاحيات سياسية في نيويورك ماغازين « يجب رفض الوهم الذي راج، عند يسار، عن أميركا سيئة » تابع قائلاً. فالتعبير يشير بوضوح إلى تقليديته الحدية، مما لا يجرده من أهليته دفعة واحدة. قامت لورا سيكور، من جريدة Boston Globe بوضع قائمة من نقاط التوافق ونقاط التباعد بين المتحرّرين الجدد والمحافظين الجدد. يتقاسم الفريقان المعتقد الراسخ في أن القوة العسكرية للولايات المتحدة يمكن أن تحقق الديموقراطية، وحقوق الإنسان، لا بل الازدهار، في أربعة أقطار الكرة الأرضية. لكنهما يختلفان حول دور المؤسسات العالمية، ففي حين يشعر المحافظون الجدد بالارتياب الشديد حيالها، نجد بالمقابل وفقاً « للمثاليين الليبيراليين » ضبطاً

---

[1] - المرجع السابق نفسه.

[2] - بين تشيني وتشومسكي، في جورج باكر، The Flight is for Democracy، مرجع سابق.

للسيادة المتكافئة بالنسبة لكل الدول، بما فيها الولايات المتحدة. بالنسبة إليهم تعتبر القوة العسكرية الأميركية وسيلة، أما بالنسبة إلى « المحافظين المثاليين» فإنها غاية بحد ذاتها. هذا الاختلاف في وجهات النظر ترك مسالة فرصة استعمال القوة كاملة: « أين يقف الالتزام الأخلاقي لاستعمال القوة بطريقة بناءة وأين تبدأ الاحرابية (محبة الحرب) الخطرة ؟ »[1] قادت تجربة البلقان المتحررين الجدد إلى التفكير ليس فقط بشرعية التدخلية بل أيضاً وبصورة خاصة بأخطار الإحجام: ما هي السيئة التي تقترفها حكومتنا بتراخيها؟ » عرض محبو السلام في أوروبا بالضبط، المسألة نفسها أثناء الحروب البلقانية، فالخضر الألمان مثلاً، بتحريض من « جوشكا فيشر » أجابوا أبان رفض استعمال القوة كان أخطر من استعمالها. بالنسبة إلى العراق، فاستنتجوا خلاصة متعارضة، وأصبحوا بذلك في حالة تناقض مع المتحررين الأميركيين الجدد. فتصور هؤلاء بالفعل أنه « ضمن هذا السياق، هناك أدلة تقدمية لصالح غزو العراق »[2].

في عدد الشتاء ٢٠٠٤ لمجلة **Dissent** التابعة للاشتراكيين التقدميين والتي بدأت عام ١٩٥٣، فصّل بول بارمان ستة أسباب لإسقاط صدام حسين:

<u>أولاً</u>: من المؤكد أن بوش هو رئيس « رافض بشكل خاص » لكن « حرب العراق لا تخص بوش وحده، إنها حرب على التوتاليتارية (الأنظمة الاستبدادية) في الشرق الأوسط ».

---

[1] – لورا سيكور، العملاق في المنـزل، مرجع سابق.

[2] – ميكاييل توماسكي « بين تشيني وشومسكي »، مرجع سابق.

ثانياً : أن تعتقد أن كـل مشـاكل العـالم تـأتي مـن الولايـات المتحـدة، « جعلنا نمتنع منذ ستين سنة، عـن فـهم طبيعـة الفاشسـتية في أوروبـا » كمـا قادنا إلى ميونيخ جديد.

ثالثـاً: يجـب التوقـف عـن الاعتقـاد بـأن « كـل الحركـات المقاومـة للاستعمار، مهما كانت أنواعها، هي مذهلة، أو على الأقل مقبولة ».

رابعاً: بحجة احترام الفروقات الثقافية، نقبل بأن « العرب، ولأسباب غير قابلة للفهم والـتي هـي خاصـة بـهم، يعيشـون تحـت أحكـام ديكتاتوريـة بشعة. فهل هذا ما يستحقون يا ترى ؟ »

خامساً وسادساً : يتعلقان بإسرائيل، وبحذر وريبة قسم من اليسار تجاه الدولة العبرية وعن عمى إرادي تجاه مناهضة السامية (وبصورة خاصة اليـهود) المتواجـدة في الثقافـات الأخـرى » ، تلميـح للعـالم العربـي والإسـلامي بنـوع خاص.

وفاقاً لما جاء عند بول بارمان سيكون ذلك (غزو العراق) خطأ تاريخيـاً ضخماً خاصة لناحية اليسار الذي لم يعترف بدور الفاشستية « لدينـا الخيـار، كتب قـائلاً، بـين دعـم الحـرب أو معارضتـها، فدعـم الحـرب باسـم محاربـة الفاشستية أو معارضتها باسم إدراك مبهم للقانون العـالمي. محاربـة الفاشسـتية بدون قانون عالمي أو قانون عالمي بدون محاربة الفاشستية. خيار ردي – ولكـن للأسف ماذا يجب أن نفعل ؟ »

التقى تفكير بعـض المثقفـين مـع أفكـار ومقترحـات بعـض البـاحثين أو الموظفين الذين عملوا لصـالح الحكومـات الديموقراطيـة. فجـاء في نـص العنـوان

« من الأفضل أن نكون من المتحرِّرين الجدد »[1]. والمقصود ضمناً: أفضل من المحافظين الجدد – اثبت مستشاران سابقان عند بيل كلينتون هما رونالد أسموس وكينيت بولاك فشل السياسة التقليدية التي تكمن في دعم الأنظمة العربية المتسلطة بحجة أنها ليست ضد المصالح الأميركية. فأدت أولوية الاستقرار والحفاظ على توازن القوى إلى إنتاج « القاعدة ». لم يكن كينيت بولاك، الذي عمل في مخابرات CIA وفي مجلس الأمن القومي في سنوات التسعينات، معارضاً للتدخل في العراق من أجل التخلص من صدام حسين : « كانت الحرب الخيار الأقل سوءاً من لائحة من الخيارات السلبية » [2]. فقد اعترض، في كل مرة، على الطريقة والتوقيت الذين اختارهما الرئيس جورج و. بوش، واعتبر أن أفضل حجة لصالح سقوط الطاغي العراقي كانت بالأفضلية الحفاظ على حقوق الإنسان، وليس الوجود المفترض لأسلحة الدمار الشامل، وأضاف، حتى لو لم تكن هذه الحجة هي الأكثر أهمية بالنسبة للأميركيين ». من ناحيته، وقّع رون اسموس في أيار ٢٠٠٣ على مبادرة البناك PNAC ، وعلى بيان عن « بعد الحرب في العراق »يدعو إلى تحقيق الديموقراطية في هذا البلد وإعادة بنائه.

هذ لا يعني أن المتحررين الجدد هم على توافق على كل شيء مع المحافظين الجدد؛ بالعكس فقد تعهّدوا بالالتزام بالتحفظ. كلهم أرادوا اتّهام توازن القوى، واستعمال القوة الأميركية لتغيير واقع الشرق الأوسط واعتماد، في المقدمة، القيم الغربية. اعتمد المتحررون الجدد على التطور والتفاعل الداخلي

[1] – مجلة المعهد Aspen Italia، عدد ٢٢، ٢٠٠٣ .

[2] – سلايت، مناقشة سابق ذكرها .

للبلدان العربية ، بينما اعتمد المحافظون الجدد على استعمال القوة؛ لكن الأوائل لا يرفضون العودة إلى الوسائل العسكرية ، إنما كإنذار أخير، في حين أن الأخيرين يعلقون أهمية اقل على الـ **Nation Building** = بناء الأمة خاصة ، وأن المتحررين الجدد قد استمروا في منح الصراع الإسرائيلي الفلسطيني أولوية الاهتمام – فالرهان على السلم يعتبر أمراً أساسياً بالنسبة للصدقية الأميركية : « فالطريق إلى بغداد تمر في أورشليم » قال كينيت بولاك [1]. في حين أن الحل بالنسبة للمحافظين الجدد يصبح ناتجاً ولو جزئياً عن التحول الشامل للشرق الأوسط.

المتحررون الجدد واثقون من أنفسهم، « فالواشنطن هي في صدد تجاوز وهم السياسة الواقعية = **Real Politik** » لكنهم واعون على أن « النموذج العراقي » لا يفرض نفسه باستمرار من أجل تحديد السياسة الخارجية الأميركية حتى « لو انبعث عراق مستقر ومتعدد » هذا يعني نوعاً ما بأن الاستراتيجية التي تبنتها حكومة بوش لا تساعد كثيراً. فقد أسست على رؤية « ليست براجماتية ، ولا سياسة واقعية ، ولا محافظة ، ولا متحررة، بل لاهوتية »، كما قال أحد كبار الموظفين الأميركيين، تثير هذه الاستراتيجية مسألة حاول الإجابة عليها اختصاصي في العلوم السياسية من جامعة شيكاغو في **The New Republic** وهي مجلة لليسار تستقبل أيضاً من المحافظين الجدد: « إن فكرة إدخال الديموقراطية إلى العراق تبقى خاطئة بحد ذاتها وأن المشكلة تكمن في التنفيذ »[2].

---

[1] – أسلحة الالتواء الشامل، The Atlantic on line ، ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

[2] – دانيال و. درزنر (برهان سيئ)، The New Republic ، ٢٧ أيار ٢٠٠٤ .

إذا لم تظهر التحسينات السريعة بوضوح، يعترض الرأي العام الأميركي على نهاية الرهان ويطالب بعودة الجيوش، مهما بلغ الثمن بالنسبة للعراقيين ولصدقية الولايات المتحدة الأميركية . بشكل متناقض، يحتج، أخصام الحرب، الليبيراليون على ترك البلد هكذا. بلا جدوى، كما حصل بعد هزيمة فيتنام، يحتاج الأميركيون لبضع عشرات من السنين كي يعودوا إلى وضعهم. فالرئيس جورج و. بوش الذي يرى نفسه كتشرشل جديد، قد حكم وفقاً للتشتت الفكري والسياسي لأولئك الذين دعموه بشكل أفضل فلن يكون الخيار، بالفعل، بين التقليدانية الحديثة، والليبيرالية الجديدة، بل بين التدخلية الانسانوية المتسلطة تقريباً، وشكل جديد من الانعزالية.

خاتمة

الأفكار تؤدي إلى نتائج

ما يمكن أن يكون شعار المحافظين الجدد؟ على هذا السؤال، أجاب واحد منهم، من الأكثر نموذجية، بن واتنبرغ نقلاً عن دانيال باتريك موانيهيان: « للأفكار وزنها، إنما أحياناً، يكون لها نتائج غير متوقعة » يتحمل المثقفون مسؤولية عندما يقترحون إعادة تشكيل المجتمع. مقوَّس فوق مكتبه في الـ AEI في واشنطن، أتى واتنبرغ من اليسار، وهو يفكر هنا في نقد « الدولة - العناية ». إنها إحدى ميزات المحافظين الجدد. إنهم يحللون «النتائج المنحرفة » المكنة لهندسة اجتماعية شجاعة، تتأثر بركن من أركان أفضل إرادة سياسية، لكن نتيجتها الحسنة ضمناً، يمكن اعتبارها البقاء على فقر الشعب الذي ينبغي مساعدته، أي عكس الهدف الذي يتم البحث عنه.

للأفكار نتائجها أيضاً في السياسة الخارجية. كان على واتنبرغ الخضوع لهذا النقد الصحيح، والطروحات التي أطلقها رفاقه في « حساسية » تقليدانية حديثة. لام المتجددون اليسار لأنه اراد الاعتناء بعلم الأمراض الاجتماعية وبمساعدة الأفكار العامة الكبيرة والجميلة، والتي سوف تتقاطع على حقيقة معقدة ، وارتكبوا الخطأ نفسه فيما يخص الشرق الأدنى.

ترسّخ تحليلهم على الغايات الأقل قابلية للنزاع حسب الظاهر. فقد أنتجت الأنظمة المستبدة والديكتاتورية في المنطقة العدو الجديد للديموقراطية:

إنه الإرهاب الإسلامي . باسم الأخلاق والمناقب، ينبغي حتماً خلخلتها، بشتى الطرق ومنها القوة إذا اقتضى الأمر. يجب البدء بالأكثر خطراً، أو المقدمة كما هي: من العراق سيتم التحول في الشرق الأدنى بكامله بالقدوة. إنها الهندسة السياسية المطبقة على مقياس المنطقة. فاللجوء إلى الحرب « الوقائية» بدون النار الخضراء لمنظمة الأمم المتحدة، تمَّ تأييده من قبل الدفاع الشرعي؛ فمسالة شرعية العملية برمتها يتم تنظيمها فور تحقيق النصر: إن حماسة العراقيين لصالح محرّريهم قضى على تضامن الأفكار الحزينة لأوروبا القديمة. لن تكون ألمانيا وفرنسا في مؤخرة الذين يريدون أن يصطفوا في معسكر المنتصرين. ولا حالة من الحالات المرضية في الشرق الأدنى سوف لا تنجو من المنافع العلاجية؛ عند ذلك ستصبح تسوية الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني ميسرة مع تحول الشرق الأدنى نحو الديموقراطية. هذا أمر منطقي، كما ورد في محاولة مجموعة المفكرين في الشارع السابع عشر في واشنطن، المركز الأقوى للمحافظين الجدد الأقوى؛ إنه لأمر شجاع ومتفائل، ميزتان لا يتهرب منهما المحافظون الجدد مطلقاً.

من المعلوم وبالعودة إلى تعبير بيار هاسنر أن التعقيد العراقي قد انتقم لنفسه، لم تكن تحذيرات أوروبا القديمة مما لا يركن إلى صحتها. فحرب العراق قد غذّت الإرهاب. فالحجج المقدمة لتبرئة هذه الحرب قد فُضحت وكأنها فقدان للشخصية: لا وجود لأسلحة دمار شامل، لا ارتباط ولا علاقة بين نظام بغداد و« القاعدة ». فحملة الانتقادات والإهانات التي وجهت بصورة خاصة إلى فرنسا لا تبدو بذلك إلا في غير موضعها. ولم يكن المحافظون

الجدد الأخيرين في المساهمة فيها: فقد اتهموا الأوروبيين بأنهم شكلوا مع الليبيراليين الأميركيين « محور التذمُّر » The Axis of Petulance أو التهدئة لأنهم لم يشهدوا ديكتاتورياً ولم يشأوا أن يدبر أمورهم. باختصار، لن يصبحوا مطلقاً شركاء ولن يؤثروا في السياسة الأميركية الجديدة، « التي ترتكز على ثلاثة مبادئ: الأخلاقية، والشفعة، ووحدة الجوانب » كما ذكّر بها ماكس بووت [1]، أحد الناطقين باسم التقليدانية الحديثة.

هكذا، في صيف ٢٠٠٤، ارتأى معظم الاختصاصيين أن تنظيم « القاعدة » سيكون خطراً للغاية – بعد أفغانستان، وبعد العراق. إن فكرة أميركا القادرة على تسوية أمورها بنفسها، والتي شارك فيها المتجددون والوطنيون الصادقون على طريقة رامسفيلد، ستصبح مستقلة كلياً عن حلفائها بقوتها العسكرية، لكنها قد انكشفت على أنها مخطئة وأصبحت مؤذية ومضرة للولايات المتحدة نفسها. إن هذه الفلسفة Do it alone ، التي عُظِّمت في تشويه التفوق الذي شعرت به الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة، هي نوع من التوهم، فأميركا ترتبط بحلفائها، سياسياً على الأقل. إن هزيمة نظام صدام حسين لن تشرع مطلقاً « الحرب الانتقائية » التي قادتها ضد العراق. بالمقابل، بقدر ما يتحول تحرير البلد إلى « احتلال » يسيء العيش من قبل المثلين، بقدر من تصبح واشنطن تعاني من الحاجة إلى الطلب بإلحاح لأوروبا ومنظمة الأمم المتحدة لتشريع وجودها العسكري في العراق.

---

[1] – بإشارة من بيار هاسنر وبوستين فايس، واشنطن والعالم، ٢٠٠٣ .

من غير الممكن وبضربة بقفا اليد تكنيس ما تمثله حساسية نشأت عن فكر التقليدانية الحديثة، وكذلك الرسالة الموجهة ضمنياً إلى الأوروبيين. هناك طريقة أوروبية لرفض هذه البداهة، ومعرفة تهديدات ما بعد الحرب الباردة - انتشار أسلحة الدمار الشامل إلى أيدي انظمة سجلها العدلي مثقل، وإمكانية بعض المجموعات الإرهابية غير الأولية اكتساب قوة تدمير حتى الآن لا تبلغها إلا الدول وحدها، وتصميم البعض أو البعض الآخر على استخدام أيديولوجية الحقد لتخفيف أهدافه، وقد تكون مغذاة من قبل أنواع كبت أو حرمان مختلفة. فقد ارتضت أوروبا بسهولة بمبدأ توازن القوى ديبلوماسياً، الذي تم تدبيره عبر إقامة علاقات مع الأنظمة المذنبة. فهي ترفض رؤية الحقيقة: يغذي توازن القوى هذا، بالفعل، « **الإرهاب الإسلامي** »، ألا ترى هنا استيهام عند المحافظ الجديد؟

يمكن البحث عن أدوات الكفاح ضد تهديدات اليوم في تعدد ، الجانبية المتجددة، وليس في محاولات وتجارب ماكس بووت. لكن كل شيء يحدث في أوروبا وكأن المشاكل غير موجودة إلا عندما تضعها الولايات المتحدة. وبعد ذلك لك، يعلن الأوروبيون موقفهم، أو ينقسموا، مع أو ضد الحل الذي توحي به الولايات المتحدة. نجد أن قسماً من الانتقادات الموجهة من قبل المحافظين الجدد للقارة القديمة (أوروبا)، وجهه لها أيضاً اليسار الأميركي « لم تتناول الحوارات في أوروبا، كتب الفيلسوف ميكاييل والزر، ومواضيع ما يجب القيام به. يتساءل الأوروبيون عمّا تريد الولايات المتحدة القيام به؛ لن يتلاقى الأوروبيون كفاعلين في التغيير أو كعاملين عالميين » يرى أحد المثقفين

الأميركيين الأكثر تورطاً من أجل التدخل في البلقان مع بداية سنوات التسعينيات من القرن العشرين، الكاتب دافيد رياف، يجد أن الأوروبيين قد جبلوا بضمير فاضل شجاع، لكنهم أصبحوا « منهوكي القوى تاريخياً ».

أصبح الشرق الأوسط مصادراً بسبب اضطرابات وانتفاضات سابقة التحديث، وهو مرتعاً لانفجار ديموغرافي لا سابق له، وأفريقيا الراكدة في العديد من الويلات ولا تتهيأ إلا لهجرة أو لأي متنفس أو أي مخرج، وروسيا لا تزال أكثر قلقاً من اقترابها من الاطمئنان: فالعديد من التحديات الإستراتيجية تستدعي جواباً من أوروبا، علماً أن هذه الأخيرة تملك أدوات قوة عديدة: ثروات بشرية، وإقتصادية، رصيد سياسي، خبرة تاريخية. وهي على طريق أن يصبح لديها آلة عسكرية، كما يلزمها أيضاً الإرادة السياسية، هذا هو التحدي الذي يطلقه المحافظون الأميركيون الجدد إلى الأوروبيين.

فهرس الكتاب

المدخل.. ٥
تبدلات المحافظين الجدد ٥
نشأة هوس محاصرة العراق ١١
باسم أميركا ٣٥
نيويورك ٤٧
وقبب السيتي كولدج.. ٤٧
ليو ستراوس.. ٦٧
دليل محاربة الطغيان ٦٧
جديد – إلهي – إحائي.. ٩٧
لمحافظين من كل الألوان.. ٩٧
ألبيرت ووهلستاتر ١١٥
محارب من جبل الأولمب ١١٥
ديموقراطيو ريغن ١٣٥
جمعية المحافظين الجدد ١٥٧
اليوم يبدأ التاريخ ١٧١
التحوّل المضحك للرئيس جورج و. بوش ١٨٣
خلاص الشرق الأوسط.. ١٩٩
الانتقام من عراق معقَّد ٢١٧
تحديات المحافظين الجدد ٢٣٥
خاتمة.. ٢٤٩
الأفكار تؤدي إلى نتائج.. ٢٤٩
فهرس الكتاب ٢٥٥

مطابع دار البلاد ـ طرابلس ـ لبنان ـ البولڤار ـ تلفون: ٠٦/٦٢٥٥٥٦ ـ فاكس: ٠٦/٤٣٥٢٥٢

تلاوين الأفكار

ليس المحافظون الجدد مثل الآخرين، وليسوا حنيناً الى الأزمنة الغابرة و لا مناصرين لتوازن القوى.

عملوا على تشكيل عائلة مستقلة عن اليمين الأميركي.

جاءوا غالباً من اليسار، ويؤمنون بقوة الأفكار والسياسة في تغيير العالم

لا يقدسون السوق ويوجهون سهام النقد للدولة الراعية وتخلفها، وهم واثقون من أن الولايات المتحدة تجسد الخير، فاعتقدوا أنها تثبت أمنها وتبقى أمينة لرسالتها الأخلاقية بتصدير الديمقراطية فقط، وعند الحاجة باستخدام القوة.

بعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول عام 2001 ، اكتسبوا تأثيراً حاسماً على سياسة الرئيس الأميركي جورج بوش، وكان لهم دور مؤثر على قرار إعلانه الحرب على العراق.

يروي هذا الكتاب أصول نشأة «قبيلة» ولدت في نيويورك في أوساط اليسار الديمقراطي، ويعطي وصفاً لمفكريها، كما يدلّل كيف أن «المتجددين» قد صاغوا مع الأصوليين المسيحيين تياراً مسيطراً على قرار أمريكا في الوقت الراهن.

المؤلفان هما صحافيان من صحيفة «اللموند» الفرنسية.

Bibliotheca Alexandrina
07226790
30
1
8